الملامح الإسلامية في عمارة الغرب

خلال العصور الوسطى

إعداد
د. أحمد عبد المعطي الجلالي
أستاذ العمارة والفنون الإسلامية
كلية الهندسة - جامعة عين شمس

الملامح الإسلامية في عمارة الغرب

خلال العصور الوسطى

إعداد

د. أحمد عبد المعطي الجلالي

أستاذ العمارة والفنون الإسلامية

كلية الهندسة - جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من هذه الدراسة اظهار
سماحة الاسلام وقوته فى مجال
الفنون والعمارة ، حيث استطاع
ان يلقى بظلاله ويترك بصماته
وملامحه على فنون أوروبا
خلال العصور الوسطى ، كما
كان للتسامح الدينى جوانب
ايجابية فى هذا المجال ٠

أ ٠ د ٠ احمد عبد المعطى الجلالى

الملامح الاسلامية فى عمارة الغرب
خلال العصور الوسطى

الفهرس

ثانيا : العناصر المعمارية (الدفاعية)

١ ـ المداخل الملتوية .

٢ ـ الشرافات .

٣ ـ السقاطات .

ثالثا : العناصر الزخرفية :

١ ـ البواكي الصماء .

٢ ـ حشوات النوافذ الزخرفية (الشمسيات)

٣ ـ الابلق .

٤ ـ الحشوات الخشبية الزخرفية .

٥ ـ الارابسك .

٦ ـ الكتابات .

ـ الخاتمة .

مقدمــة :

من الثابت والمعترف به أن الشرق هو مصدر الحضارات وخاصة تلك المنطقة من العالــم التي نسميها بالمشرق العربي ، وتمتد من النيل الى الفرات . ومن هذه المنطقــة أنبثــق أول شعاع حضاري أنــار العالــم .

وعندما جاء الاسلام أضاءت حضارته العالم بأسره ، في الوقت الذي كانت فيه أوربــــا خلال العصور الوسطى ـ ترزح تحت أثقال الجهالة والفوضى وتتخبط في الفساد الذي انتشر في جميع الاوساط ، وخصوصا بين رجال الاقطاع والامراء ، كما كانت تعاني من تعصب رجـال الديــن .

لقد استفادت أوربا خلال العصور الوسطى الكثير من الحضارة الاسلامية ،وليس تــراث هذه الحضارة بقليل ، نذكر منها على سبيل المثال مجال الطب والهندسة والكيمياء والفلــك والآداب والفلسفة ومختلف الفنون [1] . ولقد رأيت أن استعرض بعض جوانب تلك الحضـــارة في فن العمارة ، ومدى انعكاس ملامحها في مباني اوربا خلال تلك الفترة حتى نتعرف علـــى ما اقتبسته من العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية ، وكيف كان التسامح الديني عاملا هامـــا في هــذا المجال .

كان انتقال هذا التأثير الاسلامي الى أوربا عن طريق عدة قنوات اتصال بين الشـــــرق والغرب سيطر فيها التسامح الديني على العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فقد كانت طبيعة هذه العلاقة بين الشعوب علاقة مودة في اغلب الاوقات مما جعل الاتصال وثيقا بين شعـــوب الشرق الاسلامي والغرب الاوربي ، وكان اتصالا حضاريا له أثاره البعيدة في كل جوانب الحياة .

كما كانت البلدان الاوربية التي وقعت تحت الحكم الاسلامي لفترة من الزمن من أهـــــم قنوات الاتصال بين الشرق والغرب ، وكانت اسبانيا [2] أبرز تلك البلدان ، فقد لعبت دورا

---

(١) تنبه بعض علماء الغرب لهذه الحقيقة وأهتموا بدراسة التأثيرات الاسلامية على فنونهـــم وخاصة فنون التصوير والزخرفة أمثال : Devonshire -Kuhnul- Arnold وغيرهم .

(٢) كانت اسبانيا تحت الحكم الاسلامي تسمى ببلاد الاندلس .

رئيسيا في نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا خلال العصور الوسطى حيث استمر الحكم الاسلامي فيها — بما أتصف من تسامح ديني في معظم الاحيان — ما يزيد عن سبعة قرون (من اوائل القرن الثامن وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي)، وكانت قنطرة عبرت عليها الافكار الاسلامية الى اوربا .

لذلك فقد شملت هذه الدراسة بابين :— الباب الاول يتكون من فصلين الاول منه عن الجوانب الايجابية للتسامح الديني وكيف ساعد هذا العامل في ايجاد ملامح اسلامية في عمارة الغرب خلال العصور الوسطى كأحد مظاهر هذا التسامح — أما الفصل الثاني فشمل الدور العربي في اسبانيا لما لها من أهمية خاصة في مجال موضوعنا هذا ، شارحا بايجاز تاريخها الاسلامي وما حوى من حضارة معمارية تستحق الذكر، والاسباب الرئيسية التي ساعدت على نقل هذه الحضارة الى بلدان اوربا .

أما الباب الثاني فشمل العناصر المعمارية والزخرفية أي تلك الملامح الاسلامية التي وجدت في مباني اوربا خلال تلك الفترة ذاكرا بعض امثلتها ومتتبعا تطور وتاريخ كل منها .

نبذه تاريخية :

قبل البدء في هذه الدراسة يجب أن نستعرض بايجاز ونتذكر بعض النواحي التاريخية للفنون التي كانت سائدة في العصور الوسطى من مسيحية واسلامية وغيرها .

عندما ظهرت المسيحية أخذ الفن الروماني الذي عم جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية، يضمحل شيئا فشيئا حيث دخلت عليه عناصر جديدة جاءت من الشرق . ويظهر ذلك جليا في قصر الامبراطور ديوكليشين Diocletien على شاطئ بحر الادرياتيك والمؤرخ في عام (٣٠٠م).

ومنذ منتصف القرن الرابع الميلادي أصبح الدين المسيحي هو الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية ، وبذلك أنتشرت الفنون المسيحية شرقا وغربا . في ذلك الوقت . ولاسباب سياسية، أنقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين : الامبراطورية الشرقية وكانت عاصمتها بيزنطة (القسطنطينية) وفيها تكون الفن البيزنطي . أما الامبراطورية الغربية فظلت روما عاصمتها

السياسية بالاسم ، الى أن سقطت فى يد الغزاة من أهالى شمال اوربا ، وعندئذ سادت أوربا عدة قرون من الركود الفنى والعصور المظلمة Dark ages الى أن جاء شرلمان فى أول القرن التاسع الميلادى وقام بحركة اصلاح شاملة فى مختلف نواحى الحياة، واستطاع أن يحيى الفنون الغربية من جديد ، وبذلك تكون الفن الرومانسكى ثم تلاه الفن القوطى • وهذان النوعان من الفنون المسيحية ، يطلق عليهما فنون العصور الوسطى بأوربا واستمرت حتى منتصف القرن الخامس عشر حينما جاء عصر النهضة • هذا عن فنون غرب اوربا ، أما عن شرقها فأهم ما أنتشر فيها من فنون هو الفن البيزنطى خاصة فى بلاد البلقان، وكان لهذا الفن عدة مراكز فى الغرب كالبندقية ورافنا - هذا وقد استمر الفن البيزنطى الى أن سقطت القسطنطينية فى يد الترك العثمانيين فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى •

وعندما كانت الفنون المسيحية منتشرة فى مصر وبلاد الشام وشمال افريقيا ، كان الفن الفارسى الساسانى الذى نبع من فنون بلاد ما بين النهرين (١) يسود بلاد الفرس وبلاد الجزيرة وتركستان وافغانستان وغيرها •• الى أن جاء الاسلام فى عام (٦٢٢م) وانتشر فى بقعة كبيرة من البلاد - من الهند والصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا - علاوة على وجوده فى بعض الفترات فى اسبانيا وصقلية ومالطه وغيرها من بلدان العالم الغربى • هذا وقد استمر الفن الاسلامى حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، ولذلك فقد كان معاصرا لفنون العصور الوسطى وعصر النهضة باوربا •

عندما جاء الاسلام لازالت الفنون الفارسية الساسانية منتشرة فى أرض الجزيرة وبلاد الفرس وغيرها من البلاد الشرقية • أما مصر وبلاد الشام وشمال افريقيا فقد كان يسودها الفن الاغريقى أولا ثم الرومانى ثم البيزنطى • وكان على الحضارة الاسلامية أن تصهر جميع الفنون التى قابلتها خاصة الفارسى الساسانى والبيزنطى وغيرهما من الفنون المحلية ويستخرج منها فنا جديدا يتناسب مع روح الدين الاسلامى الذى انتسب اليه ، كما يتناسب مع بيئة كل أقليم من هذه الاقاليم الاسلامية الشاسعة الاطراف ••• ذلك هو الفن الاسلامى بطابعه المميز وبمدارسه المختلفة • وقد استطاعت الحضارة الاسلامية ان تصدر فنونها الى العالم الغربى ، فصحت اوربا على شعاع هذه الحضارة منبهرة بها •• مقلدة لها •• بل وتعلمت منها الكثير •

---

(١) تأثر الفن الفارسى بفنون بلاد مابين النهرين تأثيرا كبيرا حتى أن معظم أثاره كانت فى أرض الجزيرة وعلى حدود العراق مما يدعو الى القول بان الفن الفارسى الساسانى ما هو الا أحد فنون الشرق العربى وليس غريبا عنها كما يعتقد العديد من علماء الغرب •

الباب الاول

الفصل الاول

الجوانب الايجابية للتسامح الديني

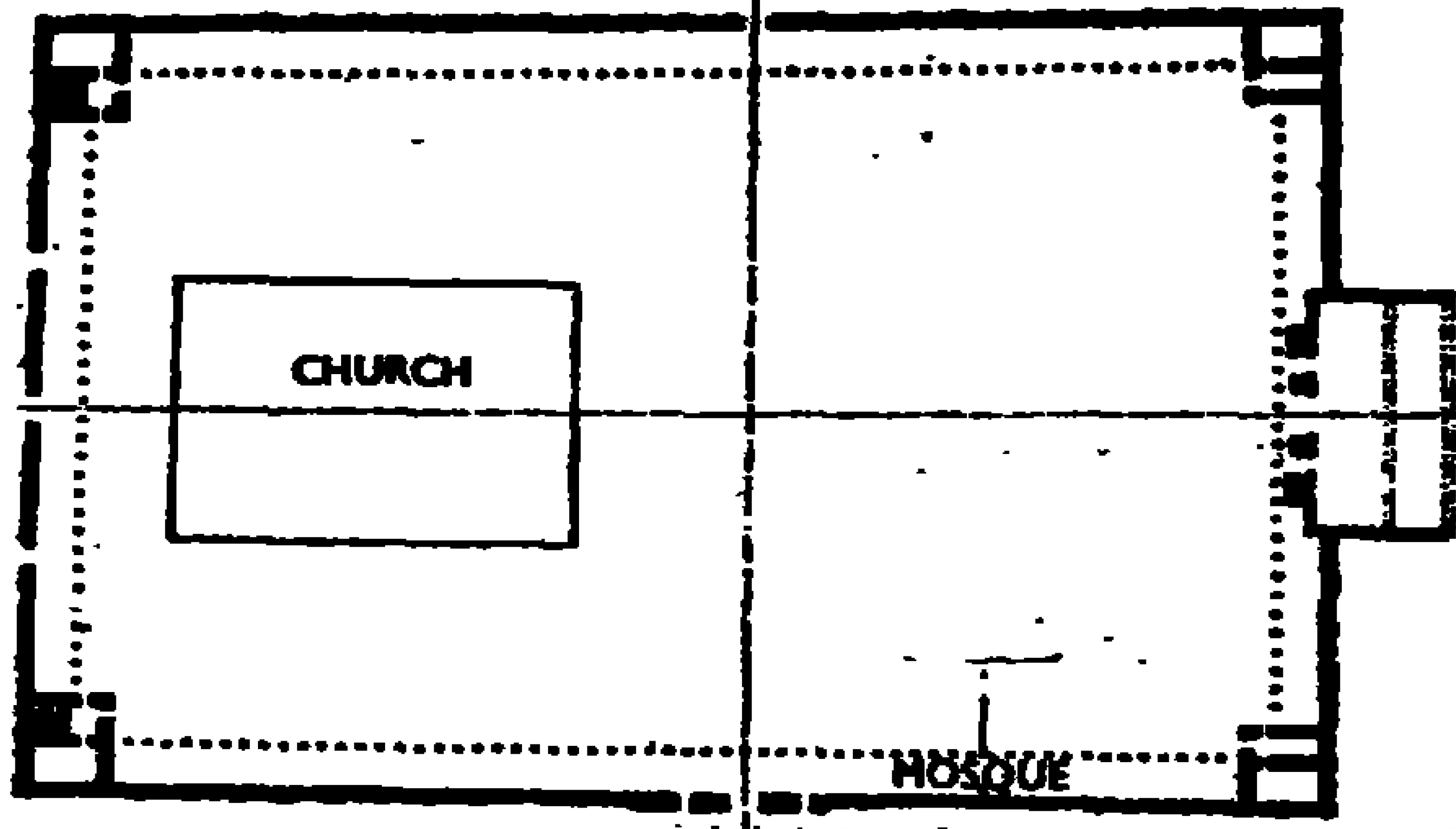
دعا الدين الاسلامي كما دعت جميع الاديان الى التسامح والمحبة وعدم التعصب ... لذلك كان هذا من اهم العوامل التي ساعدت على نشر الحضارة الاسلامية وتقبلها في أوربا في وقت كانت فيه ترزح تحت اثقال العصور المظلمة .

والمقصود بالتسامح الديني أن لا يكون الدين عائقا لحركة التفاعل الفكري والفني ... وألا يمتد الصراع الى ميادين العمل الفني .. واذا كانت الحروب قد اشتعلت بين الشرق والغرب وكانت تميل الى هنا تارة أو الى هناك تارة اخرى ، فقد كان في مجال الفنون متسع للمعايشة والتفاهم ، وكانت الفنون ميدانا للتعبير عن التآلف والمشاركة الانسانية والوجدانية ولقد انعكس جانب التسامح على سلوك المسلمين والمسيحيين على السواء في مجال التبادل الفكري أو الرضا الفني وظهر ذلك في مجالات عديدة منها تأثر فنون الغرب بالفن الاسلامي تأثيرا واضحا خلال العصور الوسطى وذلك بفضل هذا التسامح الذي ساد قنوات الاتصال المختلفة بين الشرق والغرب ... ولكن قبل أن نبين هذا التأثير (موضوع هذه الدراسة) يجب أن نقر حقيقة اخرى وهي أن الفن الاسلامي تأثر أيضا بتأثيرات مسيحية نتيجة لتسامح المسلمين وتفتح عقولهم للافكار الانسانية ذات الطابع الحيوي .

أثر التسامح في العمارة الاسلامية

كان من الطبيعي عند بداية الاسلام أن يلجأ المسلمون عند انشاء مبانيهم الى صناع وطنيين من نفس الاقاليم التي فتحوها ، أو الى صناع أتوا بهم من ولايات مسيحية اخرى . لذلك فقد طعم الفن الاسلامي عند بدايته بجوانب من الحضارات الانسانية المختلفة . وهذا ما لمسناه في أول مبنى اسلامي قائم الى الآن وهو " قبة الصخرة " والتي تحمل بعض التأثيرات الرومانية والبيزنطية .

نتيجة للتسامح الدينى خلال الدولة الاموية كان الخليفة معاوية فى دمشق يصلـــى بالمسلمين بأحد أروقة المعبد الرومانـــى المنهدم والمسمى تيموفس Temenos وبجوار كنيسة يوحنا المعمدان (١) . وقد استعمل المسلمون فى ذلك الوقت ابـراج هذا المعبد أو أحد صوامعه الاربعة التى فى الاركان بمثابة مئذنه للدعوة الى الصلاة (شكل ١) ولا زال البرج الجنوبى الغربى (٢) قائما الى الان بالمسجد الاموى الكبيـــر بدمشق كاحد مآذنه .



(شكل ١) معبـد النيموتـــس

هذه الابراج أوحت الى معاوية ان يأمر مسلمه بن مخلد واليه على مصر عندما كان يقوم بتوسعة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط عام (٦٧٢ م) ان يبنى أربع صوامع فى اركانـــــه لاستعمالها للدعوة الى الصلاة . ولذلك كانت هذه الابراج التى اندثرت الآن أول مآذن فى العالم الاسلامى .

هذا التسامح الدينى لمسناه أيضا فى مصر عندما تولى بدر الجمالى الوزارة فى العصـر الفاطمى وكان ارمنى الاصل ، كما انه احضر العديد من العمال والمهندسين من ارمينيـــا لمشاركة المسلمين فى بناء السور الحجرى الثانى لمدينة القاهرة الفاطمية فى اواخر القـــرن الحادى عشر الميلادى والتى لازالت اجزاء منه ببعض ابوابه باقية الى الآن .

كما أن فتح مصر من قبل الفاطميين عام (٩٦٩ م) الذين جاءوا من المهدية بتونـــس كان على يد القائد جوهر الصقلى ، وكما يدل اسمه فقد كان من اصل صقلى ، وهو الـــذى انشأ مدينة القاهرة المعزيــة .

وهناك مدخل مدرسة الناصر محمد بشارع المعز لدين الله بالقاهرة والذى بنى عـــام (١٣٠٤ م) ، فانه قوطى الطراز نقل من كنيسة سان جون بعكا على يد الاشـرف خليـــل

---

(١) انظر كتاب Creswell : Early Muslim Architecture Vol. 1

(٢) يعتبر هذا البرج هو المئذنه الاقدم اما المآذن الثلاث لجامع دمشق فهى من عصر متأخر .

بعد ان فتحها علم (١٢٩٠ م) (شكل ٢)

وهكذا نجد بعض التأثيرات المسيحية فى العمارة الاسلامية نتيجة للتسامح وعدم التعصب ، لامجال لدراستها الآن .

ولكن ليس معنى هذا ان نوافق على آراء العديد من المستشرقين العلماء أمثال جورج مارسيه وسلادان[1] وبريجز وغيرهم من الذين ارجعوا عناصر الفن الاسلامى باكملها الى الفنون المسيحية ، بل وغالوا فى القول فذكروا ان تخطيط المسجد نابع من الكنيسة البازيليكية . (شكل ٣) أو البيزنطية . وليس فى هذا القول أى شئ من الصحة . وسوف افرد مقالا آخر خاصا بهذا الموضوع لتفنيد ارائهم وادعاءاتهم والرد عليها .



(شكل ٢) مدرسة الناصر محمد

---

(١) انظر كتاب الفن الاسلامى لجورج مارسيه ـ (دمشق ١٩٦٨ ص ٩٧ ، ٩٨) وغيرها وكذلك ماكتبه M. Van Berchem فى دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة العمارة .

تقليد التحف الاسلامية بأوربا

أدى التسامح الذى ساد بين الشعوب الاسلامية وغيرها الى خلق جو من التأثر والمعايشة فيها بين الشعوب فنيا وحضاريا • فمن خلال قنوات الاتصال المختلفة بين الشرق والغرب • فان فنانى الغرب خلال العصور الوسطى قلدوا العديد من التحف الاسلامية لشدة اعجابهم بها • ومن الثابت ان هؤلاء الفنانين كانوا يجهلون كل الجهل ماتعنيه الكلمات والكتابات العربية فاستعملوها كما هى كعنصر زخرفى دون وعى أو تفكير وزينوا بها تحفهم وملابسهم وقلدوها تقليدا اعمى حتى فى تحفهم الدينية وذلك بالاضافة الى عناصر الزخرفة الاسلامية الاخرى من هندسة ونباتية وحيوانية •

من هذه التحف نجد :ـ

١ ـ صليب ابرلندى مطلى بالبرنز البراق وكتب على الزجاج فى وسطه بالخط الكوفى عبارة " باسم اللـه " • وهذه التحفه محفوظة بالمتحف البريطانى [١] •

٢ ـ هناك لوحة مصورة لتتويج السيدة العذراء لاحد المصورين الفلورنسيين تبين الحروف العربية فى وشاح تحمله الملائكة [١] (شكل ٤) •

٣ ـ كذلك نجد أحد ابواب كاتدرائية Le Puy بفرنسا عمل من الخشب ونحت عليه زخارف اسلامية وحروف كوفية (شكل ٨٨) •

٤ ـ هناك صليب آخر من العاج ذو حجم كبير يستعمل فى الاحتفالات • زخرف بزخارف اسلامية من عناصر حيوانية شديدة الشبه بتلك الزخارف الفاطمية (شكل ٥) ولم نجد به أى شارات مسيحية [٢] وهذه التحفة محفوظة بمتحف اللوفر بفرنسا •



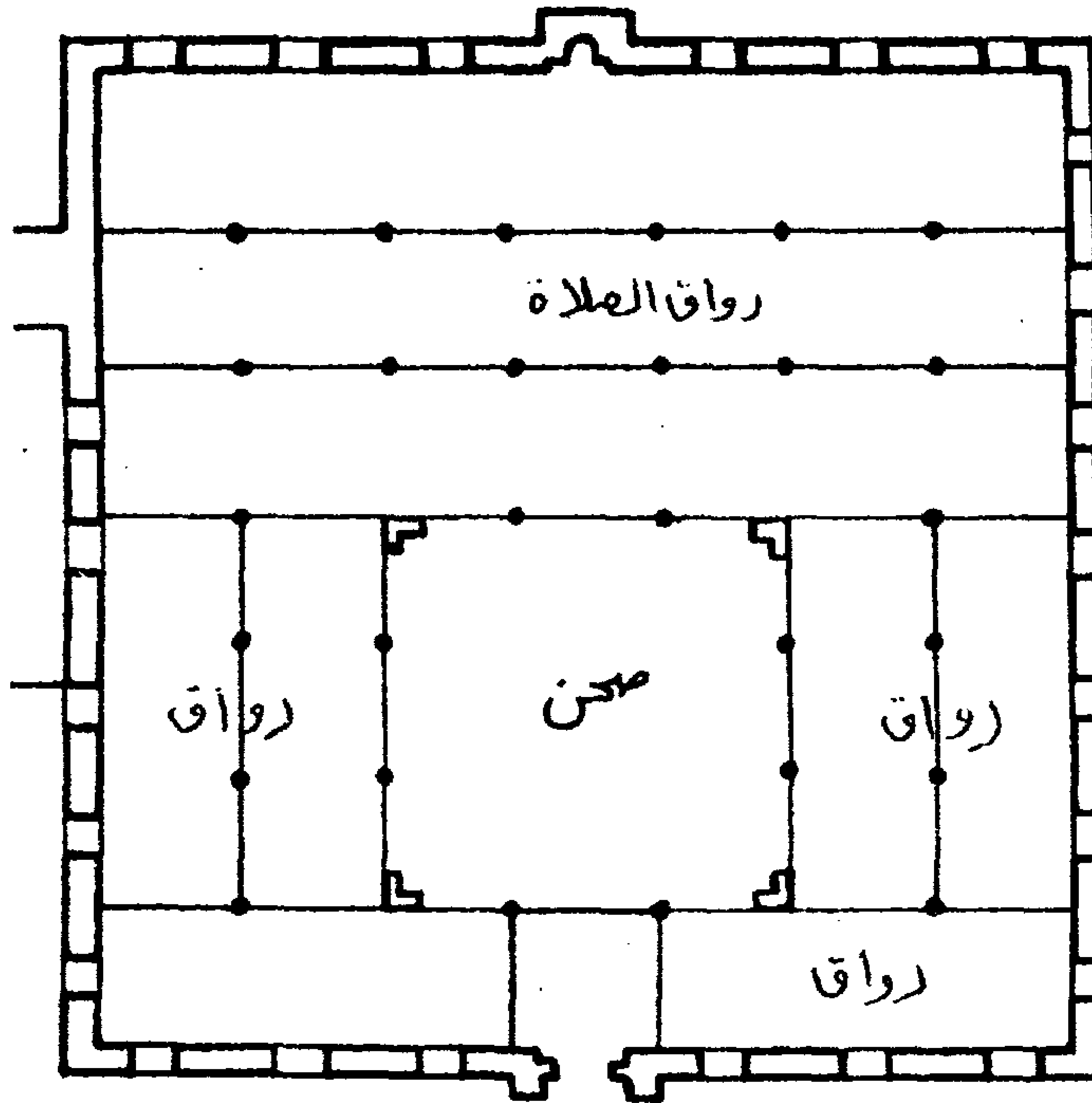


(شكل ٤) لوحة مصورة لتتويج السيدة العذراء

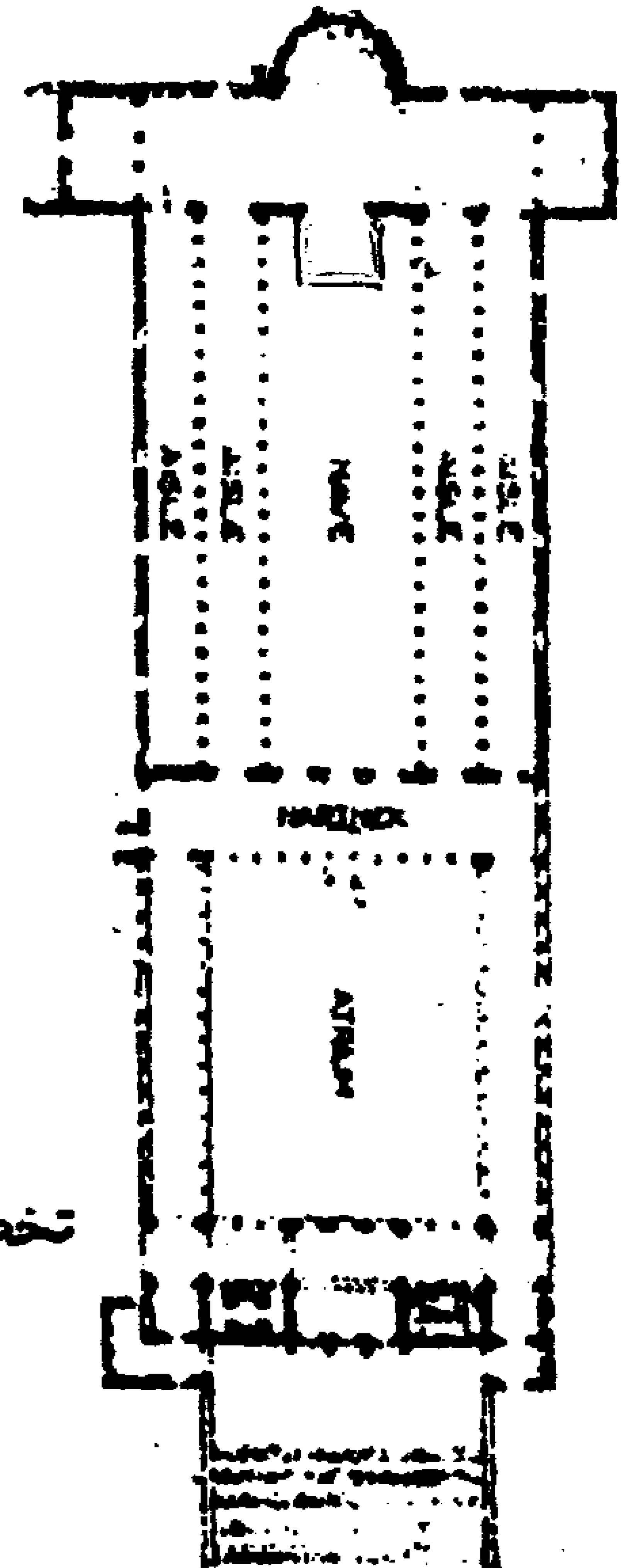
(١) انظر كتاب : تراث الاسلام ـ تعريب جرجيس فتح اللـه

(٢) انظر كتاب الفن الاسلامى فى اسبانيا •

مقارنة بين تخطيط المسجد
وتخطيط الكنيسة



تخطيط المسجد التقليدى



تخطيط لكنيسة بازيليكية

(شكل ٣)

التأثير الاسلامى





(شكل ٦)

عملـه مسيحيـة

(شكل ٥)

صليب من العاج

حشوات عاجيـة فاطميـة





٥ ـ وفى احدى العملات الذهبية والتى ترجع الى نهاية القرن الثامن الميلادى كتب عليها اسم الملك المسيحى التى عملت فى عهده بحروف لاتينية ، وحول هذا الاسم كتابات وارقام عربية تميز منها " ١٥٧ هـ " ولابد أن هذا التاريخ الهجرى هو للعملة الاسلامية التى قلدت منها دون دراية أو معرفة بمعانى الكلمات العربية •

كما ان هذه العملة المسيحية (شكل ٦) فى جملتها شبيهه كل الشبه بالدينار الاسلامى وهى محفوظة الان بالمتحف البريطانى • وان دل هذا التقليد على شيء فانما يدل على عدم معرفة معانى هذه الكلمات العربية بالرغم من تداولها بين الناس على جميع مستوياتهم وخاصة بين الهواه والفنانين • وتعترف Devonshire (١) بجهل هؤلاء باللغة العربية بالرغم من انتشارها كعنصر زخرفى فى العديد من التحف المسيحية باوربا •

ولانريد ان نحصر هذه التحف فهناك العديد منها يحمل الكلمات العربية كعنصر زخرفى أو تحمل العناصر الاسلامية الاخرى تزين الاوانى المعدنية المكفته (المطعمة) بالذهب والفضة والاوانى الزجاجية والمنسوجات وغير ذلك من التحف المنقوله المتأثرة بالفن الاسلامى لحد كبير • نجد هذه التحف المسيحية بالمتحف البريطانى وغيره من متاحف اوربا •

---

(١) انظر كتاب R.L. Devonshire : Qulques influence Islamique sur les arts de l'europre.

التسامح الديني عبر قنوات الاتصال بين الشرق والغرب

أما وسائل الاتصال بين الشرق والغرب خلال العصور الوسطى والطرق التى سلكتها الاساليب الفنية الاسلامية للوصول الى اوربا خلال تلك الفترة كانت عبر قنوات عديدة منها التجارة والحروب الصليبية • ولكن أهم تلك القنوات كانت عن طريق البلدان والاقاليم الاوربية التى وقعت تحت الحكم الاسلامى حيث كان التسامح الدينى سائدا فى جميع اوجه الحياة ••• فقد عمل فيها المسلم بجانب أخيه المسيحى فى مختلف الاعمال فى محبة وسلام وتسامح ، وليس ادل على ذلك من أن أهالى تلك البلدان اقتبسوا العديد من الكلمات العربية وادخلوها فى لغاتهم الاصلية واستمر العمل بها حتى اليوم •

وترجع أهمية تلك الاقاليم فى نشر الحضارة الاسلامية باوربا لكونها جزءا من القارة الاوربية وكان الاتصال وثيقا بينها وبين جيرانها من البلدان الاخرى • وسنعرض فيما بعد أهم تلك الاقاليم وهى صقلية واسبانيا •

كما أننا لانستطيع ان نتجاهل النفوذ التركى العثمانى فى شرق اوربا حينما استولى العثمانيون على القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى وامتد سلطانهم ونفوذهم على الكثير من دول شرق اوربا وغيرها حيث كانت هناك معاهدات واتصالات وثيقة وديـة بين ملوك اوربا وبلاط الخليفة العثمانى لما كان له من نفوذ قوى • ومن الطبيعى أن يكون هذا عاملا آخر نفذت منه الحضارة الاسلامية الى الغرب نتيجة للتسامح والعلاقات الطيبة بين المسلم واخيه المسيحى •

التجـــارة :

من الطبيعى أنه لا يمكن أن تزدهر التجارة بين الدول دون هذا التسامح • فقد وجدنا منذ القدم علاقات تجارية بين الشرق والغرب ، تارة عن طريق البحر بين الموانى الشرقية وبين بلاد اليونان وغيرها ••• وتارة اخرى عن طريق البر حيث سلكت القوافل المحملة بمختلف المنتجات الشرقية طريقها الى اوربا عبر آسيا الصغرى عن طريق القسطنطينيـة •

ويذكرنا التاريخ نتيجة لهذا التسامح عن المعاهدات التي كانت تعقد بين ملوك اوربا امثال روجر الثاني ملك صقلية في القرن الثاني عشر الميلادى من جهة وبين مصر وبلاد الشام من جهة أخرى ٠٠٠

لذلك انتقلت الاقمشة الدمشقية من دمشق والموسلين من الموصل وغيرها الى الغرب وسميت المنتجات باسم البلاد التي جاءت منها ٠٠٠ وقد أعتبرت الكثير من المدن الايطالية كالبندقية ورافنا وغيرها مراكز للفنون الشرقية وسوقا لعرض المنتجات والمصنوعات والتحف الاسلامية ، بل واكثر من ذلك فقد أقيم في هذه المراكز مصانع لتقليد هذه التحف لشدة الاقبال عليها كما ذكرت سابقا ٠

ومن هذا نجد أن العلاقة التجارية كانت سببا في تدعيم التسامح الدينى والتعاون الوثيق بين المسلمين والمسيحيين ٠

<u>الحروب الصليبية :</u>

لقد امتدت فترة الحروب الصليبية حوالى مائتى عام ، ورغم انها قامت على أساس دينى يظهر فيه التعصب واضحا فى أسمها حيث قامت تحت دعوى الصليب مغلفه بالدافع الدينى فى الغرب ٠٠٠ ولكن ما لبث الغزاه أن يقفوا طويلا يلتقطون أنفاسهم ويتعلمون الكثير من الشرق منبهرين باخلاقيات الاسلام والمسلمين ٠٠٠ وقد أتاح ذلك للتسامح فرصة الظهور فى كثير من المجالات حيث ظهر بشكل واضح فى التجارة ، فجاء التجار الاوربيون وخاصة الايطاليون فى اعقاب فرسان الفرنجه يمارسون نقل التحف والمنتجات والمحاصيل ليس فقط من بلاد الشام بل ومن الهند والصين وغيرها الى جميع انحاء أوربا ٠

نتيجة للتسامح الدينى وتنشيط الحروب للعلاقات التجارية أن أنشىء خط ملاحى منتظم عبر البحر المتوسط لشحن البضائع ونقل الحجاج من اوربا الى بيت المقدس وبلاد الشرق الاسلامى ، واصبحت البندقية ومرسيليا مركزين لادارة هذا الخط ٠ وكان من نتيجة هذا ان اقيمت المصارف والبيوت المالية فى الغرب والتى ساعدت على تشجيع شراء المنتجات الشرقية واقتناء التحف الاسلامية ٠

نتيجة اتصال الغرب بالشرق عن طريق هذه الحروب أن قلدوا العديد مما شاهدوه من المباني الاسلامية وخاصة تلك المباني الدفاعية ، فانتقل تصميم القلعة المركزية Concentric castle من الشرق الى الغرب وشاع بناؤها في انجلترا وفرنسا وغيرها.وما قلاع المملكة اللاتينية ببيت المقدس ، الا صورة من القلاع الاسلامية ببلاد الشام كقلعة حلب ٠

كما أن بناء الاسوار المزدوجة خلال العصور الوسطى ، والتى تحيط بالحصون والقلاع والقصور الاوربية ذات الابراج الدفاعية ما هى الا فكرة اسلامية مأخوذة من الشرق، وجدناها اولا فى العمارة المصرية القديمة ثم ظهرت بعد ذلك فى العمارة الفارسية الاخامينيه ، ثم اخذها الاسلام كما فى مدينة بغداد الدائرية عام (٧٥٢م) ٠



(شكل ٧) قصر جايار بفرنسا

ومن أمثلة هذه المبانى الدفاعية فى الغرب قصر جايار Chateau Gaillard الذى بناه ريتشارد قلب الاسد بفرنسا عام (١١٩٦م) (شكل ٧) ٠ ونلاحظ ان به العديد من التأثيرات الاسلامية ٠

بفضل التسامح الدينى وجدنا ان هذه الحروب كان لها مزايا عديدة على شعوب اوربا ، فقد وجهت هذه الحروب الى اعداء جدد بأسلحة وأساليب وخطط عسكرية جديدة فى فنون الحرب (كالحمام الزاجل مثلا) ،وكان لهذا أثر كبير فى تطور فنون الحرب بالغرب ، وعلاوة على ذلك فقد كانت هذه الحروب سببا قويا فى معرفتهم لحضارة وفنون الشرق ، وكان من نتيجة ذلك ان حصل تطور اجتماعى واقتصادى كبير فى أوربا بفضل مالمسوه وتعلموه من نظم الحياة الاسلامية ٠

لذلك كانت الفنون ميدانا يعلن فيه التسامح عن نفسه اذا سالت الدماء فى ميدان القتال ، وكان صوت التسامح عاليا فى مجال الفنون ٠

صقليـــة :

كانت صقلية منذ عام (٥٣٥ م) الى عام (٨٢٧م) تحت الحكم البيزنطى ثـــم فتحها العرب الاغالبة فى منتصف القرن التاسع الميلادى ، واستولوا على بعض مدنهـا وصارت جسرا لشن غاراتهم على جنوب ايطاليا . ولم يستمر الحكم الاسلامى طويـلا فى هذه الجزيرة فقد أتحد النورماند يون مع البيزنطيين فى عام (١٠٣٨ م) لطـــرد العرب . ومنذ اوائل القرن الحادى عشر الميلادى بدأ زوال الحكم الاسلامـــى شيئا فشيئا . واستولى النورماند يون على جنوب ايطاليا فى عام (١٠٦١ م) ومنهـا عبروا الى جزيرة صقلية واستقروا بها .

وبالرغم من ذلك لم تنطفىء شعلة الفن الاسلامى فى تلك المناطق بل بالعكـس ازدهرت نتيجة للتسامح الدينى الذى اولاه النورماند يون الى المسلمين ، فعـــاش المسلم بجوار أخيـه المسيحى فى محبة واخلاص وسلام .

نتيجة لهذا التسامح نجد العديد من علماء العرب من أطباء وشعراء فى بـلاط ملوك النورماند يين يلقون حفاوة وتشجيعا كبيرا .... ومن الشخصيات الاسلاميـة التى لمعت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، الجغرافى " الادريسى " الذى كان يعمـــل فى بلاط الملك " روجـر الثانى " ملك صقلية الذى أحب الثقافة الاسلامية ، ولشـــدة ثقتـه بهذا الرجل كلفـه بعمل كتاب فى الجغرافيا خاص به ، أسوة بما كان متبعـــا من قبل للملوك العظام أمثال الاسكندر الاكبر والخليفة المأمون .

وقد ذكر الادريسى فى كتابه " نزهة المشتاق فى اختراق الافاق " ان روجـــر كان قد بعث رسله الى جميع انحاء العالم ليحصلوا على معلومات جغرافية لادراجهـــا ضمن كتابه . كما أمره روجـر برسم خريطة كبيرة للعالم .

ويدلنا هذا على مدى التســامح الديـنى بيــن الملوك المسيحيين والمسلمين .

كان من أهمية صقليــة الفنيـه أن انواعا من الثياب التى كان يرتديها ملوك الجرمان فى القرون الوسطى وهى التى بها نقوش عربية ، كنوع من الزخرفة ، كانوا يوصون أن تخاط

لهم ثيابهم فى صقلية ، حيث الصناعة والفن الاسلامى مزدهرا ن فيها . واستمر هذا الوضع مددا طويلة .

نتيجة لمثل هذا التسامح نجد العديد من آثار صقلية وخاصة بالعاصمة بالرمو والجهات القريبة منها ، تحمل تأثيرات وعناصر اسلامية عديدة ، بالرغم من أنها بنيت بعد خروج المسلمين .

ومن أمثلة تلك المبانى : كنيسة Palatina (١) (١١٣٢م) — كنيسة San John of Hermites (١١٣٢م) — كنيسة Martorana (١١٣٦م) قصر العزيزه La Ziza (١٤٥٤م) — قصر القبه La Cuba (١١٨٠م) وغيرها الكثير من الكنائس والقصور التى خرجت عن هيمنة المسلمين على الجزيرة حيث خرجوا منها عام (١٠٩٠م) . أى ان جميع هذه المبانى تؤرخ من عصر النورما ن وفيها العديد من التأثيرات الاسلامية .

لهذا كانت صقلية من أهم بلدان اوربا التى ساعدت فى نقل الحضارة الاسلامية اليها ، ويرجع ذلك لكونها نقطة الاتصال بين العالمين الكبيرين الاسلامى والمسيحى ، ويأتى دورها بعد الدور الذى لعبته اسبانيا فى هذا المجال .

---

(١) Chappella Palatina كنيسة صغيرة تقع فى القصر الملكى ببالرمو وهى بناء نورماندى وكانت النموذج لكاتدرائية مونريال (١١٧٦ — ١١٨٢م) وفى هذه الكنيسة نجد المقرنسات والعقود وغيرها من العناصر الاسلامية .

الفصل الثانـــي

الدور العربي في اسبانيا كأهم عامل في نشر الحضـــارة الاسلاميـة بأوربـــــا

لعبت اسبانيا ـ اهم قنوات الاتصال بين الشرق والغرب ـ دورا رئيسيا في انتقـال الحضارة الاسلامية الى أوربا خلال العصور الوسطى ـ لذلك اردت التعرف بايجاز علـى هذه الحضاره بوجه عام والفنون والعمارة الاسلامية بوجه خاص في هذا الاقليم من العالـم الاسلامي ، والاسباب التي ساعدت على انتقالها الى اوربا ، وكيف كان للتسامح الديـنى دورها في هذا المجال ؟

نبذة تاريخيـة :

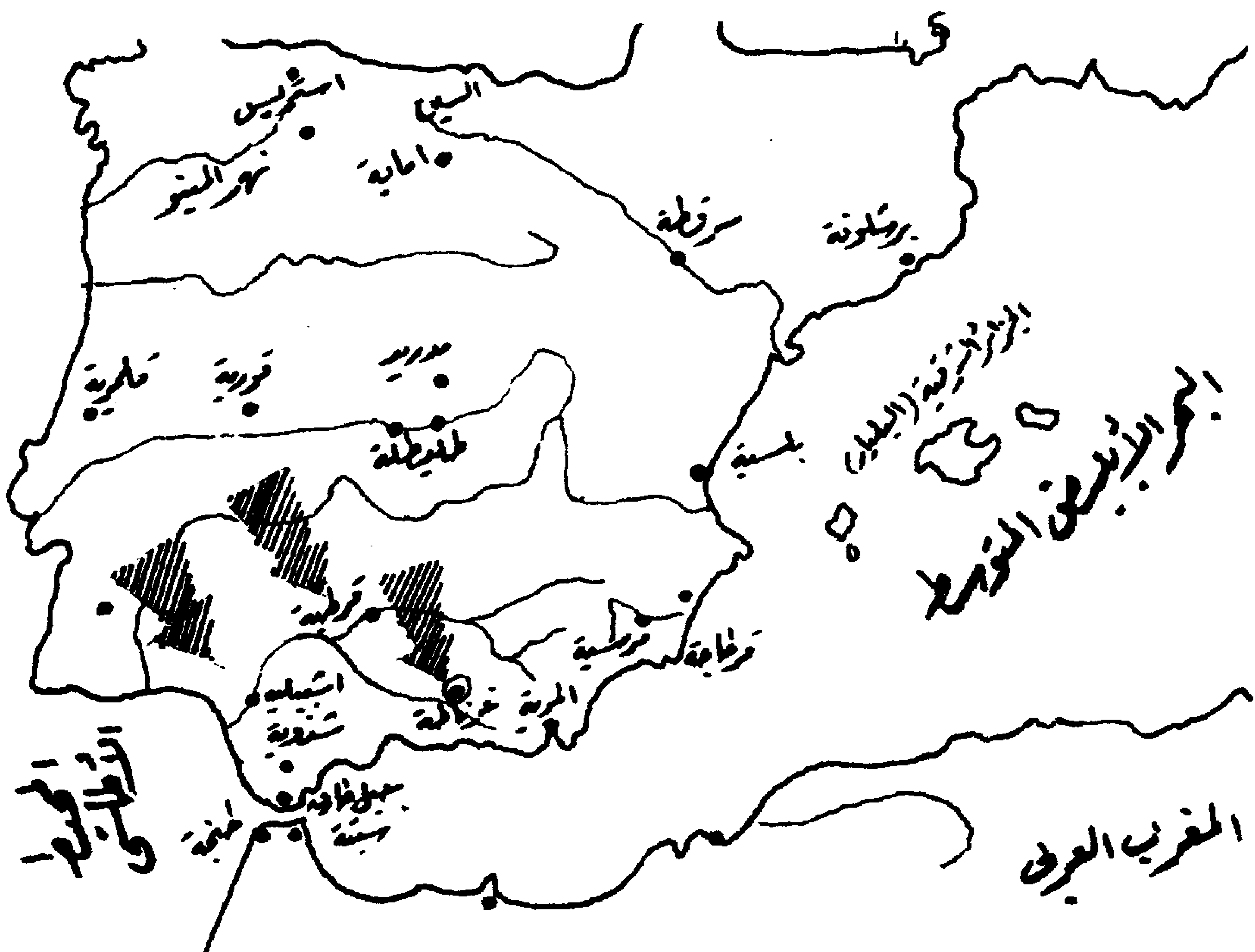
عندما كان موسى بن نصير حاكما على شمال افريقيا في العصر الاموى ،أرسل قائده طارق بن زياد لفتح الاندلس عام (٧١١م) ، وبعد ان تغلب جيش المسلمون على جيش رودريك (لزريق) ملك اسبانيا في ذلك الوقت ، تقدم طارق نحو الشمال وواصل فتوحاتـه واحتل العاصمة طليطله بدون عناء •

وفي عام (٧١٢م) عبر موسى بن نصير الى الاندلس وتحت قيادته جيش عربي آخـر ففتح مدينة اشبيليه عاصمة الرومان القديمة وغيرها من المدن • والتقى بطارق في طليطلـه وزحفا معا على العديد من المدن الاخرى ، ولم يمض عامان حتى كانت معظم بلـدان شبه الجزيرة تحت الحكم الاسلامي •

وبعد انتقال الخلافة الى بغداد ومجيء الدولة العباسية ، استطاع عبد الرحمـن الاول (الداخل) حفيد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك أن يهرب من بـلاد الشـام الى المغرب ، ثم استطاع أن يعبر الى الاندلس مع بعض انصاره عام (٧٥٥م) وانتصـر على الحاكم العباسي لاسبانيا • وبذلك تكونت دولة امويـة في الاندلس ابتـداءا مـن عام (٧٥٦م) وكانت عاصمتها قرطبـه •

ومن أهم امراء هذه الدولة الحكم وهو الملقب بالمنصور وعبد الرحمن الاوسط وعبد الرحمن الثالث الذى يعتبر من اعظم ملوك بنى أميه وهو الملقب بالناصر لدين الله ، حكم عام (٩١٢م) وأتخذ لنفسه لقب الخليفة أمير المؤمنين ،وتوفى عام (٩٦١م) بعد أن حكم البلاد نصف قرن كانت العصر الذهبى للاندلس ، وبموت ابنه الحكم الملقب بالمستنصر بالله فى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، انتهت عظمة الدولة الاموية بالاندلس ، وأدى هذا الى توتر الحالة السياسية وبداية الانقسام . ونتج عن ذلك امران هامان ، أولهما قيام الحكام والامراء المسلمين الى الاستقلال بأقاليمهم وسموا بملوك الطوائف . والامر الثانى قيام مسيحى اسبانيا بانتهاز هذه الفرصه لشن الغارات على هؤلاء الملوك الضعفاء حيث استنجد بعضهم بالافارقه الذين دخلوا اسبانيا على موجتين الاولى وهم المرابطون واستطاعوا ان يحكموا طوال القرن الحادى عشر الميلادى النصف الجنوبى من اسبانيا ، والموجه الثانية وهم الموحدون من سكان جبال الاطلس المراكشيه استطاعوا ان يؤسسوا دولة كبيرة حكمت العديد من بلدان الاندلس طوال القرن الثانى عشر الميلادى ولكن هذه الدولة انقسمت فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى الى عدة دويلات منها دولة بنى مرين ودولة بنى نصر حكموا الاندلس خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى بأكملـه .

ونتيجة لانقسام المسلمين وعدم وحدتهم ، اشتدت غارات المسيحيين وبدات المدن الاسلامية تسقط الواحدة تلو الاخرى الى ان تركز الحكم الاسلامى فى مدينة غرناطه التى استسلمت فى عام (١٤٩٢م) وبذلك خرج العرب نهائيا من اسبانيا . (شكل ٨).



(شكل ٨)

خريطــة اسبانيــــا

الحضارة الاسلامية في الاندلس

عندما استولى العرب على اسبانيا ، بدأ عهد جديد أدى الى ثورة عارمة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية لا مجال لدراستها الآن . وكان من نتيجة هذا ان أزدهرت البلاد ونال اليهود والمسيحيون حريتهم بعد ان كانوا ارقاء للطبقة الحاكمة من الاقطاعيين ... وذلك بفضل ما كان عليه العرب من حضارة ممزوجة بتسامح الاسلام .

وبجانب اهتمام هؤلاء الحكام بهذه الاصلاحات لم ينسوا العمران واحياء فنونهم الاسلامية التي مارسوها من قبل ، نذكر منها :ـ

اولا : تجميل المدن وتزويدها بالمياه

كان اول عمل حضاري قام به الخلفاء الامويون في الاندلس تجميل المدن وتغذيتها بالمياه العذبه ... فاقاموا الحدائق والعديد من القناطر التي تحمل المياه من منابعها الطبيعية وتوصيلها الى المدن المختلفة عبر الجبال والوديان .

ومن امثلة هذه القناطر تلك التي أقامها عبد الرحمن الثالث عام (٩٤٠م) وكانت تغذى مدينة قرطبه وهي عبارة عن قناة محمولة على مجموعة من العقود الاسلامية الجميلة . أنسابت هذه المياه في قنوات واحواض ونافورات تحلي الميادين والحدائق والقصور ... وينم هذا عن طبيعة العربي وحبه رؤية المياه .

ثانيا : القصور

أنشأ الامراء والخلفاء المسلمون في اسبانيا العديد من القصور الفخمة التي تعتبر مدنا وحصونا ... ولكن بكل أسف لم يبق من هذه القصور والمدن الا أطلالها وبعض البقايا داخل اسوارها الحصينة نذكر منها :ـ

١ ـ الزهراء

بدأ عبد الرحمن الناصر بانشاء مدينة الزهراء بين عام ٩٣٦م وعام ٩٧٦م لتكون مقرا له وبنى مسجدها الجامع عام (٩٤١م) وتقع هذه المدينة على سفح الجبل المطل

على قرطبه يحيط بها سور مزدوج وشملت عدة مبانى منها دار للسكه وثكنات للجيش ودور الصناعة وقنطرة للمياه وعدة قصور أهمها قصر الزهراء تلك الملكه التى سميت المدينة باسمها ، وكان من محتويات هذا القصر بهو الاستقبال وقاعة تسمى بالمجلس الشرقى (شكل ٩) ونافوره تحيطها تماثيل حيوانيه مذهبه يجرى الماء من افواهها . وتقع هذه القصور فى الجزء العلوى من الجبل .

ويصف المؤرخون ما كانت عليه قصور تلك المدينة بما يشبه القصور الخياليه فى الف ليلة وليلة . ومن المؤسف لم يعثر المنقبون على شىء من كل هذا سوى بعض البقايا القليلة .



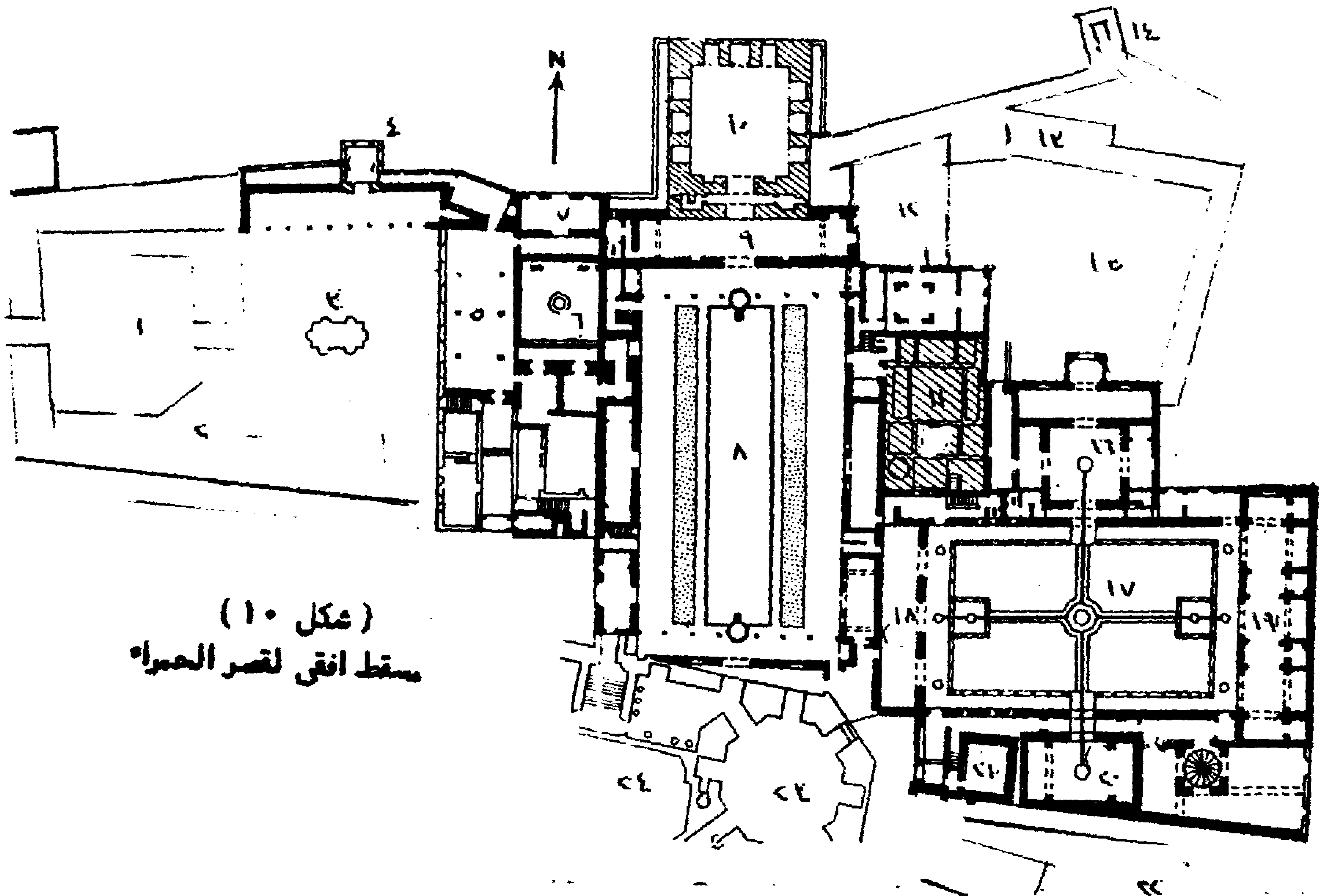
(شكل ٩) فناء بهو الاستقبال بمدينة الزهراء

٢ ـ قصر الحمراء (١)

تقع قلعة بنى الأحمر على قمة أحد التلال مقابل غرناطه وشملت القصر المشهور باسمها والذى شيد بين عام (١٣٠٩م) وعام (١٣٥٤م) ، وتعتبر الاجزاء المتبقيه منه

(١) يعرف باسم الـ Al-Hambra غنى بنقوشه الجصيه وكتاباته العربية التى يغلب عليها عبارة " لاغالب الا الله " حيث تكررت عدة مرات .

قصر الحمراء



(شكل ١٠)
مسقط افقي لقصر الحمراء

١ — الفناء الاول
٢ — اطلال الجامع
٣ — فناء ماتشوكا
٤ — برج ماتشوكا
٥ — قاعة المشور
٦ — فناء بهو القاعة المذهبة
٧ — القاعة المذهبة

٨ — فناء بهو الريحان
٩ — قاعة القارب
١٠ — قاعة قمارش
١١ — الحمام الملكى
١٢ — فناء الشريبة
١٣ — جناح شرلمان
١٤ — برج تزيين الملكة
١٥ — حديقة دار عائشة

١٦ — قاعة الاختين
١٧ — فناء بهو السباع
١٨ — قاعة المقرنصات
١٩ — قاعة ملوك العرب
٢٠ — قاعة بنى سراج
٢١ — البئر
٢٢ — الروضة
٢٣ — مصلى شرلكان
٢٤ — قصر شرلكان الخامس

من اعظم الاثار الاندلسية ومن أعظم التحف المعمارية الاسلامية التى خلفها لنا حكام بنى الأحمر • ولذلك فهى من أروع الآثار الاسلامية قاطبة (شكل ١٠) •

فى هذا القصر وضع المهندسون خلاصة فنهم وجعلوه قصرا خياليا تسبح فى زخارفه وعقوده الابصار وتنطلق الطبيعة بما فيها من خضرة وماء حول جوانبه بشكل جذاب بما حوت من دراسة عميقة رائعة من حيث جمال الزخارف ونسب المبانى وتنسيق الحدائق •

يتكون القصر من عدة مجموعات من الابنية يتوسط كل مجموعة منه فناء مكشوف كثيرا ما يتوسطه نافورة أو بركة ماء وهذه المجموعات ليست ذات محور واحد ويعتبر هذا من محاسن تخطيطه • فهى تتعامد مع بعضها وتتصل بالدهاليز والغرف •

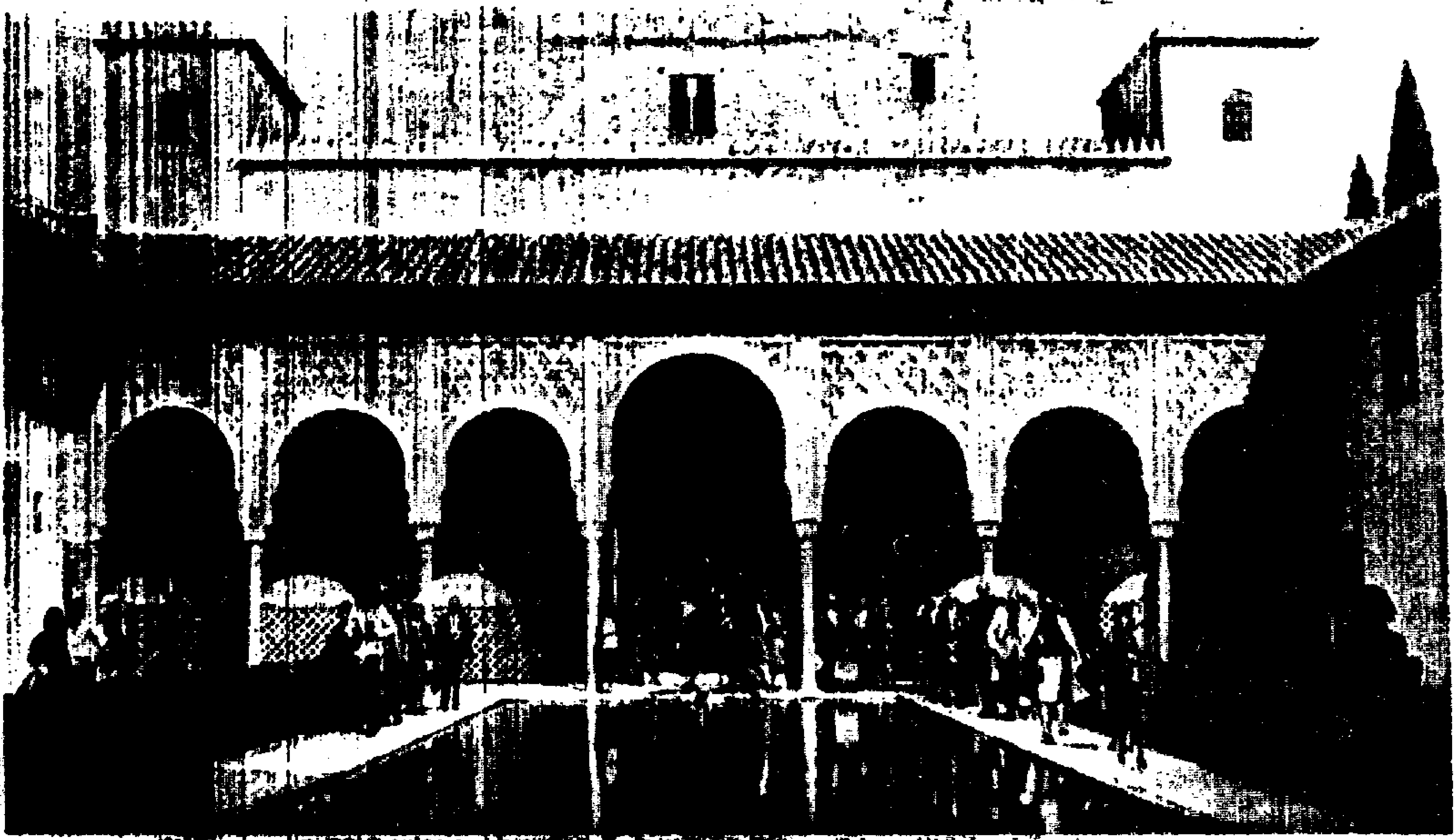
اختصت المجاميع الاولى بالمدخل الرئيسى وغرف الانتظار ودواوين الحكومة وقاعات الاستقبال الرسمية • أما المجاميع الخلفية فهى المخصصة للسكن الخاص • ومن المؤسف فقد اندثرت المجاميع الاولى ولم يبق منها الا أفنيتها واطلالها نميز منها فناء ماتشوكا تتوسطه نافورة وقد سمى هذا الفناء كذلك نسبة الى برج ماتشوكا الذى يقع خلف أحد الاورقة التى لازالت قائمة •

ويأتى بعد هذا الفناء أول مجموعة قائمة الى الآن وفيها المدخل المتواضع المؤدى الى قاعة المشورة وتعتبر اولى القاعات الباقية • يليها القاعة المذهبة المطلة على فناء صغير يطلق عليه اسم الفناء المذهب حيث يتوسطه نافورة اخرى • وقاعة المشورة هذه كانت مخصصة للاجتماع بالوزراء والمستشارين •

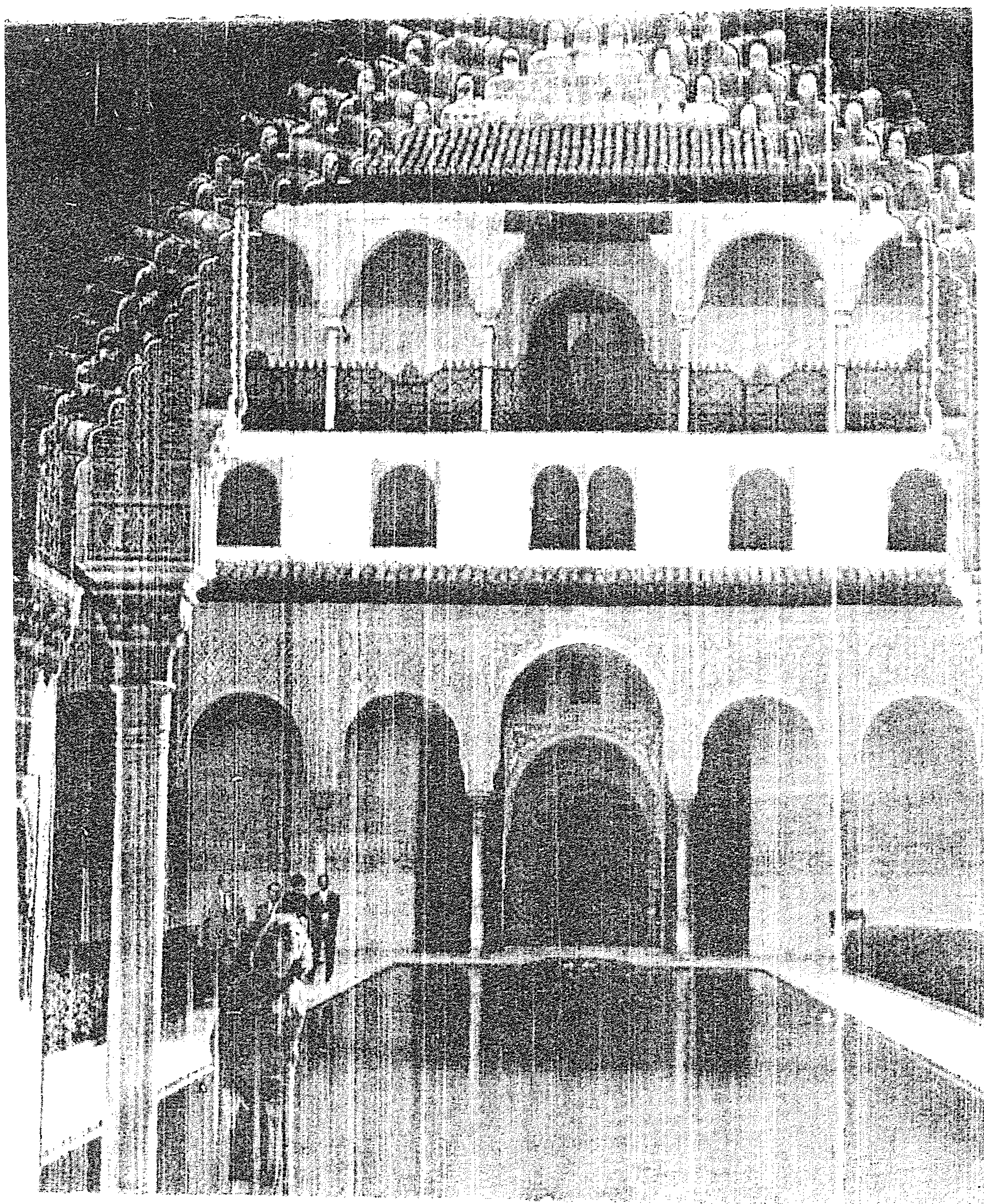
أما القاعة المذهبة فقد كانت قاعة انتظار واستراحة لكبار الزوار •

فى هذه المجموعة نجد فناءا كبيرا مستطيل الشكل يسمى بفناء الريحان أو فناء بهو قمارش (شكل ١١ و ١٢) أرضيته من الرخام ويتوسطه بركة مستطيلة يحف بها صفان من شجر الريحان المنسق بشكل جدارين • ويتصدر المحور الطولى لهذا الفناء قاعة السفراء (شكل ١٣) أو قاعة قمارش يؤدى اليها رواق مستعرض يسمى برواق البركة — وقاعة السفراء هذه ذات شكل مربع تقع على حافة الهضبة ومحاطة بالعقود

قصر الحمراء

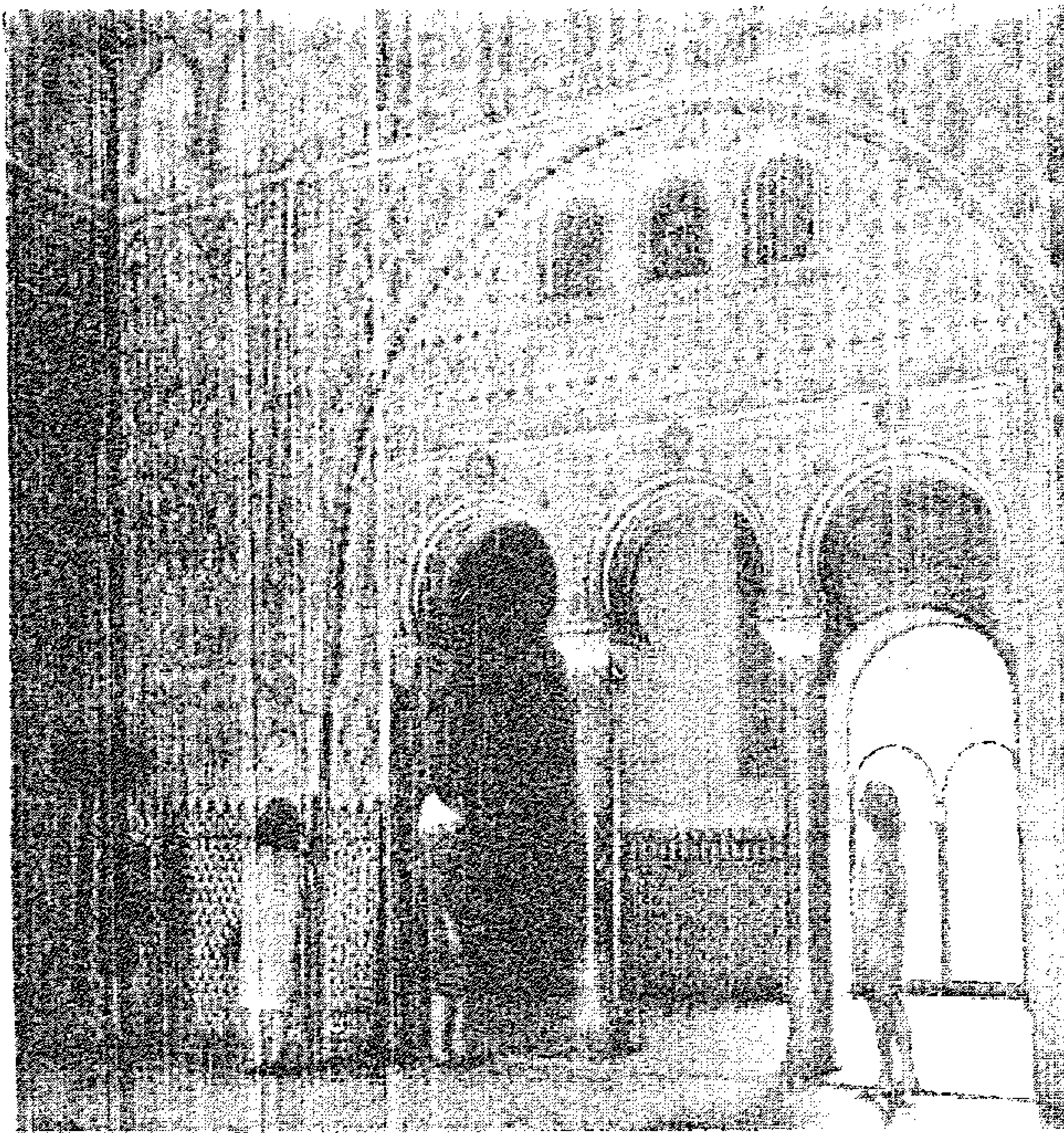


(شكل ١١)
فناء الريحان



(شكل ١٢)
فنـــاء الريحـــان

قصر الحمراء



(شكل ١٣)
قاعة السفراء

المرتكزه على أعمدة رشيقه من الرخام ومغطاه بقبيبه فى غاية الابداع ذات زخارف جميلة يحيطها نوافذ (قمريات) ذو حشوات رخامية حليت بزخارف مفرغة (مشبكات) (شكل ١٤) ٠

(١)
ويعلو قاعة السفراء برج يسمى ببرج قمارش وتنعكس ظلاله على صفحة ماء بركة فناء الريحان ٠

هذه المجموعة من عصر السلطان ابو الحجاج يوسف سابع سلاطين غرناطه وتسوءرخ من منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ٠

المجموعة الثانية وهى التى تلى السابقة فانها تقع متعامدة عليها وينحصر بين المجموعتين الحمام الملكى وجناح السكن ٠

يتوسط هذه المجموعة فناء مستطيل يوسطه نافورة جميلة من الرخام محمولة على اثنى عشر تمثالا من السباع ٠ ولذلك سمى هذا الفناء بفناء السباع (شكل ١٥) يقع فى محاوره الاربعة غرف تختلف فى مساحاتها فنجد قاعة المقرنصات وهى أصغرها ، يقابلها قاعة كبيرة تسمى بقاعة الملوك العرب وكانت تستخدم كمحكمة ٠ وفى المحور الاخر نجد قاعة بنى سراج يقابلها قاعة مربعة تسمى بقاعة الاختين ، ويجاور هذه القاعة غرفة البشر ـ هذه المجموعة يقع خلفها عدة قاعات تختص بجناح السكن الذى تهدم معظمه ولكن نستطيع ان نميز منها حديقة ودار عائشة كما نجد خلف غرف الحمام فناءا تحيطه بعض الغرف الخاصة ويسمى هذا الفناء بفناء المشربية ٠

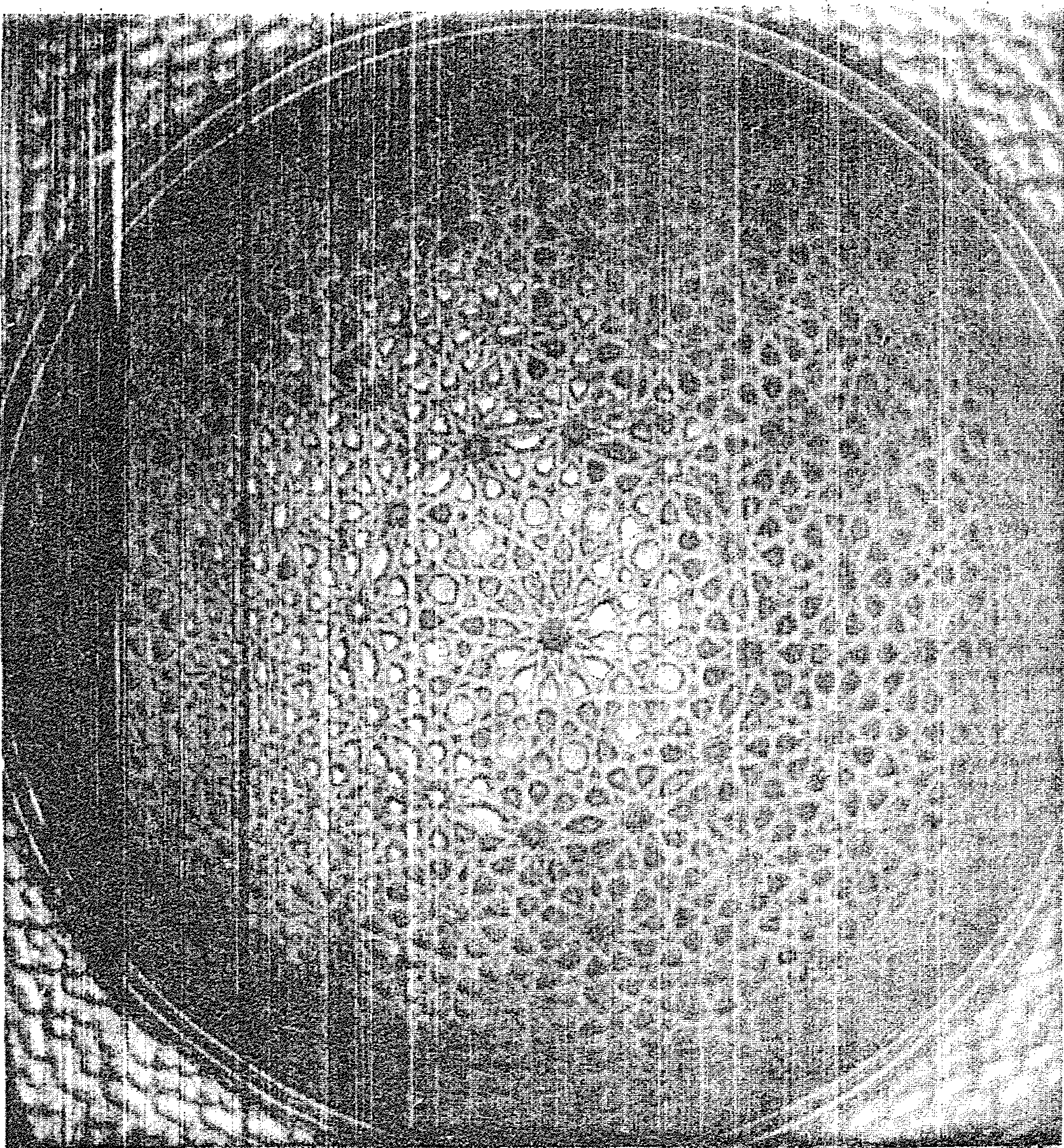
وهناك بعض المجموعات الاخرى التى أزيلت تماما أو اقيم على أنقاضها مبانى اخرى مسيحية ، ومن بقايا هذه المجموعات مجموعة البرطل لم يبق منها الا بعض الحدائق نرى منها فناءا يتوسطه بركه ماء رائعة الجمال يطل عليها مبنى صغير يقوم على خمسة عقود تنعكس ظلالها على تلك البركه (شكل ١٦) ٠

نجد خلف المجموعة الثانية قصر شارلكان وهو الامبراطور كارلوس الذى أقام الهيكل المسيحى وسط رواق الصلاة بجامع قرطبه ٠ وقد هدم جزءا كبيرا من مبانى قصر الحمراء لبناء هذا القصر ٠

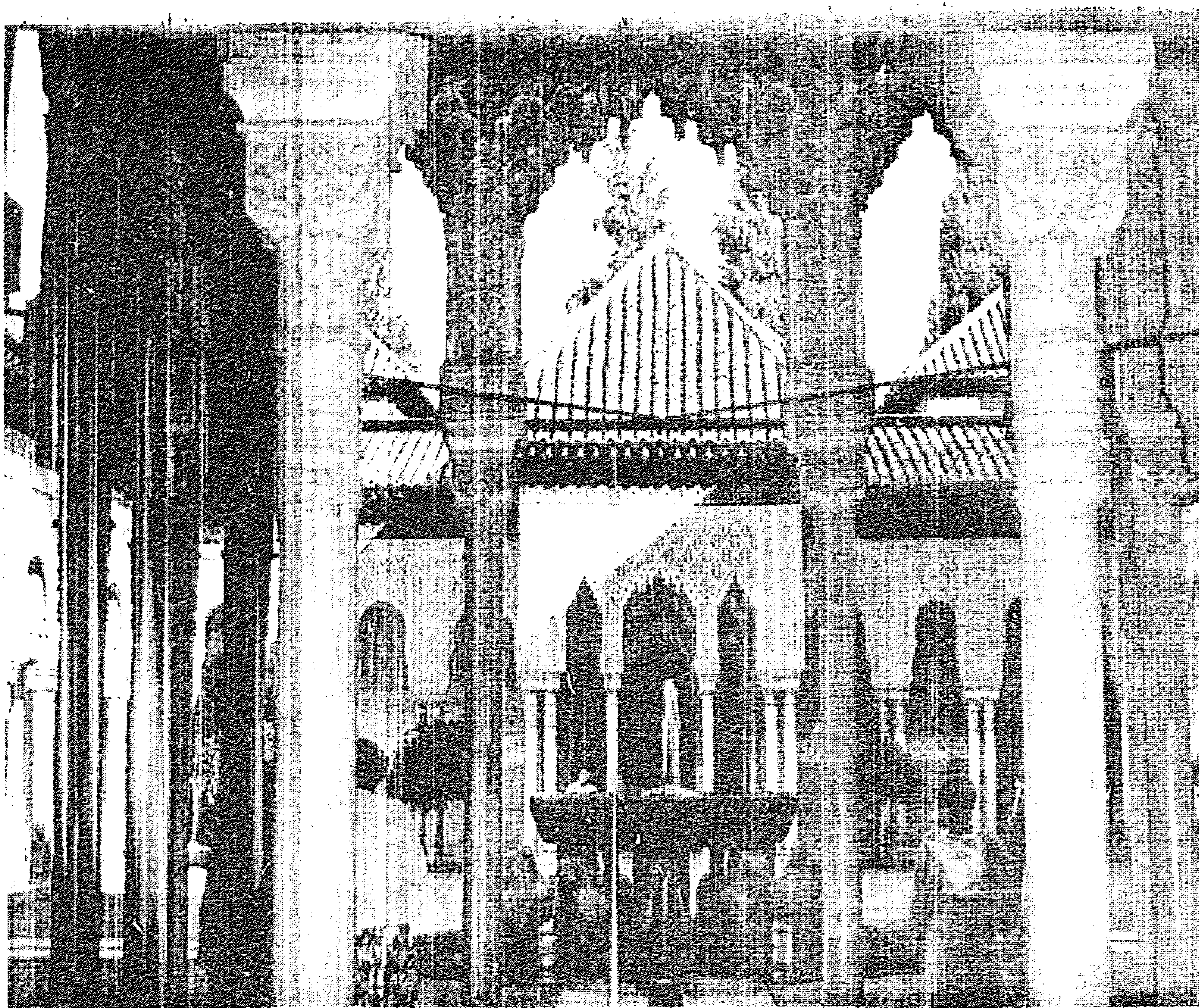
---

(١) سمى بهذه التسمية نسبة للقمريات باللغة الاسبانية ٠

قصر الحمراء

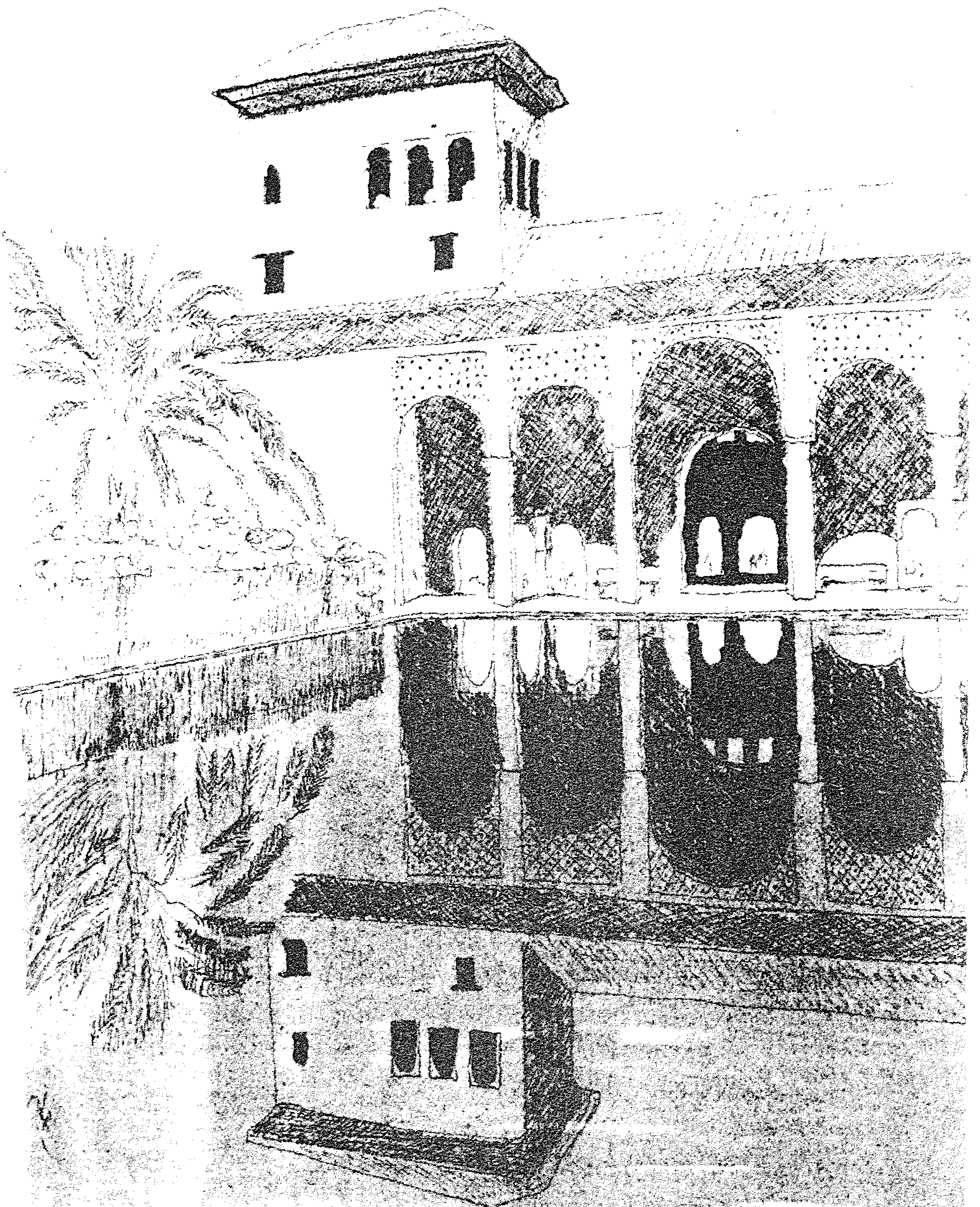


(شكل ١٤)
قبة قاعة السفراء



(شكل ١٥)
فناء السباع

قصر الحمراء



مجموعة البرطل

(شكل ١٦)

هذا ما تبقى من قصر الحمراء والذى يمكن أن نتناوله بهد البحث فى اكثر من موضوع للتعرف على عناصره وحداثقه بما فيها من جمال يعجز اللسان عن وصفها .

٣ ـ وهناك العديد من القصور الاخرى التى تهدمت او التى لم يبق منها الا القليل من اطلالها . نذكر من هذه القصور :ـ

ـ قصر الكزار Alkazar والمقصود هنا قصر اشبيليه . القصر الاول بناه الحكام المسلمون فى القرن الحادى عشر الميلادى ثم هدم هذا القصر وبنى مكانه فى نفس الموقع القصر الحالى للملك بدرو عام (١٣٦٠م) والمسمى بالكزار أيضا وهذه التسمية تطلق على العديد من القصور .

ـ قصر العامريه وقصر الزاهره : والقصر الاول عبارة عن قصر ريفى للخليفة المنصور بنى فى القرن العاشر الميلادى وهو الذى بنى أيضا قصر الزاهره واتخذه مقرا له وكان يقع على الجانب الايمن للوادى الكبير تجاه الزهراء وقد تهدم هذا القصر عام (١٠٠٩م) .

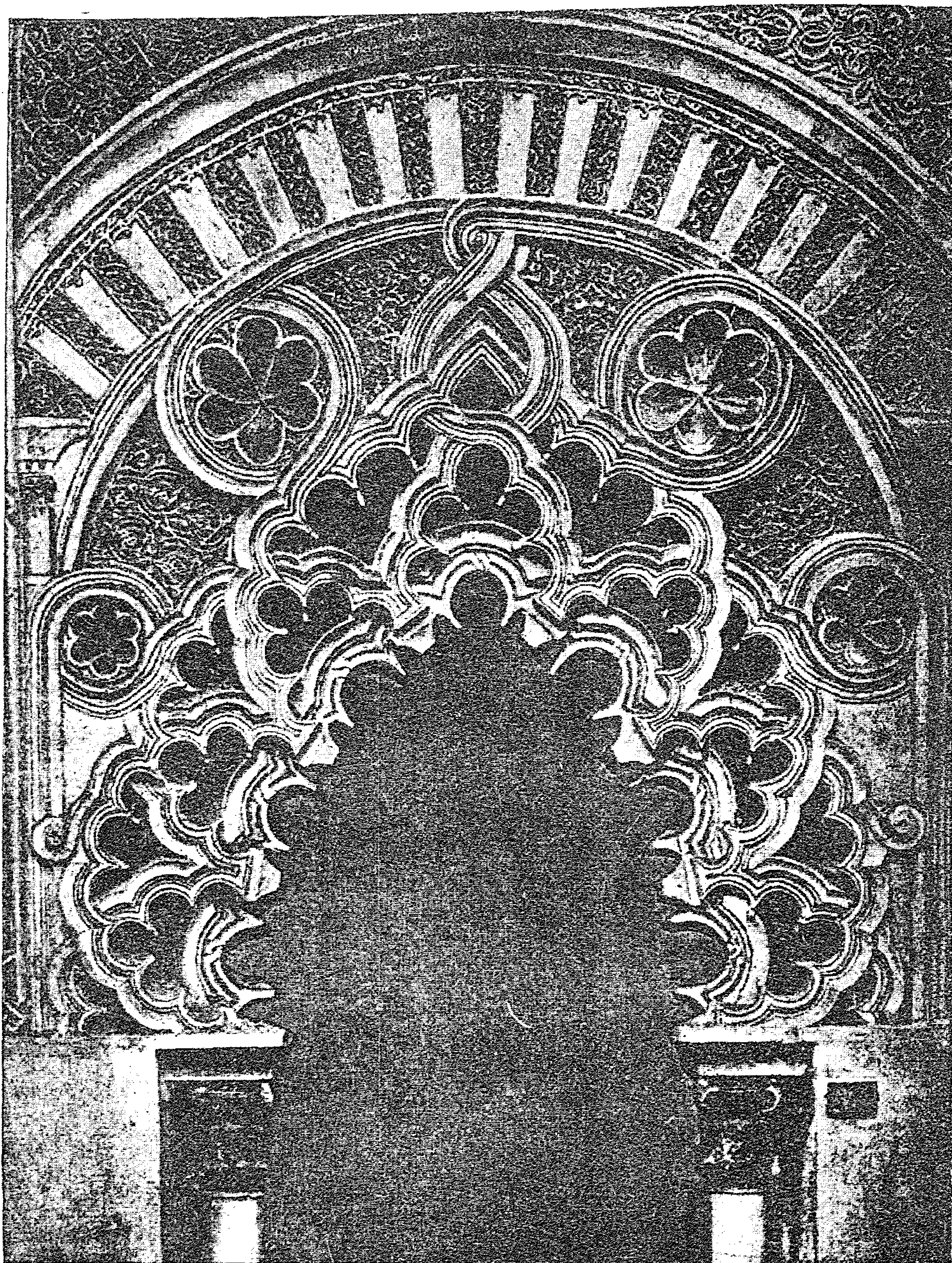
ـ قصر الجعفرية : بنى فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ويستعمل الآن كمقر عسكرى بمدينة سرقسطه ونجد من بقايا هذا القصر عقد مدخله (شكل ١٧) ويعتبر من اجمل العقود الزخرفية الاسلامية .

ـ وهناك العديد من القصور الاخرى فى طليطله وغيرها من مدن الاندلس لم يبق منها الا اطلالها .

ثالثا : الحدائق :

ان ما تبقى لنا من حدائق قصر الزهراء وقصر الحمراء يدلنا على مدى الاهتمام بالحدائق فى جميع العصور الاخرى والتى لاشك انها كانت لاتقل جمالا عن تلك التى لازالت باقية والتى تشهد بعظمه الدولة الاسلامية فى الاندلس وما كانت عليه قصور امرائها وخلفائها .

تلك الحدائق الاندلسية وتنسيقها فى المواقع داخل المبنى وخارجه لاشك أنها كانت مدرسة تعلم الاوربيون منها الكثير ، وكانت نموذجا لحدائق فرنسا وغيرها منذ عصر النهضة .



(شكل ١٧)
عقد مدخل قصر الجعفرية

قامت مدينة الحمراء وقصورها وسط حدائق غناء فنجد منها الاشجار الاستوائية تحيط بقاعة الاختين . كما نجد تلك الحدائق المسماه بحدائق جنة العريف وتقع شرق قصر الزهراء وشملت أشجار الحور والزهور والورود من كل نوع ومن كل شكل ولون .. بعض هذه الاشجار منسق باشكال جدران على جانبي الممرات أو بأشكال هندسية غاية في الجمال .

ومن أجمل مناظر تلك الحديقة البركه التى تزين فناء السواقى يتصدره خميلتان لاستراحة ريفية وسط تلك الحدائق . وما يسترعي النظر في تلك البركه المستطيلة أننا نجد على جانبيها نافورات يندفع منها المياه وكأنها أقواس نصر تتلألأ تحت أشعة الشمس (شكل ١٨) .

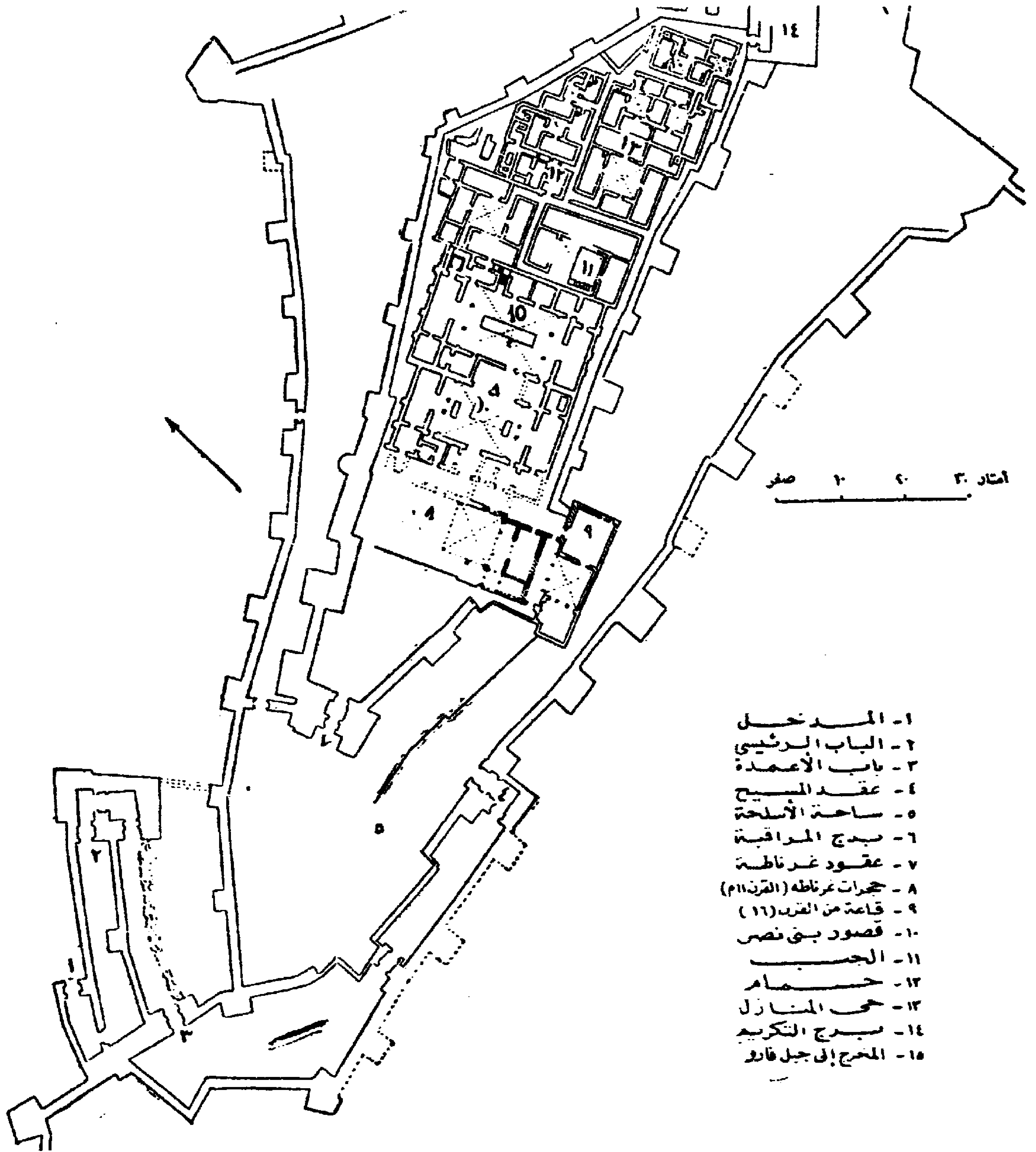


(شكل ١٨) فناء السواقى بجنة العريف

هذه الحدائق بما فيها من نافورات وبرك تنساب مياهها في نغمات موسيقية وكأنها سيمفونيات متوالية تضمها الخضرة والزهور والاشجار والخمائل وضوء الشمس وزرقة السماء وكأنها جنات تجرى من تحتها الانهار .

رابعا : القصبات :

كانت القصبات عبارة عن قصور الحكام والامراء تحيطها الاسوار الدفاعية أى بمثابة الحصون وغالبا ما كانت تبنى عند مداخل المدن . ومن أمثلتها قصبة مدينة مالقة (شكل ١٩) والقصبه القديمة لمدينة غرناطه وقصبه ماردة وهى التى جددت في العصر الاسلامي عام (١٠٥٧م) . ومن هذا التاريخ تؤرخ اسوارها الموجودة .



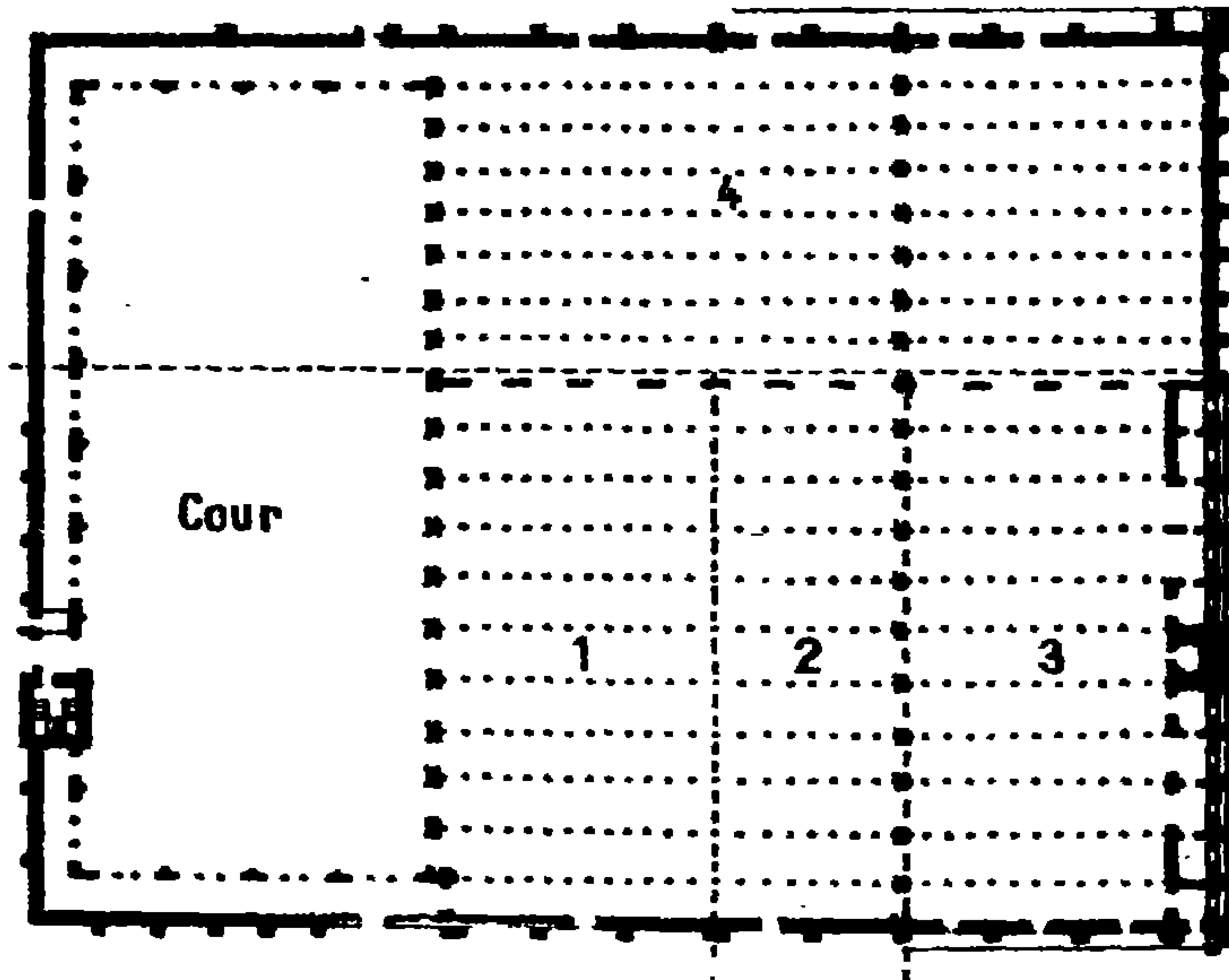
(شكل ١٩)

قصبة مالقة

وبها الآن عدة بقايا واطلال قصور بني نصر . وكان أول من أنشأها عبد الرحمن الاوسط عام (٨٣٥ م) كحصن وكمقر للحكم وكانت تشرف على المدخل المؤدى الى مدينة ماردة ـ بنيت أسوارها من الحجر الجرانيتي بشكل مربع أبعادها حوالى ١٣٠ × ١٣٠ متر ذات أبراج مربعة وبدخل ملتوى وتعتبر هذه القصبه أقدم قصبه عربية بالاندلس .

خامسا : المساجد :

بنى الامراء المسلمون العديد من المساجد في اسبانيا ، ومن المؤسف أنها تهدمت ولم نجد منها الا مسجدا واحدا هو مسجد قرطبه (شكل ٢٠) ـ كما حول البعض الآخر الى كنائس . ولم ينج مسجد قرطبه فقد بنى هيكل كنسى داخله في رواق الصلاة ، كما حولت مئذنته الى برج للنواقيس . هذا هو المسجد الجامع لمدينة قرطبه والذى أول من بناه هو عبد الرحمن الداخل عام (٧٥٦م) . ثم توالت عليه الاضافات وبذلك أصبح آية من آيات الفن والابداع .



(شكل ٢٠) جامع قرطبـــه

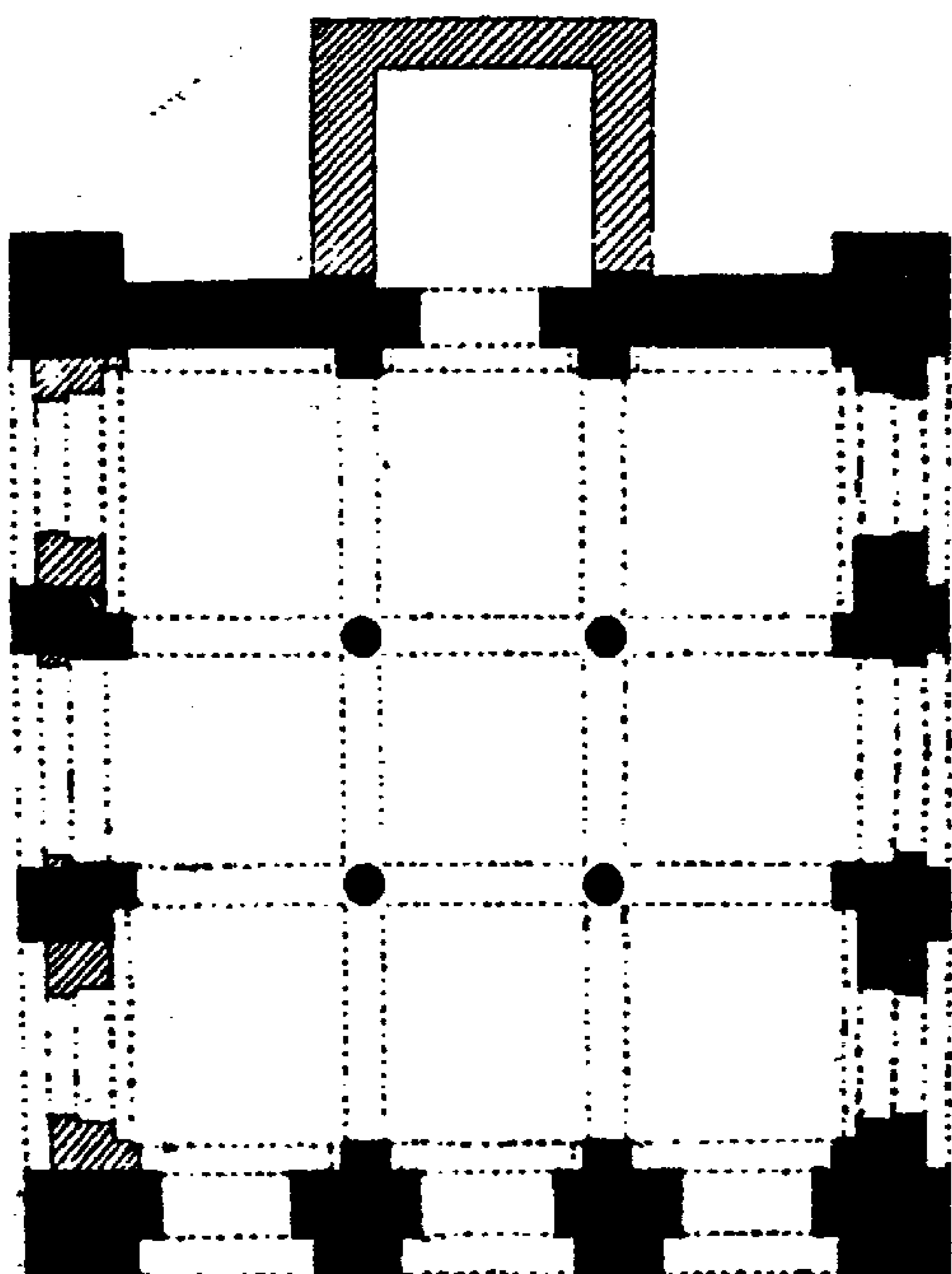
من النواحي الهندسية التى تسترعى النظر في هذا المسجد ذلك السقف الذى يبلغ ارتفاعه حوالى تسعة أمتار يرتكز على عمد رفيعه تحمل أخرى أقل حجما ومن الاعمدة نجد العقود قوسا فوق قوس وقوسا يتقاطع مع قوس آخر ... وهذه الفكرة تعتبر ابتكارا

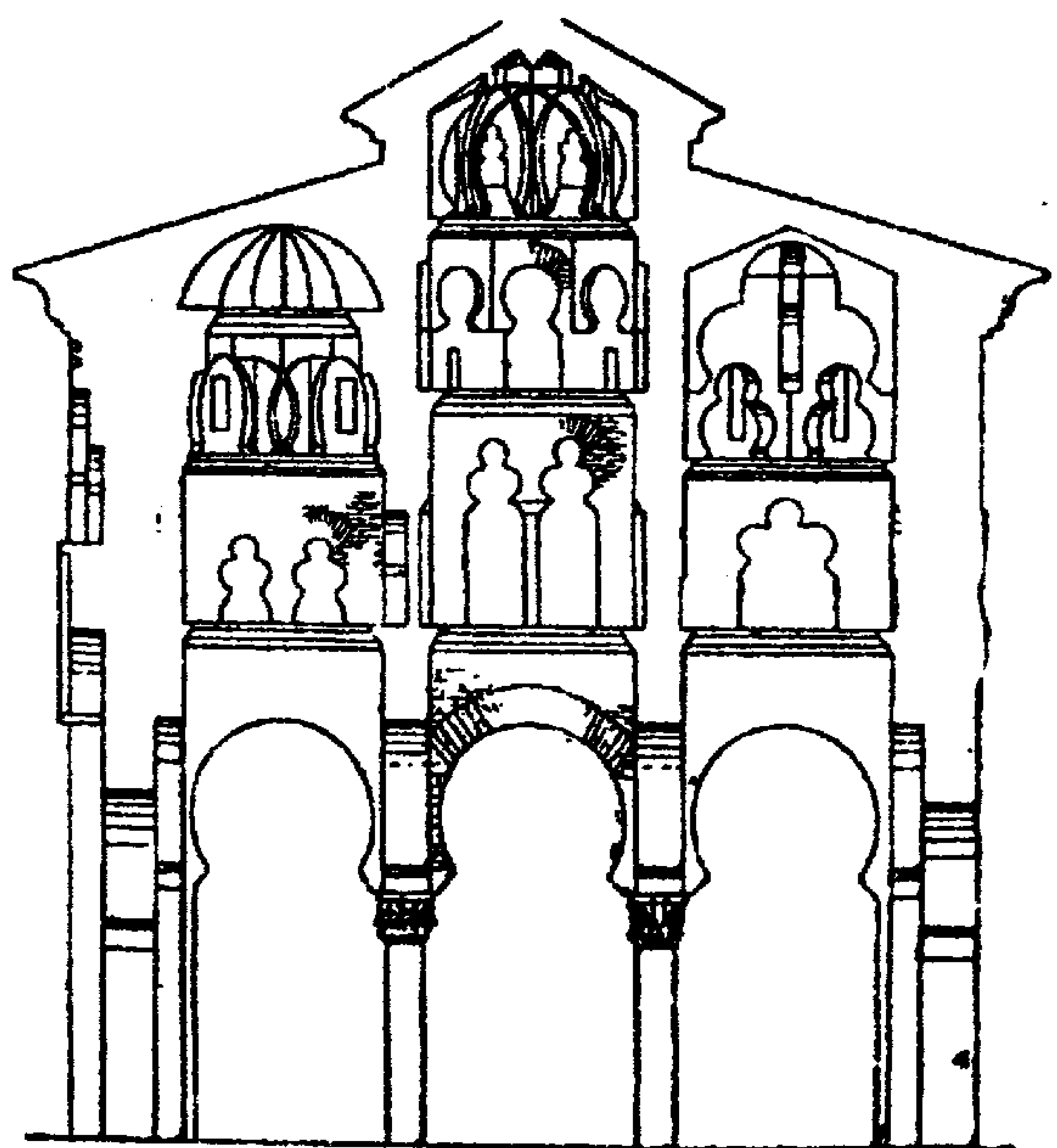
اسلاميا فريـد ا من نوعه عبر التاريخ ٠٠٠ هذا الابتكار لا يخلو من جرأة تدل على ما كـان عليه مهندس المسجد من مهاره فائقـه من الناحية الانشائيه واحساس بالجمال من الناحية المعماريه ٠ وعلاوة على ذلك فان هذا الابتكار حقق أضاءة كافية وذلك بالتفريغات بيـن العقـود المترابطـة علاوة على أن هذه الطريقة وفرت الاقتصاد في مواد البناء ٠

ومن أمثلة المساجد الكثيرة التي تهدمت أو حولت الى كنائس نذكر منها :ـ

١ ـ المسجد الكبير بمدينة اشبيلية ٠ وقد حلت مكانه الكاتدرائية الحالية ولم يبق منـه الا مئذنته التي تسمى الجيرالدا أو الخيرالدا (شكل ٥٦) وقد أزيل الطابـق العلوى منها وأضيف اليها طابق اخر في عصور متأخرة وضع به عدد من الاجراس لتكون برجا لنواقيس الكاتدرائيـة ٠

٢ ـ كذلك كانت كنيسة كريسـت دى لا ليتز Criste de La luz مسجدا صغيرا عرف باسم باب المردم بطليطله (شكل ٢١) وقد وجدت كتابات على واجهته تـدل على ان بانيه هو موسى بن على عام (٣٩٠ هـ)(١) أى في حوالى نهاية القـرن العاشـر الميلادى ٠





(شكل ٢١) كنيسة كريست دى لا ليتز (جامع باب المردم)

---

(١) انظر كتاب الفنون الاسلامية في اسبانيا ـ ترجمة د ٠ لطفى عبد البديع ـ القاهرة ١٩٦٨

تصميم هذا المسجد الصغير كان مربعا تقريبا طول ضلعه حوالي ثمانية امتـــار ويبرز منه المحراب المكون من غرفة مربعة صغيرة في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي • اشتمل المسجد على بعض الاعمدة تحمل عقودا في الاتجاهين تكون تسعة مساحات مربعة ، كل منها مغطاه بقبة ذات اضلاع Ribs تكون اشكالا زخرفية مختلفـــة والمساحة الوسطى منها اكثر ارتفاعا • وعند تحويل هذا المسجد الى كنيســـة أضيف اليه بعض الزيادات •

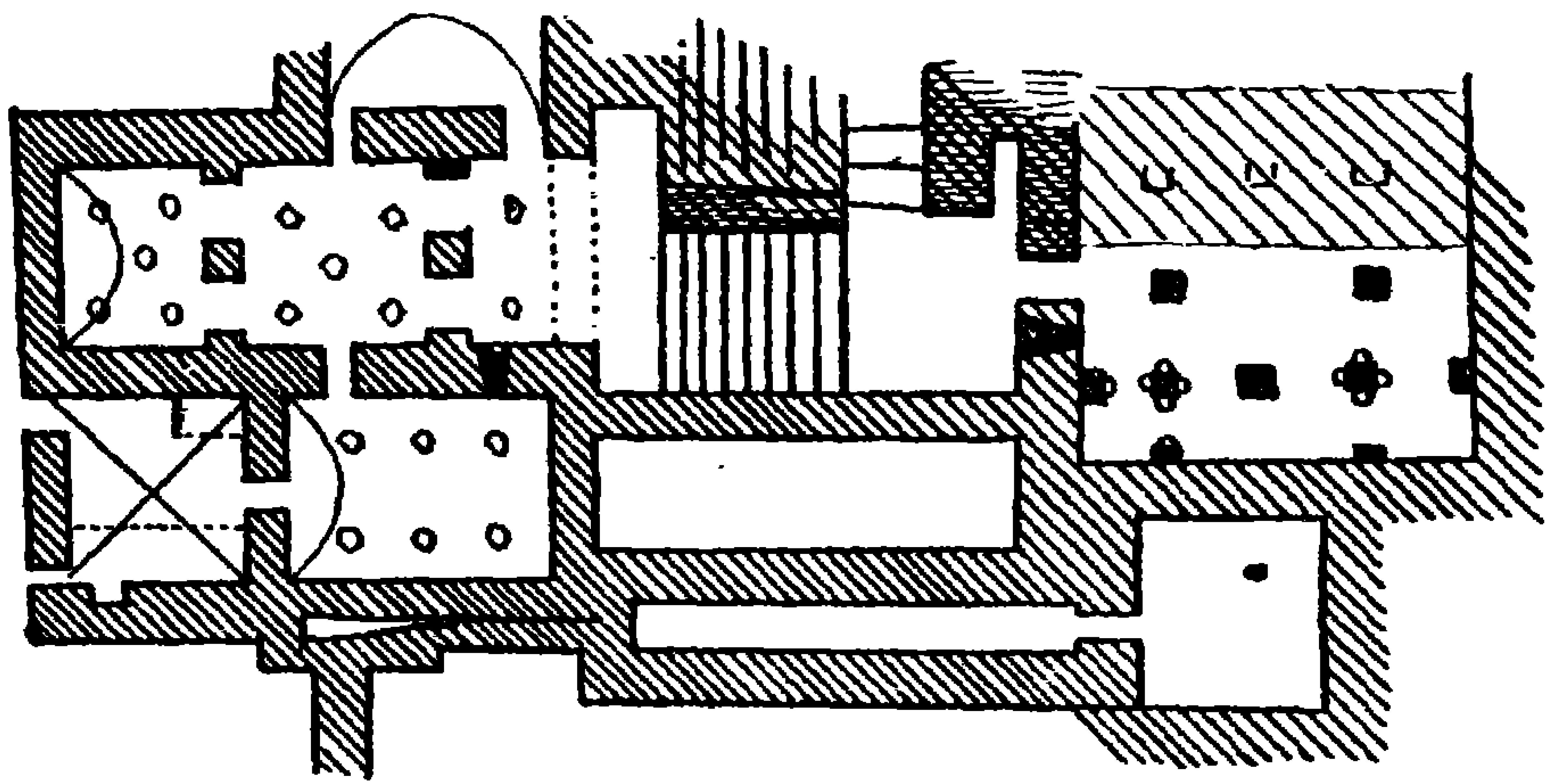
٣ ــ وقد دلت كنيسة سان خوان المهد مه على أنها كانت مسجدا جامعا لمدينة المريــه الثغر الكبير للاندلس أيام عبد الرحمن الناصر وكان على الطراز الموحدى •

٤ ــ كما كانت كنيسة San Salvador مسجدا يشهد بذلك اتجاهها (جنوب شرقي) كما أن بها نقش كتابي عن تاريخ المسجد (١٤٠١م) وكان ضمن مساجد المدجنين بطليطله •

وهناك العديد من تلك المساجد التي هدمت أو حولت الى كنائس لا حصر لها •

سادسا : الحمـامات :

كـان بالاندلس العديد من الحمامات خاصة تلك الملحقة بالقصور كالتي بقصـــر الحمراء وبقصر الخلافـة بقرطبــة • ويعتبر هذا الحمام أقدم الحمامات الاندلسية (شكل ٢٢)



(شكل ٢٢) حمام قصر الخلافة بقرطبـــة •

جدرانه مزخرفة بالجص الملون والكتابات الكوفية ٠ ويتكون هذا الحمام من ثلاث غـــرف متصلــة ببعض بها بعض الاحواض ومغطاه بالاقبيــة ٠ الغرفة الاخيرة وهى المربعــــة والمغطاه بقبــو متقاطع هى المخصصة للمياه الساخنة ٠ كما نلاحظ بأقبيــة هذا الحمــام فتحات صغيرة ذات شكل نجمى مغطاه بالزجاج الملون لغرض الاضاءة ٠

من هذا نرى أن هذه الحمامات العربية لا تختلف كثيرا عن الحمامات الرومانيـــــة من حيث تسخين المياه وانبعاث الهواء الساخن وبخار الماء تحت أرضية الحمام الرخاميــة ٠ ومن حيث الغرف المتدرجة فى الحرارة ٠ الا أن الحمام العربى لا يستعمل قاعات الرياضــة والتسلية أو قاعة المياة البارد ة والتى استبدلت بقاعة فسيحة للاستراحة وخلع الملابس ٠ كما أن الحمام العربى لا يستعمل الا مياه جاريــة لقصــد الطهــارة ٠

الاسباب التى أدت الى نشر الحضارة الاسلامية

بأوربا عن طريق اسبانيا وتأثرها بالتسامح الديــــنى

لعبت اسبانيا دورا هاما فى نشر الحضارة الاسلامية منذ بداية القرن الثامـــــن الميلادى وحتى بعد نهاية الحكم الاسلامى بعدة قرون . ويرجع ذلك لعدة اسباب نذكر منهـا :ـ

١ ـ الموقع الجغرافى لاسبانيا فى قارة اوربا يعتبر من أهم الاسباب فى نشر الحضـارة الاسلامية فى معظم البلدان المجاورة وخاصة فرنسا وايطاليا .

٢ ـ التزاوج الذى تم بين الفاتحين المسلمين واهالى اسبانيا المسيحيين نتيجـــة حتمية للتسامح الدينى وكان لذلك أثر كبير فى نشر الحضارة الاسلامية .

٣ ـ الغارات المستمرة التى كان يشنها مسلوا اسبانيا على بلدان اوربا ونذكر مـــن تلك الغارات التى كانت سببا فى انتقال الحضارة الاسلامية الى الاقاليم الـــتى فتحوها ما يلى :ـ

أ ـ تلك الغزوات التى حدثت فى بداية الفتح الاسلامى لاسبانيا ايام موســى بن نصير حيث كاد أن يحتل اوربا باكملها وهى التى كانت تتخبط فـــى دياجير الجهل والظلمات . الا أن سياسة الحذر والتردد فى دمشق أيام الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك اضاعت تلك الفرصة ، فاوقفت زحفـه ، وقفل راجعا هو وطارق الى بلاد الشام .

ب ـ تلك الغزوات التى حدثت فى عام (٨٨٩م) حين دخل العرب مرة اخـــرى الى جنوب فرنسا واستولوا على موسيليا ونيس وجرينوبل ووصلـوا الى سويسرا ومن أثار حكمهم فى مدينة نيس التى بقيت فى قبضتهم مدة طويلة ، أن جزءا من هذه المدينة لازال يسمى Canton de Saracens (١)

جـ ـ واخيرا يجب ان لاننسى تلك الغارات التى كانت تشن من مسلمى اسبانيا على مقاطعة Province بفرنسا وعلى شمال ايطاليا وعلى الجزر المجاوره ممـا كان لذلك أثر كبير فى نقل الحضارة الاسلامية الى هذه المناطق .

---

(١) انظر كتاب : مختصر تاريخ العرب تأليف سيد امير على ـ القاهرة ١٩٣٨ .

ولذلك ساعدت كل هذه الغزوات على تعرف اهالى فرنسا وغيرها من بلـد ان اوربا على الفنون الاسلامية وعلى جميع مظاهر الحضارة الاسلامية • وكان مـــن الطبيعى ان تترك هذه الحضارة بصماتها على العديد من نواحى الحياة فى تلك الاقاليم •

٤ ــ الدرجة الكبيرة التى كانت عليها مدينة قرطبة ايام المسلمين من الازدهار والرقى حيث كانت مركزا للاشعاع الحضارى فى الثقافة والعلوم والصناعة والتجارة والفروسية وغير ذلك مما جعلها تفوق أية عاصمة اسلامية اخرى • ذاع صيت هذه المدينــة فى جميع ربوع اوربا ، وكانت محط انظار الجميع ، يجيئون اليها فى تسامح ومحبــة لقصد العلاج أو التزود من معارفها ، ويقتبسون من فنونها •

٥ ــ حمل المسلمون فى اسبانيا مشعل العلم والمعرفة والتسامح فى الوقت التى كانـت فيـه اوربا تتخبط فى دياجير الجهل ، فأنشأت الجامعات فى العديد من المدن الاسبانية ، وكان امراء غرناطة وقرطبة يتسابقون فى تشجيع العلم وحماية العلمـاء امثال ابن زهر وامتدت فلسفة علماء تلك المدن وعلى رأسها معلمها الاعظـــم ابن رشد القاضى والطبيب والفيلسوف حتى دخلت علومه جامعة باريس لوقت قريب •

ومن امثلة الجامعات الاندلسية جامعة غرناطة التى ازدهرت فيها مختلـــف ضروب العلم ، وكان يأوى الى هذه الجامعات الجميع من انحاء اوربا من مختلف الجنسيات والديانات • ولم يقتصر العلم على الرجال دون النساء فقد ظهر فـى ذلك الوقت العديد من النساء تفوقن فى الادب والشعر والموسيقى •• وبذلـك انتشر العلم فى ربوع اسبانيا ، ومنها انتقل الى معظم بلدان اوربا •

٦ ــ يعتبر التسامح الدينى من اقوى عوامل نقل الحضارة الاسلامية الى اوربا فضـــلا فى عهد عبد الرحمن الثالث الذى توالت عليه الرسل من جميع انحاء العالـــم يطلبون الصلح والتحالف ، كان فى مجلس استشارته الكثيرين من غير المسلمين ، حيث لم يكن هناك فى تلك الفترة أى تعصب دينى • فاقام اليهود والمسيحيـون شعائرهم بحرية تامة ، واشتركوا مع المسلمين فى الجيش جنبا الى جنب ، وتقلدوا ارقى المناصب السياسية والحربية والعلمية وكثيرا ما كان مدير الجامعة ينتخب مـن اليهود أو المسيحيين •

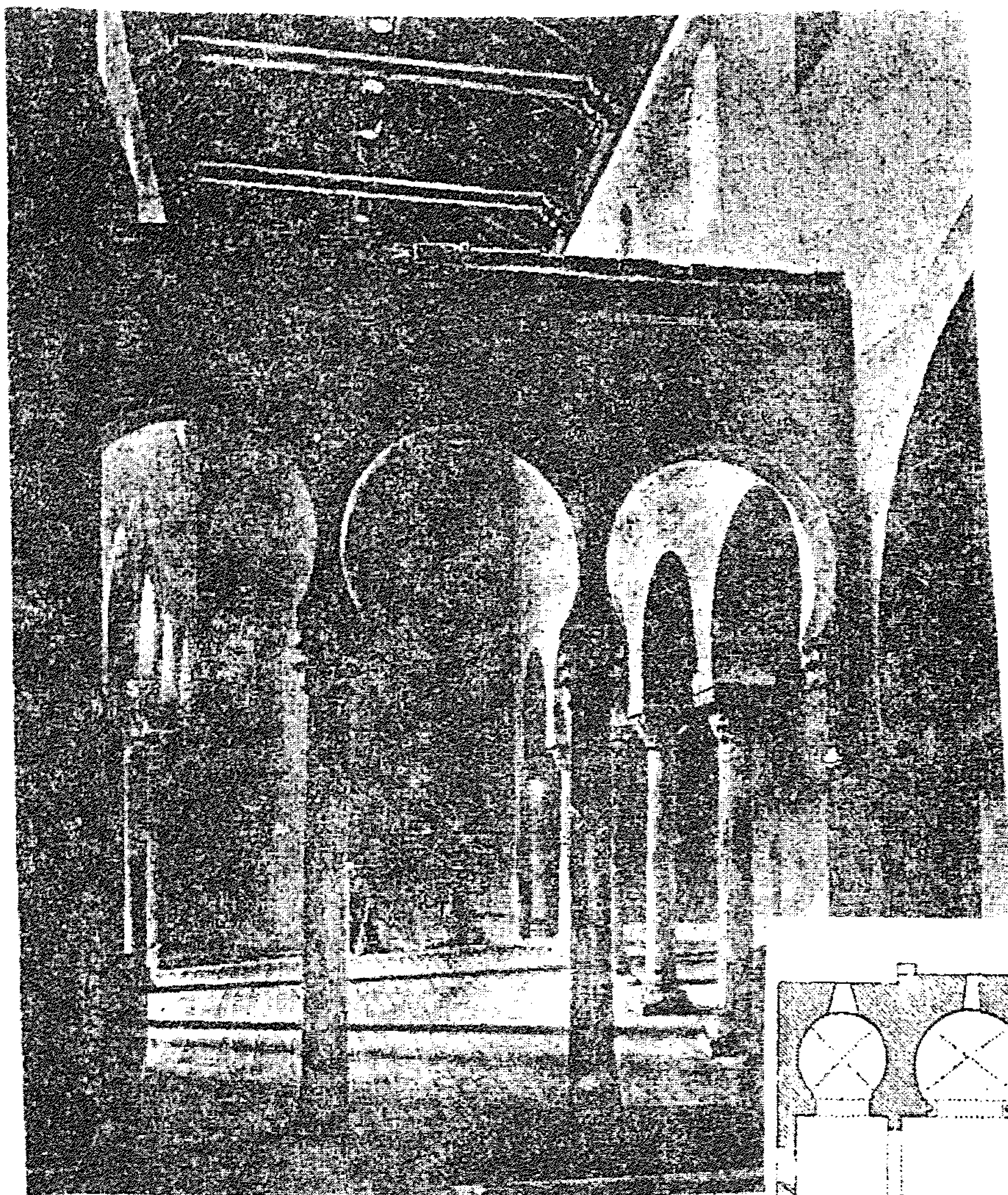
٧ _ قدم الكثيرون من جميع أنحاء العالم الغربي خلال العصور الوسطى الى اسبانيا لقصد الحج بمدينة Santiago de Compostella التي تضم بعض الكنائس المقدسة • وكان من الطبيعي ان ينقل هؤلاء حضارة المسلمين ويقلدوا فنونهم التي اعجبوا بها كل الاعجاب •

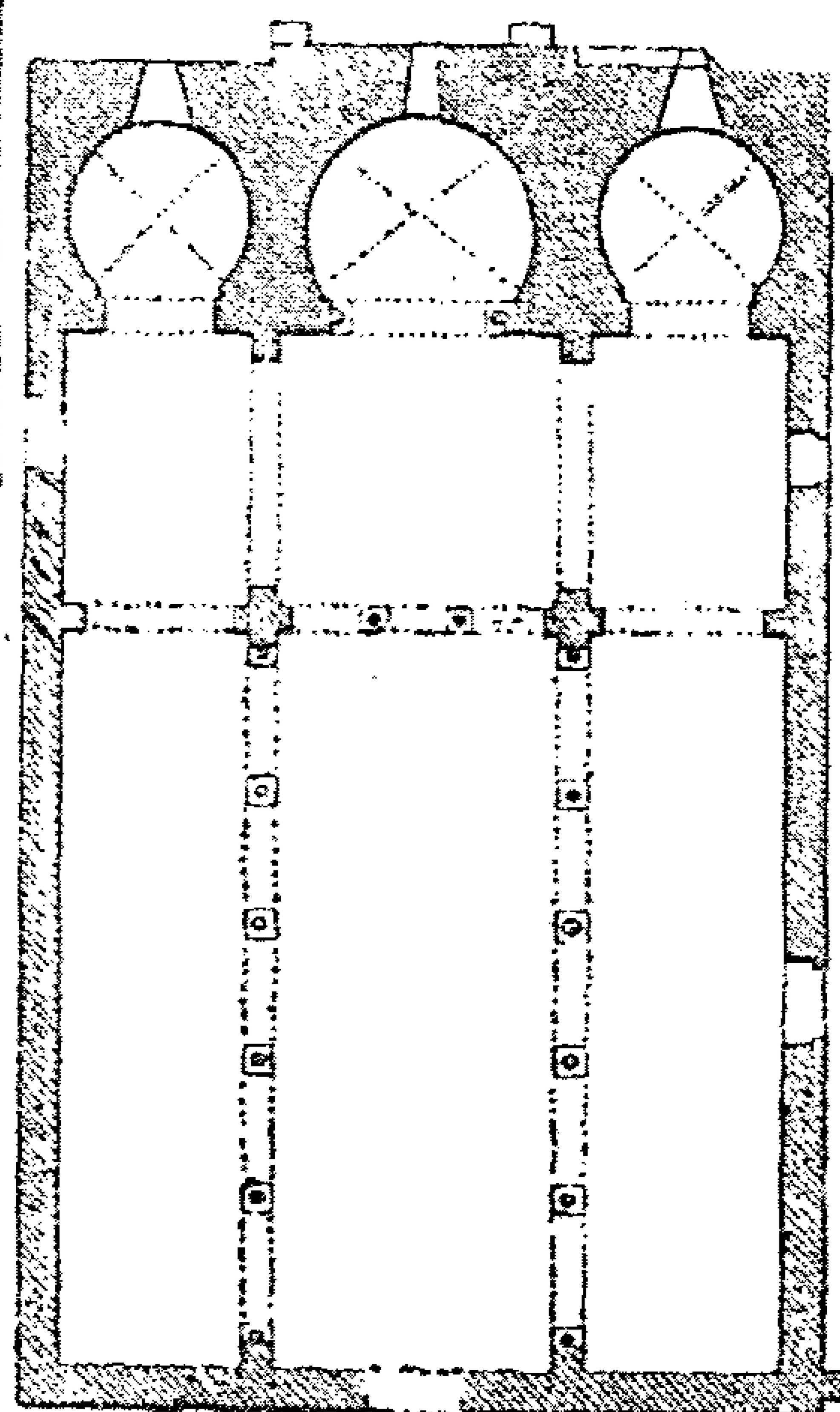
٨ _ ومن أهم الاسباب التي دعت الى نشر الحضارة الاسلامية عامة والفنون والعمارة خاصة في اوربا " المستعربون " الذين احتفظوا بدينهم وتقاليدهم هم المسيحية والذين كانوا خاضعين للعرب وعملوا جنبا الى جنب مع الصناع المسلمين في اعمال البناء والفنون الاسلامية في محبة وتسامح • انتشر هؤلاء المستعربون في جميع انحاء اسبانيا واوربا حاملين معهم تلك الملامح الاسلامية • وقد ضم الفن المستعربي روائع معمارية متأثرة بالفن الاسلامي الى درجة كبيرة ، وانتشر هذا الفن ليس في اسبانيا فقط بل وفي العديد من بلدان اوربا ، خاصة في فرنسا وايطاليا عندما هاجر بعض مسيحي اسبانيا الى المقاطعات الشمالية التي لم تقع في ايدى المسلمين بعد دخول الموحدين •

ومن امثلة اعمال الفن المستعربي العديد من الكنائس المستعربة باسبانيا مثل كنيسة S. Cebrian بمدينة Mozote وكنيسة Santa Maria بمدينة Melque وكنيسة S. Miguel بمدينة Escalada(شكل ٢٣) وفي معظم هذه الكنائس يظهر الطراز المستعربي بشكل واضح ذى الطابع الاسلامي من عقود ذات حدوة الحصان ونوافذ مزدوجة وحليات اسلامية الى غير ذلك •

٩ _ لم ينته الفن الاسلامي باسبانيا عام(١٤٩٢م)باستسلام غرناطه ، بل لقد كان لهذا الفن قبل ان يغيب نهائيا ان يترك بصماته التي استمرت اكثر من قرن من الزمان تحت اسم الفن المدجني ، وهم المسلمون الاسبان الذين بقوا على الارض المسيحية سواء في اسبانيا اوغيرها من بلدان اوربا بعد الحكم الاسلامي وعملوا معا في محبة وسلام •

هذا الطراز ظهر اولا في قشتاله عقب الاستيلاء على طليطله عام(١٠٨٥م)وأنتشر منها الى جميع البلدان ، ولاشك انه نابع من الفن الاسلامي •





(شكل ٢٣)
كنيسة سان ميجيل دى اسكلادا

ومن امثلة اعمال هذا الطراز قصر اشبيلية المسى Alcazar الذى بنى للملك بدرو (١) حوالى عام (١٣٦٠)م بعد استيلاء المسيحيين على المدينة عام ١٢٤٨ م وكان طرازه اسلاميا، كما بقى الفن الاسبانى الشعبى حاملا الطابع المدجنى عدة قرون مما يترك فى النفس انطباعا بضرورة المعايشة بين الحضارات ، ويبقى الفن بابا لهذه المعايشة ودليلا على السلام والتسامح .

ومن ثم فان هذين الطرازين المستعربى والمدجنى المتأثرين بالفنون الاسلامية لحد كبير ، ساعدا كثيرا على وجود الملامح الاسلامية فى عمارة الغرب .

نتيجة للاسباب السابقة يمكن القول بان الحضارة الاسلامية بما أتسمت من حسن المعاملة والتسامح ، انتشرت فى شبه الجزيرة الاسبانية والبلدان المجاورة انتشارا عم معظم بلدان اوربا ، ونخص بالذكر من تلك الحضارة الفنون الاسلامية بما فيها من عناصر معمارية وزخرفية استعملت فى العديد من المبانى والكنائس الاوربية .

---

(١) يطلق عليه، اسم بطرس القاسى .

الباب الثاني

العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية

التى انتقلت الى عمارة الغرب خلال العصور الوسطى

مقدمة :

نلاحظ بوجه عام أن معظم العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية كان مصدره الشرق• أما البعض الآخر فقد ظهر اول ما ظهر فى المغرب الاسلامى وكان اكثر انتشارا هناك • ومن الطبيعى فقد انتقلت بعض هذه العناصر من الشرق الاسلامى الى المغرب الاسلامى أو بالعكس • وعلى كل حال فقد انتقلت هذه العناصر الى اوربا عن طريق قنوات الاتصال السابقة الذكر •

وعلى سبيل المثال نجد أن العقد المدبب نشأ اولا فى الشرق وكان اكثر انتشارا فى عمارة الشرق الاسلامى — أما العقود المتشابكة Interlacing A. فقد كانت ابتكارا اسلاميا اندلسى النشأة وانتشرت هى والعقود النصف دائرية ذو حدوة الحصان فى المغرب الاسلامى وكانت من أهم معالمه المعمارية•

هذه العناصر لم يقتصر ظهورها فى اوربا ، وهى التى استفادت من الحضارة الاسلامية الكثير ، وانما نجد ايضا البرازيل اقتبست بعض هذه العناصر الاسلامية فى عصور متأخرة وأدخلتها بعد تطورها على عمارتها الحديثة كالمشربيات والفسيفساء وفنون الخزف وهى المسماه عندهم " أزوليخوس " والتى كسيت بها الجدران •

ربما انتقلت هذه العناصر الى البرازيل عن طريق اسبانيا الاسلامية عبر البرتغال والتى كانت ضمن شبه الجزيرة الاسبانية ولم تنفصل عنها الا فى القرن التاسع عشر الميلادى وكانت تدين للفن الاسلامى •

ولم يظهر هذا التأثير فى عمارة وفنون العصور الوسطى فحسب بل تعداها فى أبنية عصر النهضة باوربا • وكما سنرى ذلك فيما بعد فان العديد من العناصر الزخرفية كالارابيسك والكتابات الكوفية (كعنصر زخرفى) قد ظهرت تحلى عمارة ذلك العصر •

وسندرس فيما يلي بعض هذه العناصر الاسلامية سواء كانت معمارية أو زخرفية أو دفاعية متتبعين تطورها وتاريخ نشأتها الأولى ، وأمثلة من المباني الاسلامية والمسيحية التي شملتها :—

اولا : العناصر المعمارية (الانشائية)

١ ـ العقـود : Pointed Arch

أ ـ العقد المدبب

وجد هذا العقد منذ القدم : فى مصر القديمة والهند وبلاد ما بين النهرين وبلاد الفرس فى العصر الفارسى الساسانى كما فى الواجهة الخلفية لطاق كسرى بالمدائن من أواخر القرن السادس الميلادى (شكل ٢٤) كما وجد فى بلاد الشام بكنيسة ابن الوردان من منتصف القرن السادس الميلادى ايضا • هذا عن وجود هذا العقد قبل الاسلام . ولا شك أنه من أصل شرقى • اخذه الفن الاسلامى [١] وطوره بعمل انواع مختلفة منه مثل : (أ) العقد ذى المركزين بنسب مختلفة (ب) العقد ذى الاربعة مراكز (جـ) العقد الفاطمى وهو عقد مدبب ينتهى بخط مستقيم والمسمى خطأ بالعقد الفارسى بالانجليزية .Keel A (شكل ٢٥)•وهذا العقد يشبه تماما العقد التيودورى الانجليزى والذى ظهر بعده بعدة قرون ولابد انه مقتبس من الاصل الاسلامى حيث وجدناه لاول مرة فى مصر فى اعمال الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله بجامع الازهر عام (١١٤٩م) وقد انتشر هذا العقد فى معظم المساجد الفاطمية ولذلك يمكن تسمية هذا العقد بالعقد الفاطمى ومن امثلته فى الغرب ما وجد بقصر Ravello بايطاليا من القرن الثانى عشر الميلادى •

انتشر العقد المدبب بنوعيه (أ ،ب) فى العديد من الابنية الاسلامية خاصة بالمشرق الاسلامى • ويعتبر الجامع الاموى الكبير بدمشق عام (٧٠٦م) اقدم أثر اسلامى وجد به هذا العقد ، ثم وجد بقصير عمرا ببادية الشام عام (٧١٢م) ثم بقصر الاخيضر [٢] بالعراق عام (٧٧٨م) • أما فى

---

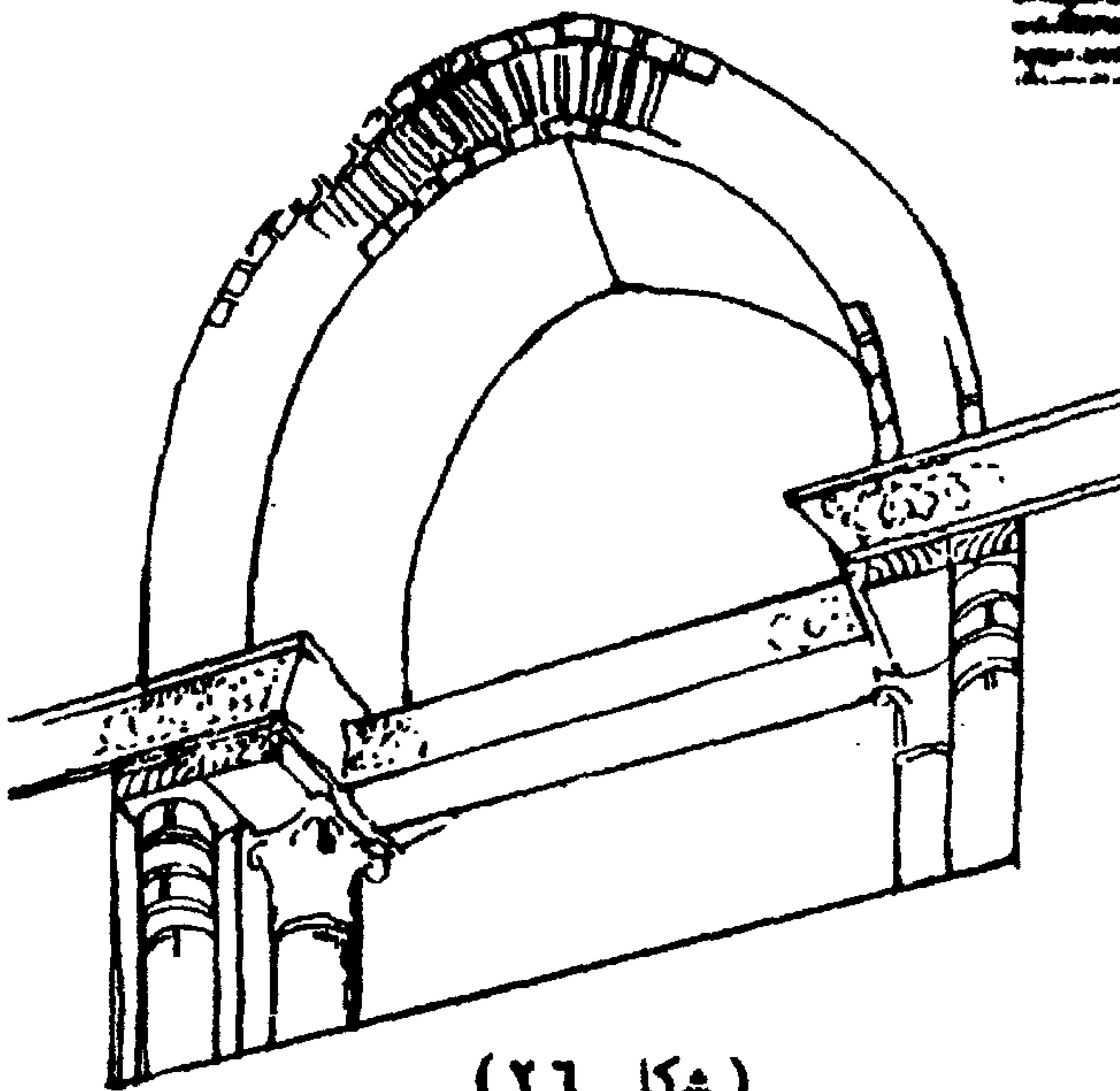
(١) من المرجح ان يكون الفن الاسلامى اخذ هذا العقد المدبب من بلاد الشام او بلاد الفرس •

(٢) انظر كتاب Bell and Palace: Mosque at Ukhaidir Oxford 1914.

العقد المدبب

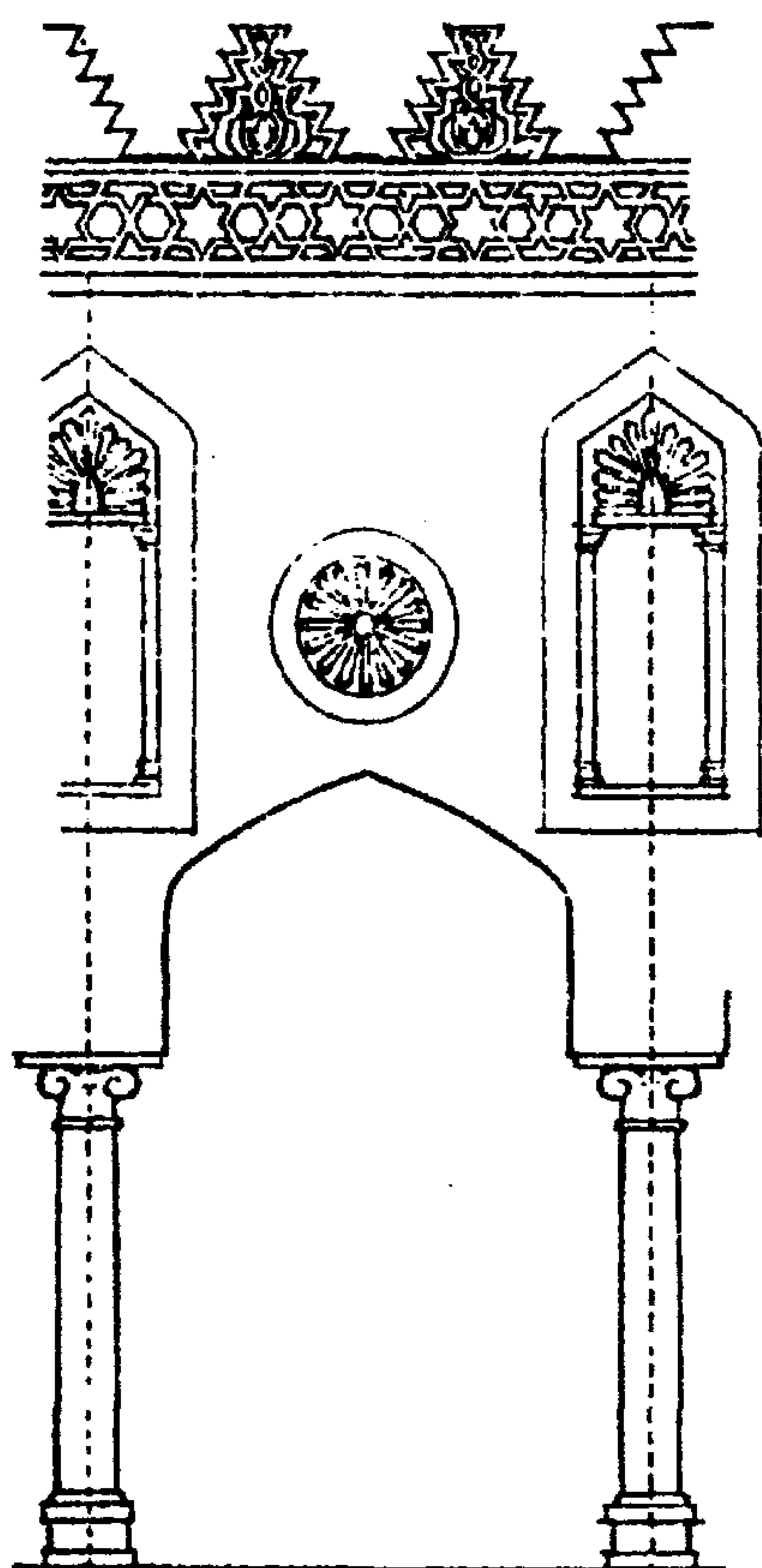


(شكل ٢٤)
طاق كسرى
ببلاد الفرس

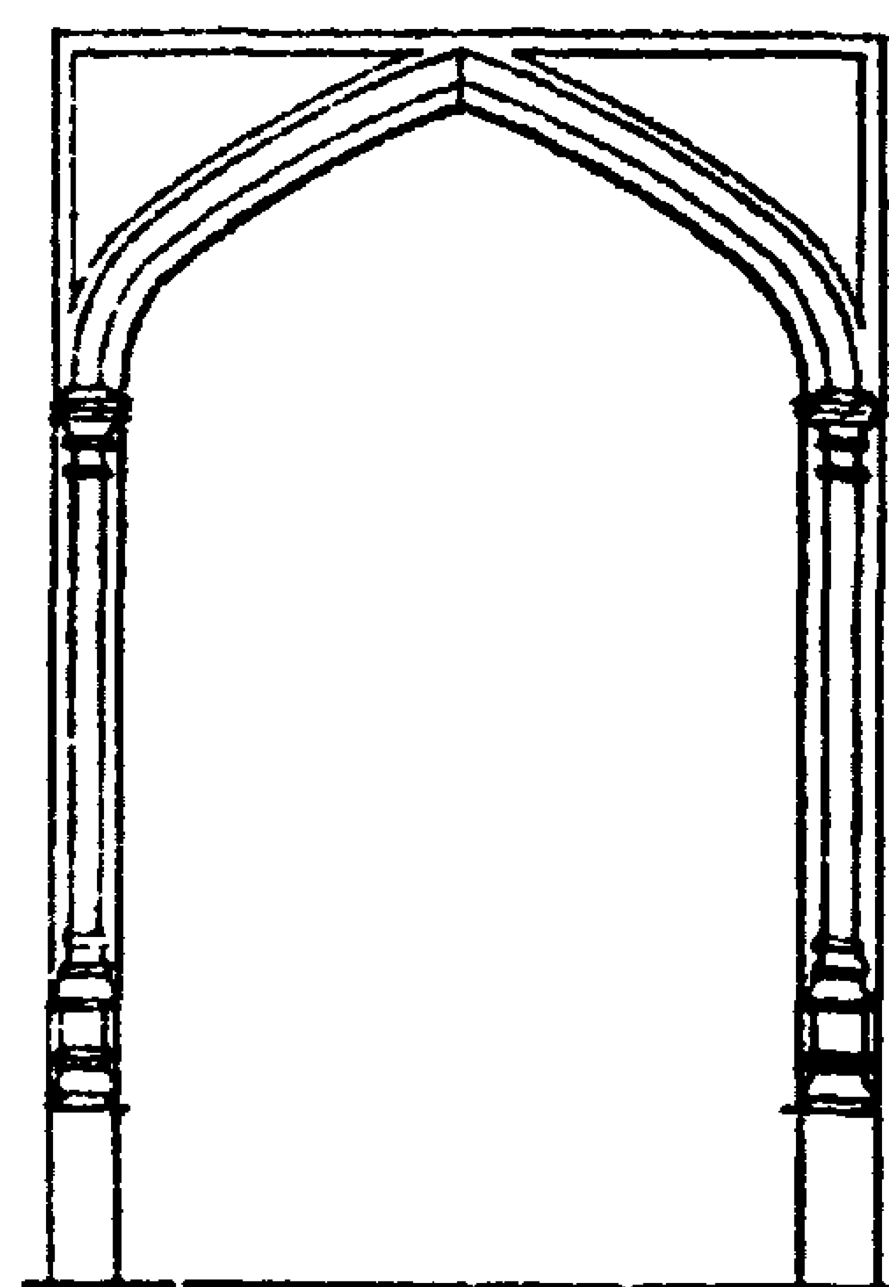


(شكل ٢٦)
جامع عمرو بالفسطاط

العقد المدبب



العقد الفاطمى



العقد التيمورى

(شكل ٢٥)

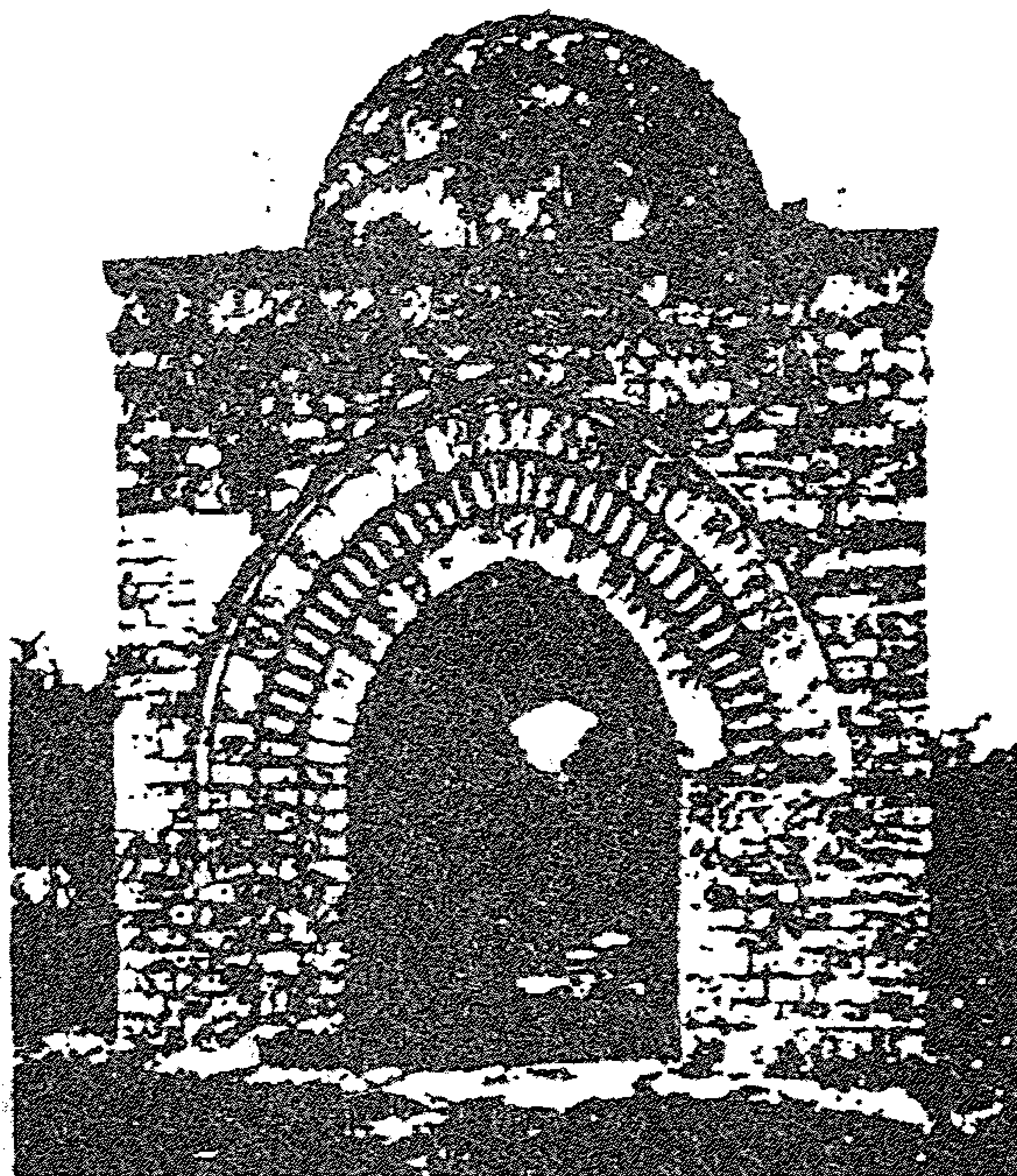
مصر فاقدم مثال له كان فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط عند توسعته عام (٨٢٦م) (شكل ٢٦) هذا عن بعض امثلته فى العمارة الاسلامية •

أما فى الغرب فان اقدم بناء ظهر فيه العقد المدبب هو كنيسة مونتكاسينو Montcassino بايطاليا عام (١٠٦٦م) أى قبل قيام الحروب الصليبية • ولذلك فمن المرجح ان يكون هذا العقد انتقل من الشرق الى الغرب عن طريق التجارة وليس عن طريق الحروب الصليبية كما يعتقد الكثير من العلماء •

استخدم هذا العقد فى صقلية بعد الحكم الاسلامى وكانت نسبه كالنسب الاسلامية عامة ، وهذا واضح كل الوضوح فى القبه La Cuba من القرن الحادى عشر الميلادى بمدينة بالرمو بصقلية ونلاحظ ان عقد هذا المبنى الصغير يشبه العديد من العقود الاسلامية ليس فى نسبه فقط بل وفى زخرفته كما هو واضح فى عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس بالقاهرة من القرن الثالث عشر الميلادى (شكل ٢٧) •

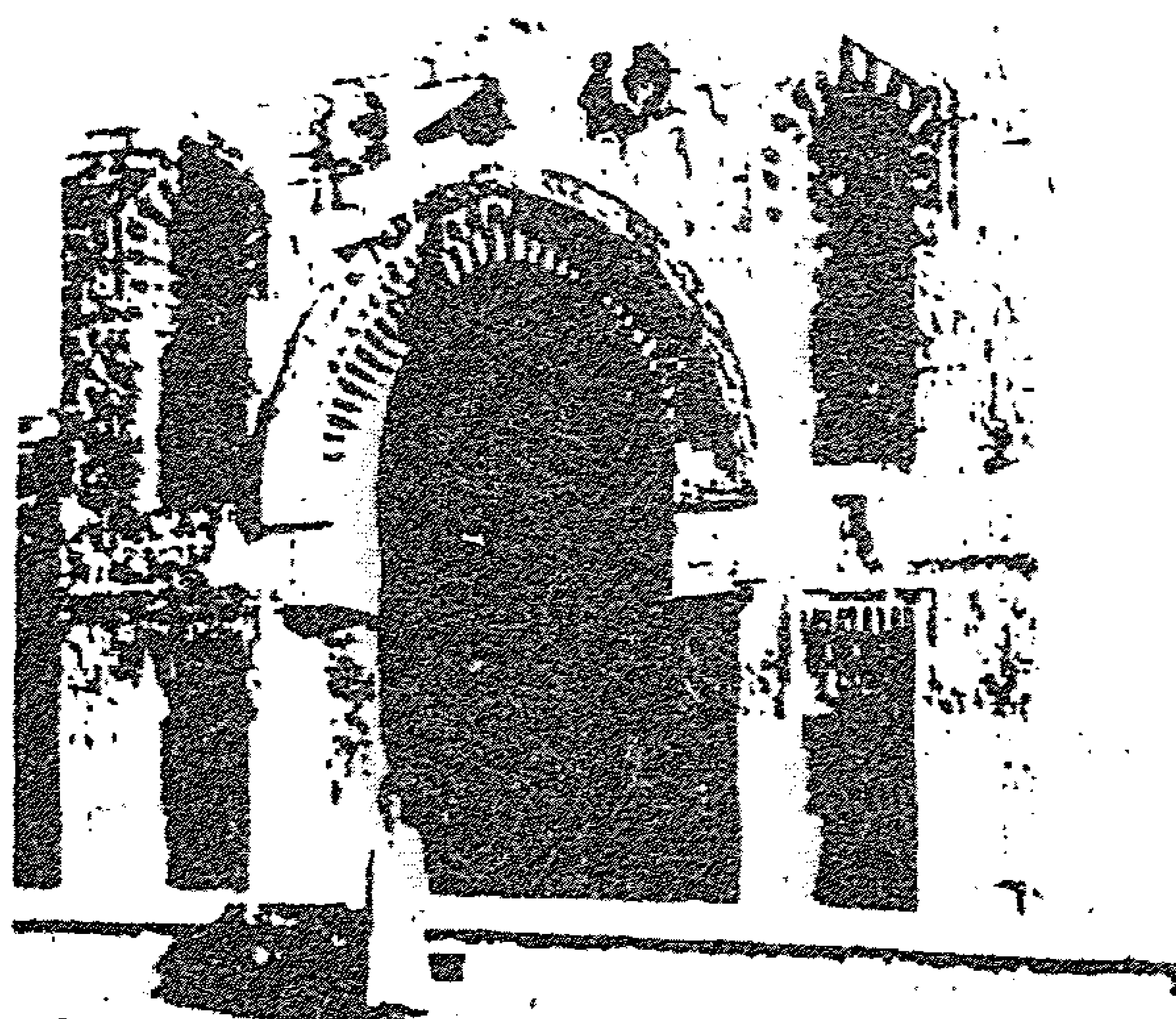
هذا وقد اهتمت اوربا بالعقد المدبب اهتماما كبيرا فى بداية العصر القوطى حيث يعتبر هذا العقد من اهم معالم العمارة القوطية فقد حل لهم العديد من المشاكل الانشائية التى كانت فى العصر الرومانسكى • كما اصبح هذا الشكل المدبب يستعمل فى الاقبية والقباب والنوافذ والمداخل وحتى فى الزخارف ، هذا علاوة على استعماله فى العقود والاضلاع • RIBS

العقد المدبب



القبة ببالرمو بصقلية

(شكل ٢٧)



مدخل جامع الظاهر بيبرس
بالقاهرة

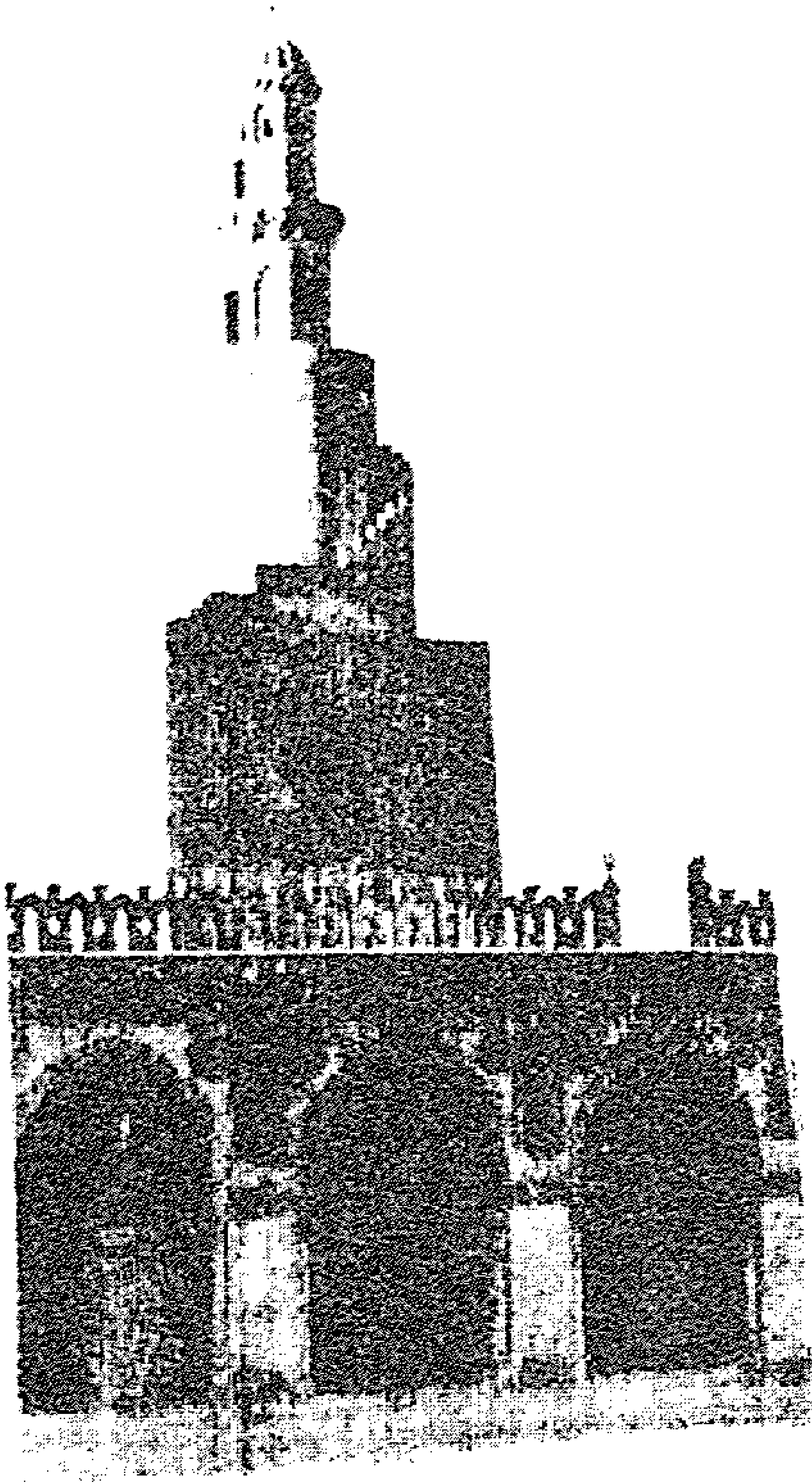
ب ـ العقد المدبب ذو حدوة الحصان Poihted Horse Shoe Arch

يعتبر هذا العقد من ابتكارات الفن الاسلامى حيث لم يظهر لنا فى العصور السابقة للاسلام • وجدناه لاول مرة فى جامع القيروان بشمال افريقيا عند توسعته عام (٨٣٦م) ثم انتقل الى المشرق الاسلامى فوجدناه فى جامع المتوكل بسامرا بالعراق عام (٨٤٨م) وفى جامع احمد بن طولون بالقاهرة عام (٨٧٦م) (شكل ٢٨) وقد استعمل بكثرة فى تغطية الايوانات فى المدارس الايوبية والمملوكية فى مصر وبلاد الشام وغيرها •

اما اقدم مثال له فى الغرب فقد وجدناه بفرنسا فى المماشى الجانبية لكنيسة سانت مادليين S. Madeleine Vezelay من اواخر القرن الحادى عشر الميلادى وفى كاتدرائية اوتن Autun عام (١٠٩٠م) (شكل ٢٩) وكذلك وجدناه فى عقود اروقة دير كاتدرائية مونريال Monreale بباليرمو عام (١١٧٤م) بصقلية (شكل ٣٠) •

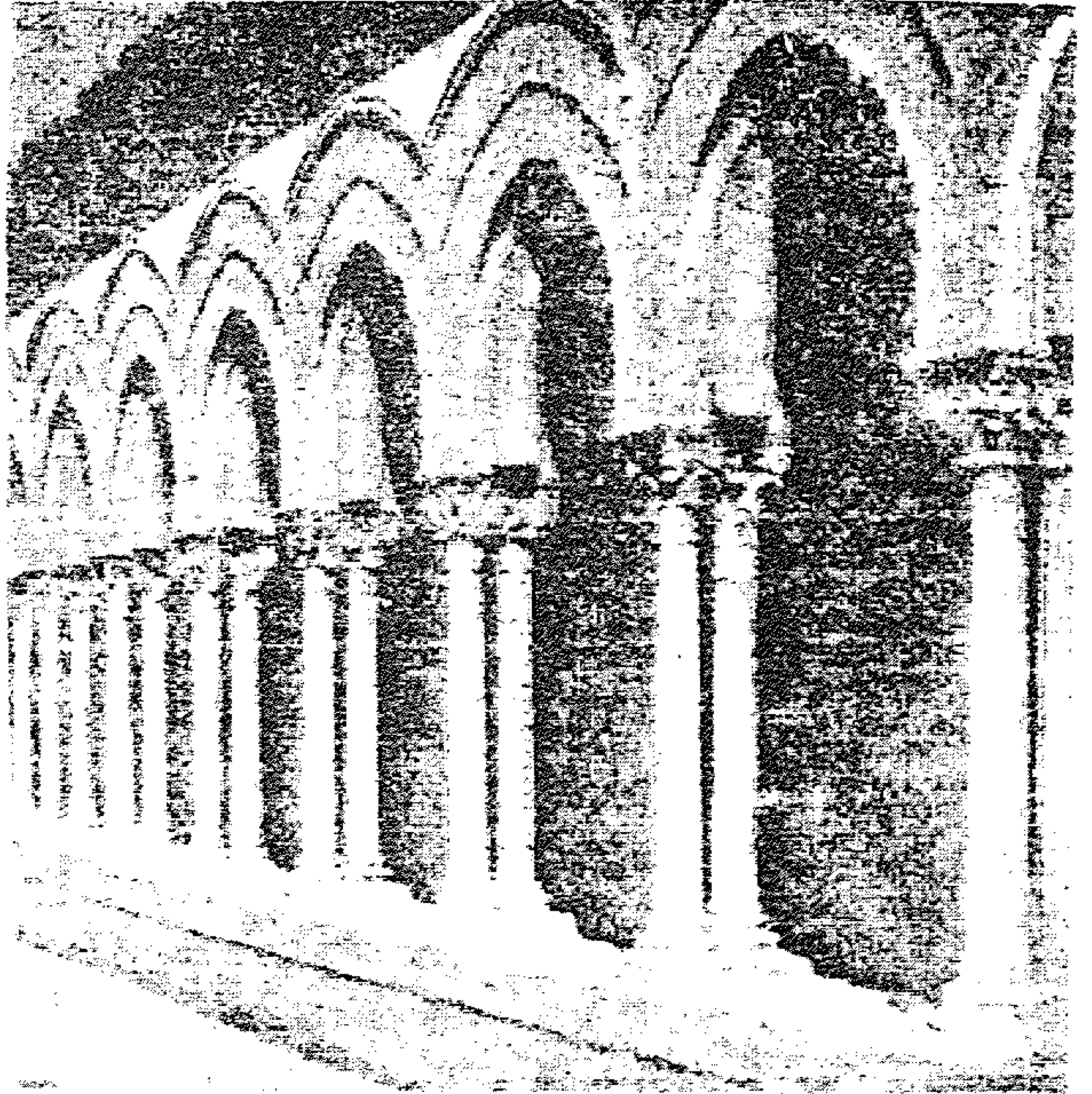
من هذا يتضح ان هذا العقد ربما يكون قد انتقل من المغرب الاسلامى الى اوربا حيث ظهر اولا بشمال افريقيا وانتشر بها •

العقد المدبب ذو حدوة الحصان



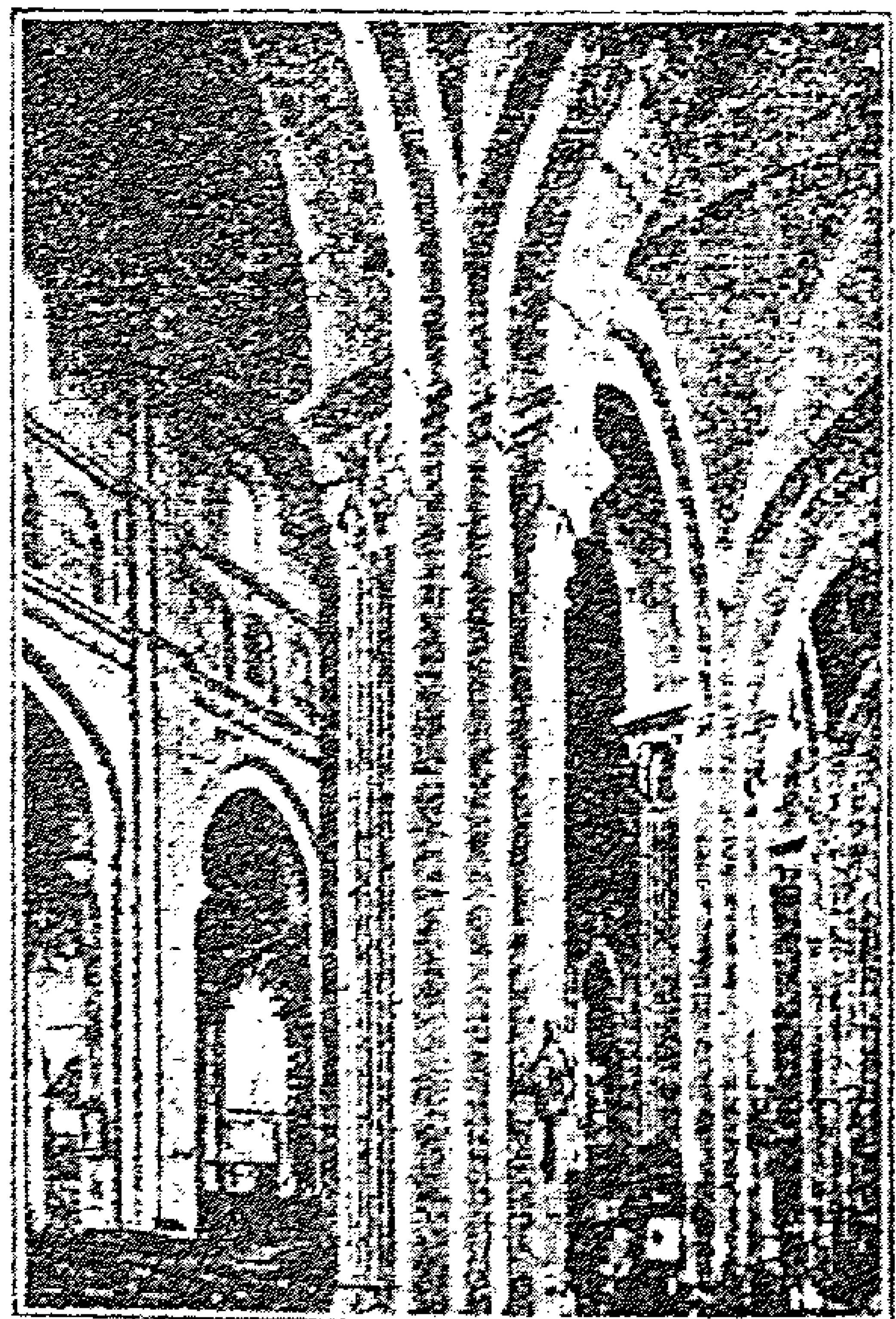
(شكل ٢٨)

جامع بن طولون بالقاهرة



(شكل ٣٠)

ديركاتدرائية مونريال بصقلية



(شكل ٢٩)

كاتدرائية أمين بفرنسا

جـ ـ العقد النصف دائرى ذو حدوة الحصان Round Horse Shoe Arch

عرف هذا العقد قبل الاسلام فى العصر الفارسى الساسانى فى طاق غرا (١) من عام (٢٢٦م) بين ايران والعراق ، ثم وجدناه فى معمدانية مار يعقوب بمدينة نصيبين بحوران ببلاد الشام عام (٣٥٩م) (شكل ٣١) • كما وجد فى اسبانيا منذ عصر الاضمحلال الرومانى أى منذ ظهور المسيحية • ومن هذه العقود ما عثر عليه فى مدينة قرطبه من نافذه ذات عقد مزدوج نصف دائرى بشكل حدوة الحصان وبه حليه من وريدات يتوسطها صليب • ولابد ان تكون هذه النافذه لاحدى الكنائس القديمة الغير مؤرخه (شكل ٣٤) • هذا العقد لم ينتشر كثيرا فى الغرب فى تلك الفترة قدر انتشار العقد النصف دائرى والذى يعتبر من معالم العمارة الرومانسكيه وعمارة فجر المسحية والعمارة الرومانية •

أما اقدم اثر اسلامى ظهر فيه هذا العقد فهو الجامع الاموى الكبير بدمشق فى عام (٧٠٦م) (شكل ٣٢) ، فى بعض البواكى المحيطة بالصحن • وكان انحناء حدوته بشكل خفيف • وبوجه عام فان هذا العقد لم ينتشر كثيرا فى المشرق الاسلامى قدر انتشاره فى المغرب الاسلامى حيث استعمل بدرجة كبيرة فى شمال افريقيا • ومن امثلته فى اسبانيا ما هو موجود فى جامع قرطبة عام (٧٥٦ م) (شكل ٣٣) ونلاحظ فى هذه العقود ان انحناء حدوتها بشكل واضح وكبير • وهذا ما تتميز به عقود تلك المنطقة •

ولذلك فانه من المحتمل ان يكون ظهور هذا العقد فى جامع قرطبة وغيره ربما اقتبس من نفس المنطقة وخاصة ان انحناء حدوته أقرب الى عقود تلك الكنيسة •

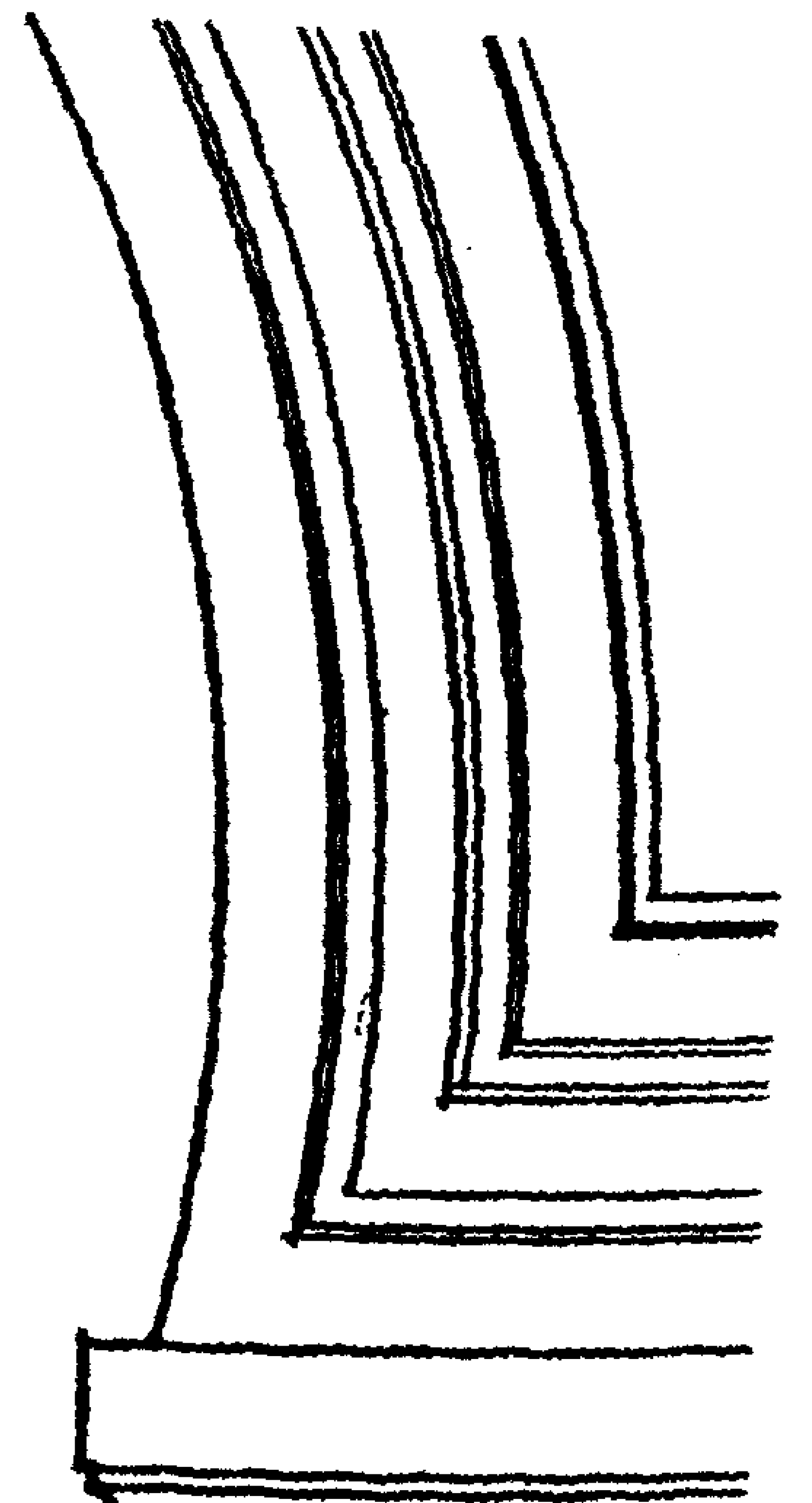
وعلى كل حال فقد انتقل هذا العقد الى اوربا عن طريق اسبانيا الاسلامية بعد أن أصبح من أهم المعالم المعمارية الاسلامية هناك وخاصة فى العصر المستعربى والمدجنى • كما أن هذا العقد عاد للظهور فى الشرق الاسلامى بعد فترة انقطاع طويلة ، فنجده لاول مرة فى مصر فى مئذنه جامع احمد بن طولون

(١) انظر كتاب : د • فريد شافعى " العمارة العربية فى مصر الاسلامية القاهرة ١٩٧٠ •

العقد النصف دائري ذو حدوة الحصان

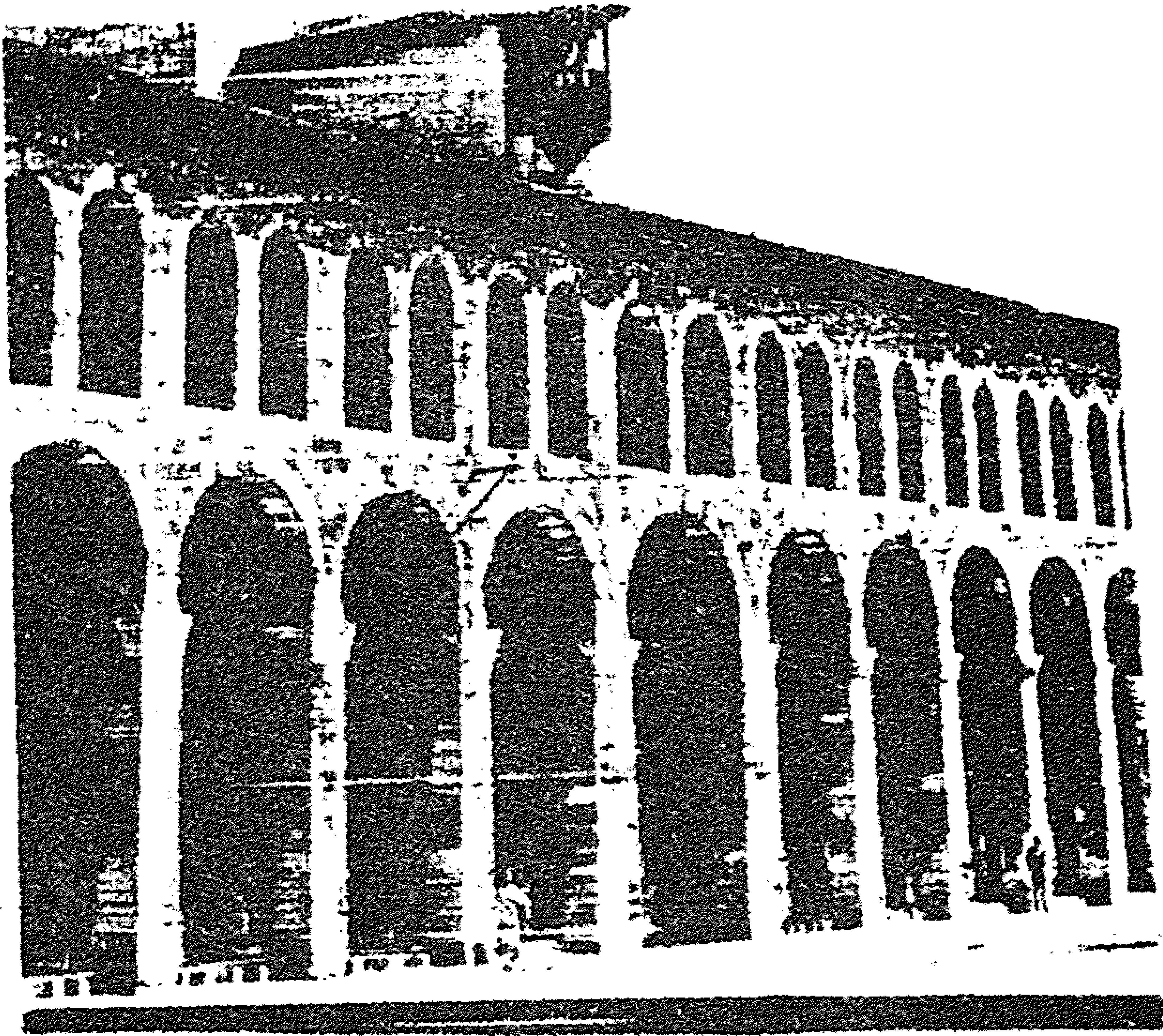
معمدانية مار يعقوب ببلاد الشام

(شكل ٣١)



طاق غرا بين ايران والعراق

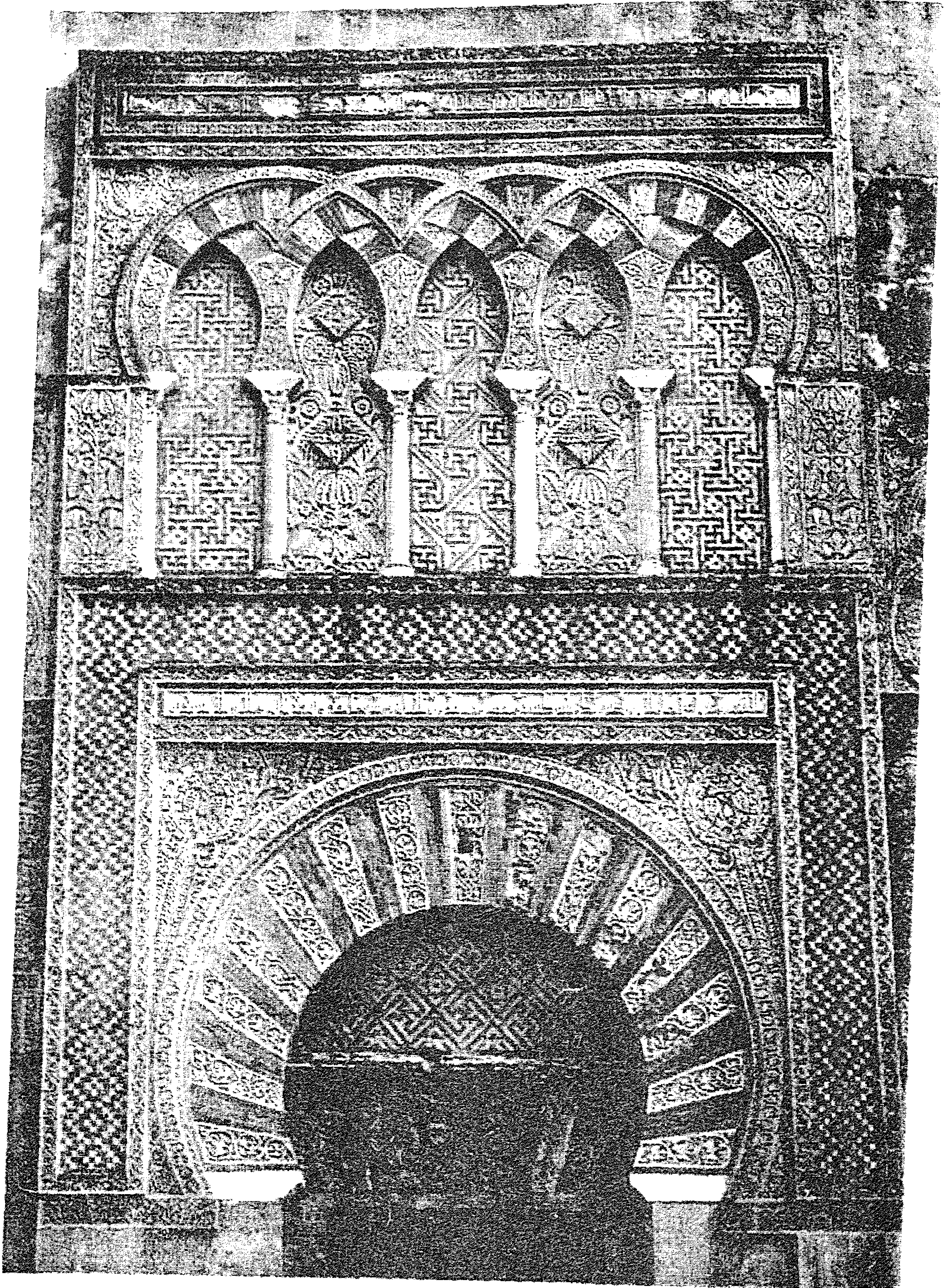
العقد النصف دائرى ذو حدوة الحصان



(شكل ٣٢)

الجامع الاموى بدمشق

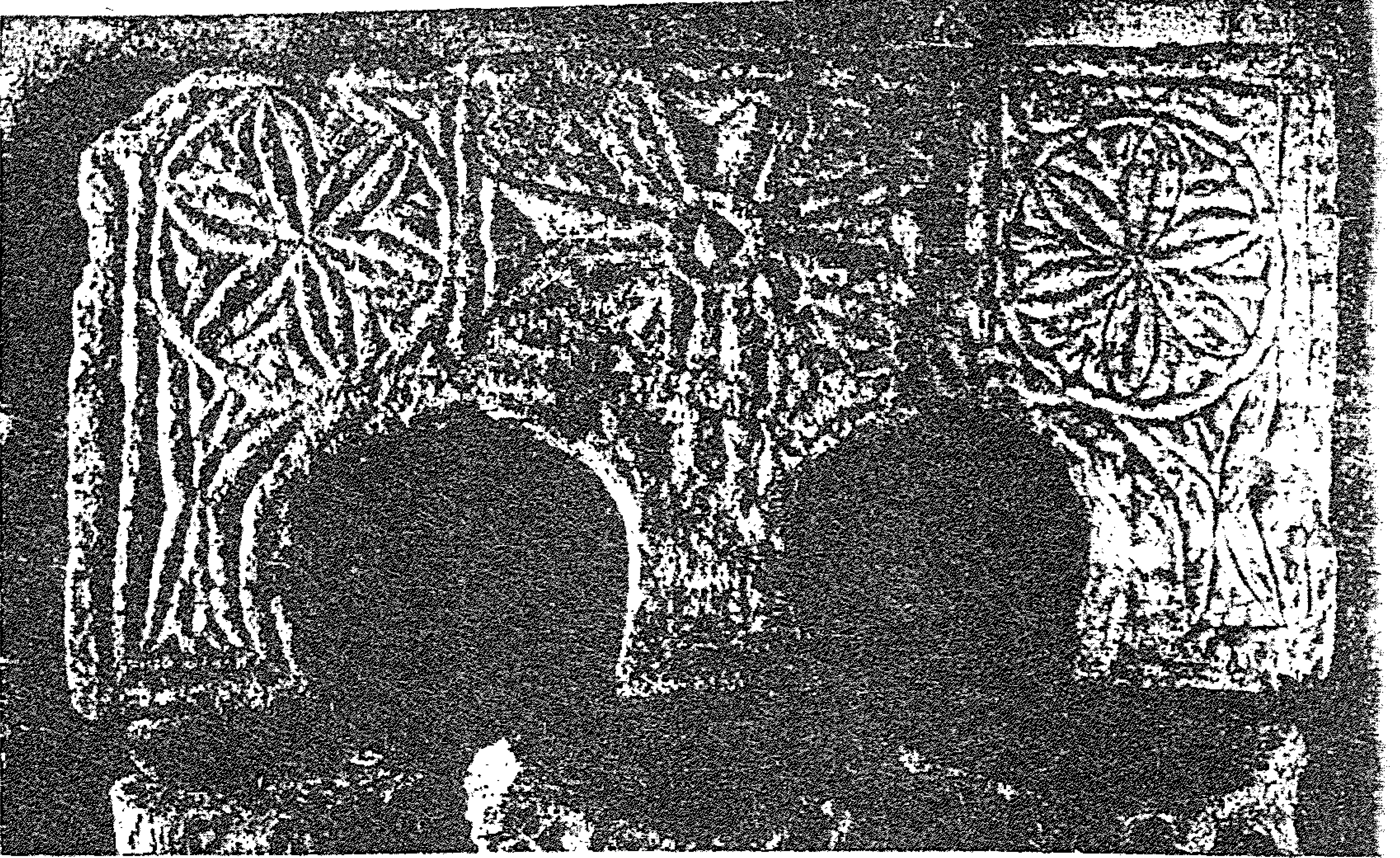
العقد النصف دائري ذو حدوة الحصان



(شكل ٣٣)

جامع قرطبة

العقد النصف دائرى ذو حدوة الحصـــان



(شكل ٣٤)

نافذة احدى الكنائس القديمة

بقرطبـــــة

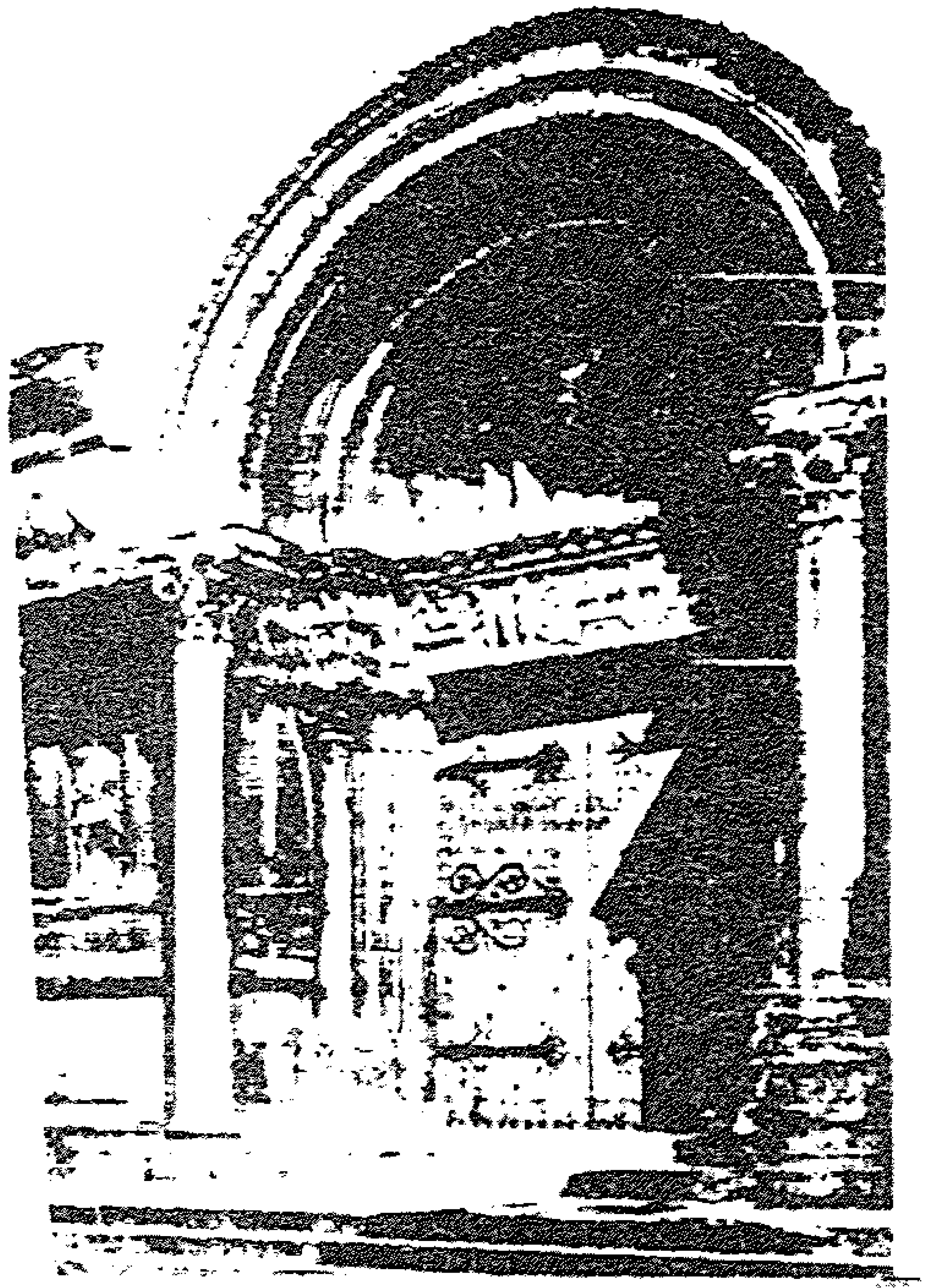
بالقاهرة من أوائل العصر المملوكي ويدلنا هذا على مدى الاتصال الوثيق بين طرفي العالم الاسلامي •

هذا الشكل النصف دائرى ذو حدوة الحصان وجدناه في بعض المساقط الافقية لمحاريب المساجد كما في محراب جامع قرطبة عام (٧٥٦م) (شكل ٢٠) وقد انتقل هذا الشكل ايضا في شرقيات العديد من الكنائس كما في كنيسة S. Miguel بمدينة Escalada باسبانيا من القرن الثاني عشر الميلادى (شكل ٢٣) علاوة على استعماله في عقود تلك الكنائس •

انتقل هذا العقد من اسبانيا الى اوربا فنجده في فرنسا يكون مدخل كنيسة S. Gilles بالقرب من مدينة Arles (شكل ٣٥) • وفي كنيسة S. Philibert بمدينة Tournus (شكل ٣٦) • وفي اسبانيا نجده في كنيسة Santiago de Compostella (شكل ٣٧) • وجميع هذه الكنائس من القرن الثاني عشر الميلادى •

من المحتمل ان تكون هذه العقود ذات حدوة الحصان سواء كانت نصف دائرية أو مدببة • قد اخذت هذا الشكل نتيجة لطريقة انشائها حيث كانت توضع القوم الخشبية التي سيبنى عليها العقد على الاكتاف الحاملة له • وبعد اتمام بناء العقد تفك القوم ويستكمل الجزء العلوى من الكتف بحيث تأخذ نفس انحناء قوس العقد • ولذلك أصبح شكله شبيها بحدوة الحصان •

العقد النصف دائرى ذو حدوة الحصان



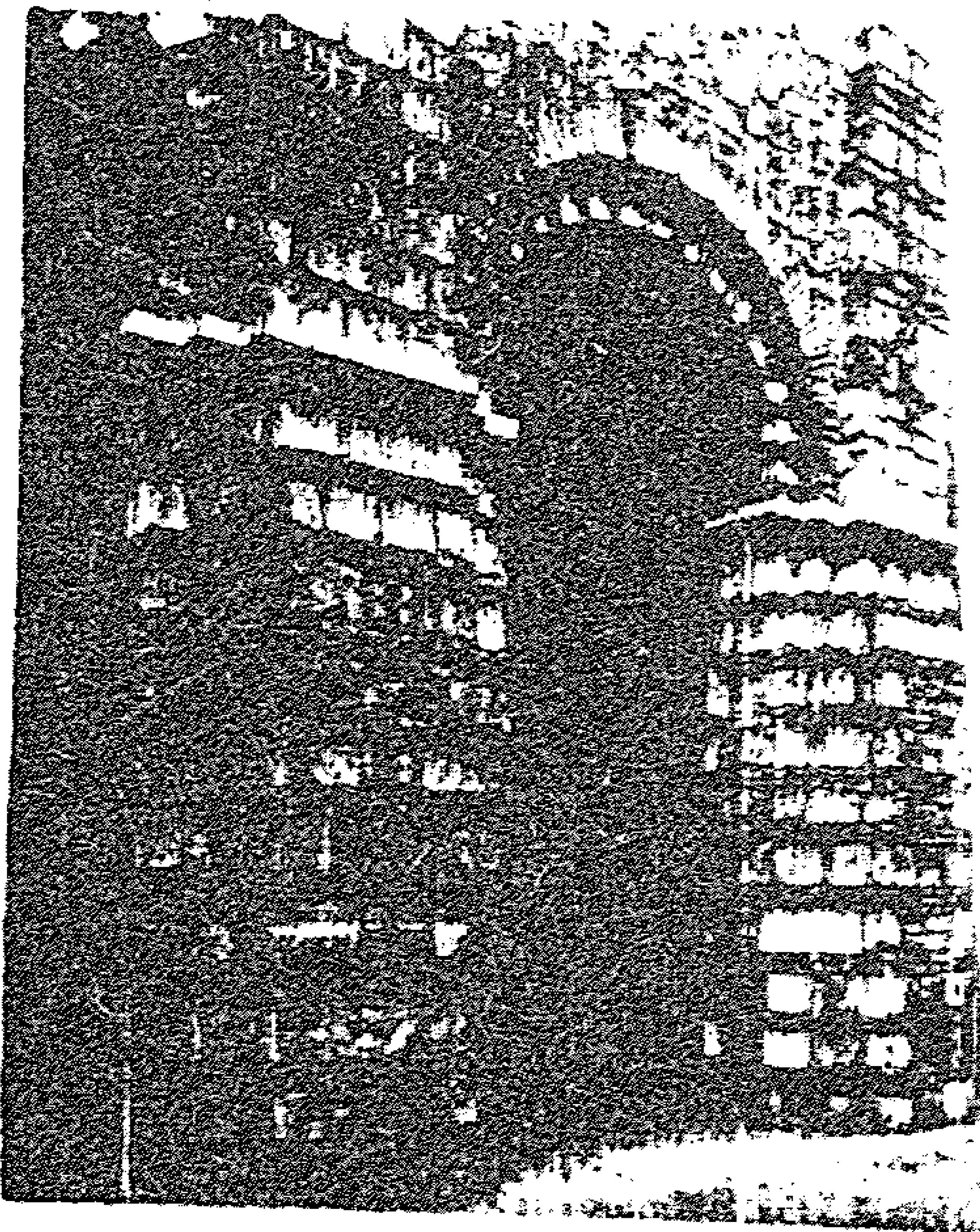
(شكل ٣٥)

كنيسة سان جيسل بفرنسا



(شكل ٣٧)

كنيسة سانتياجو باسبانيا



(شكل ٣٦)

كنيسة سان فيليبيرت بفرنسا

د ـ العقد ذو الفصوص Lobed Arch

يعتبر هذا العقد ابتكارا اسلاميا ، ظهر لاول مرة في العصر الاسلامي كعنصر زخرفي أى كعقد أصم Blind Arch وذلك في واجهة باب بغداد بمدينة الرقه[(١)] عام (٧٢٢م) في العصر العباسي المبكر وكان يتكون من خمسة فصوص (شكل ٣٨) . كذلك وجد بجامع المتوكل بسامرا من منتصف القرن التاسع الميلادى وتكون أيضا من خمس فصوص تحيط بشباك مستطيل Arrow Slit يرى من داخل المسجد فقط ويرتكز على اعمدة متصلة صغيرة ويحيط هذه المجموعة اطار مستطيل . اما من خارج المسجد فلا يظهر سوى فتحة النافذه المستطيلة فقط . (شكل ٣٩).

وقد نرى هذا العقد الزخرفي الاصم مكون من عدة فصوص متجاورة تعلو عقدا آخر وتحيط به كنوع من الزخرفة .

اما العقد ذو الفصوص العادى (الغير أصم) فاما أن يكون ثلاثي او خماسي أو متعدد الفصوص ، ففي مصر استعمل بكثرة العقد ذو الثلاث فصوص يعلو مداخل المساجد والمدارس وغيرها من المباني الاسلامية كما في مدخل مسجد زين الدين يحيى بالقاهرة عام (١٤٥٢م) (شكل ٤٠) . ويعتبر عقد مدخل مدرسة زين الدين يوسف عام (١٢٩٨م) بالقاهرة أقدم مثال لهذا العقد في مصر[(٢)].

استعمل هذا العقد في المداخل الغائرة Recessed entrances وكان يغطى الجزء العلوى من المساحة المستطيلة ⌒ وكان الانتقال من الشكل المستطيل الى الشبه دائرى عن طريق المقرنصات والدلايات أو عن طريق الحنايا الركنية Squinches

---

(١) تقع هذه المدينة بين سوريا والعراق . أنشأها الخليفة المنصور وكان لها ثلاث مداخل ملتوية .

(٢) انظر كتاب : د . صالح لمعي : التراث المعمارى الاسلامي في مصر ،بيروت ١٩٧٠.

انتشر العقد ذو الفصوص بجميع انواعه واشكاله في شمال افريقيا والاندلس ففي اسبانيا نجده بقصر الحمراء وجامع قرطبة (شكل ٤١) • وفي شمال أفريقيا نجده في معظم مساجدها كما في جامع تلمسان عام (١١٣٩م) (شكل ٤٢) • وأصبح هذا العقد من أهم المعالم المعمارية الاسلامية في تلك المنطقة •

أن الشكل العام لهذا العقد اما أن يكون نصف دائريا أو مدببا • أما الفصوص فعادة تكون بشكل نصف دائرى •

اما في الغرب فقد انتقلت العقود المفصصة من اسبانيا الى ايطاليا وفرنسا وغيرها من بلدان اوربا • ففي فرنسا نجد العقد الثلاثي الفصوص يكون مدخلي كاتدرائية Cahors وكنيسة S. Michel بمدينة Puy (شكل ٤٣) • وهما من القرن الثاني عشر الميلادى • وفي برشلونه نجد هذا العقد في اروقة دير S. Paulo بمدينة Campo من القرن الحادى عشر الميلادى • وفي ايطاليا نجده في قصر الحاكم بالبندقية من القرن الرابع عشر الميلادى (شكل ٤٤) •

اما أمثلة العقود المتعددة الفصوص فهي كثيرة ومنتشرة باوربا • ففي فرنسا نجدها في كنيسة La Souterraine عام (١٢٠٠م) وكاتدرائية Amiens عام (١٢٢٠–١٢٨٠م) وفي مقبرة S. Piat بمدينة Tournai (١) من اواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر الميلادى • (شكل ٤٥) • وفي انجلترا نجد هذا العقد في الباب الغربي لكاتدرائية Liechfield من القرن الثالث عشر الميلادى (شكل ٤٦) • وفي اسبانيا نجده بكنيسة Santiago من القرن الرابع عشر الميلادى • وفي ايطاليا نجده في مذبح كنيسة S. Maria (٢) بالبندقية من القرن الثالث عشر الميلادى • (شكل ٤٦) •

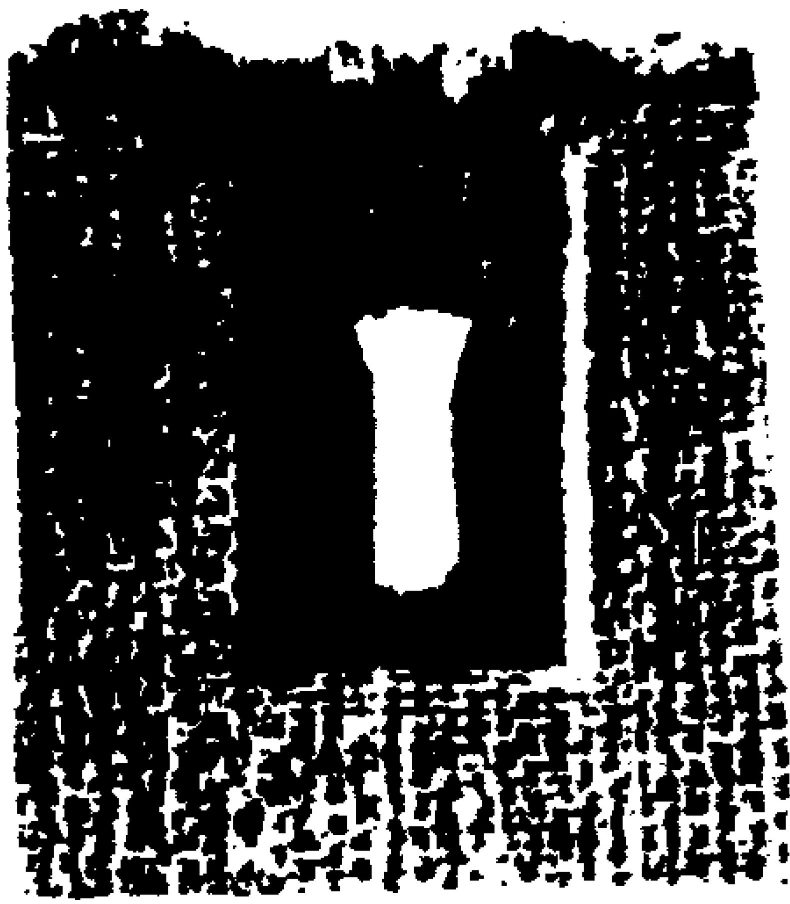
---

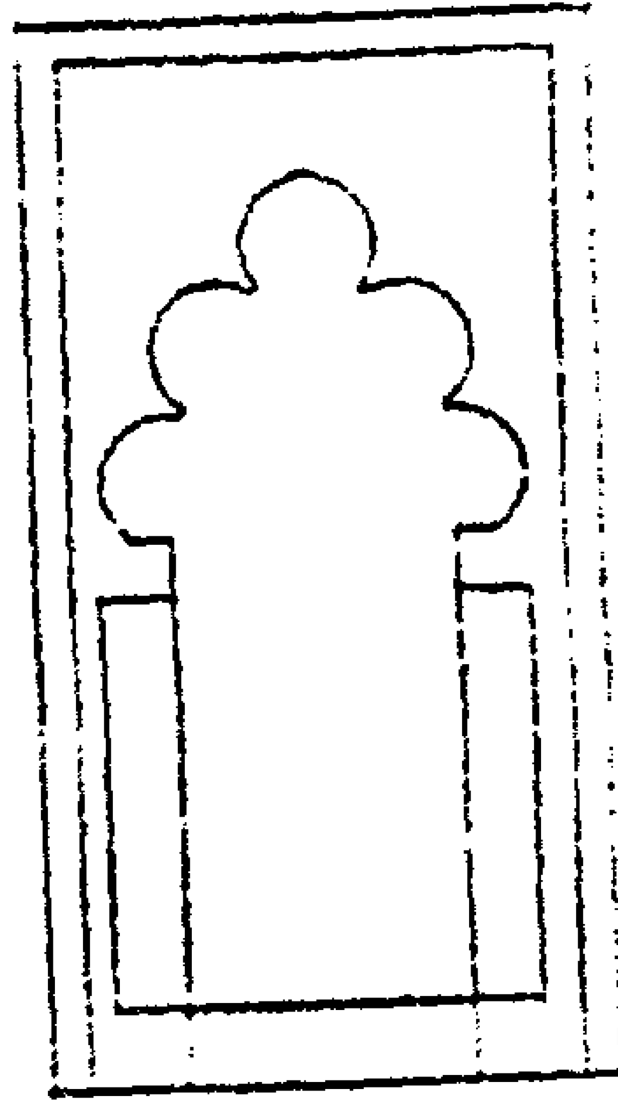
(١) انظر صفحة ٣٩٢ كتاب : B. Fletcher: A History of Architecture London 1962.

(٢) انظر صفحة ٥٨١ كتاب : " " " " " " " :

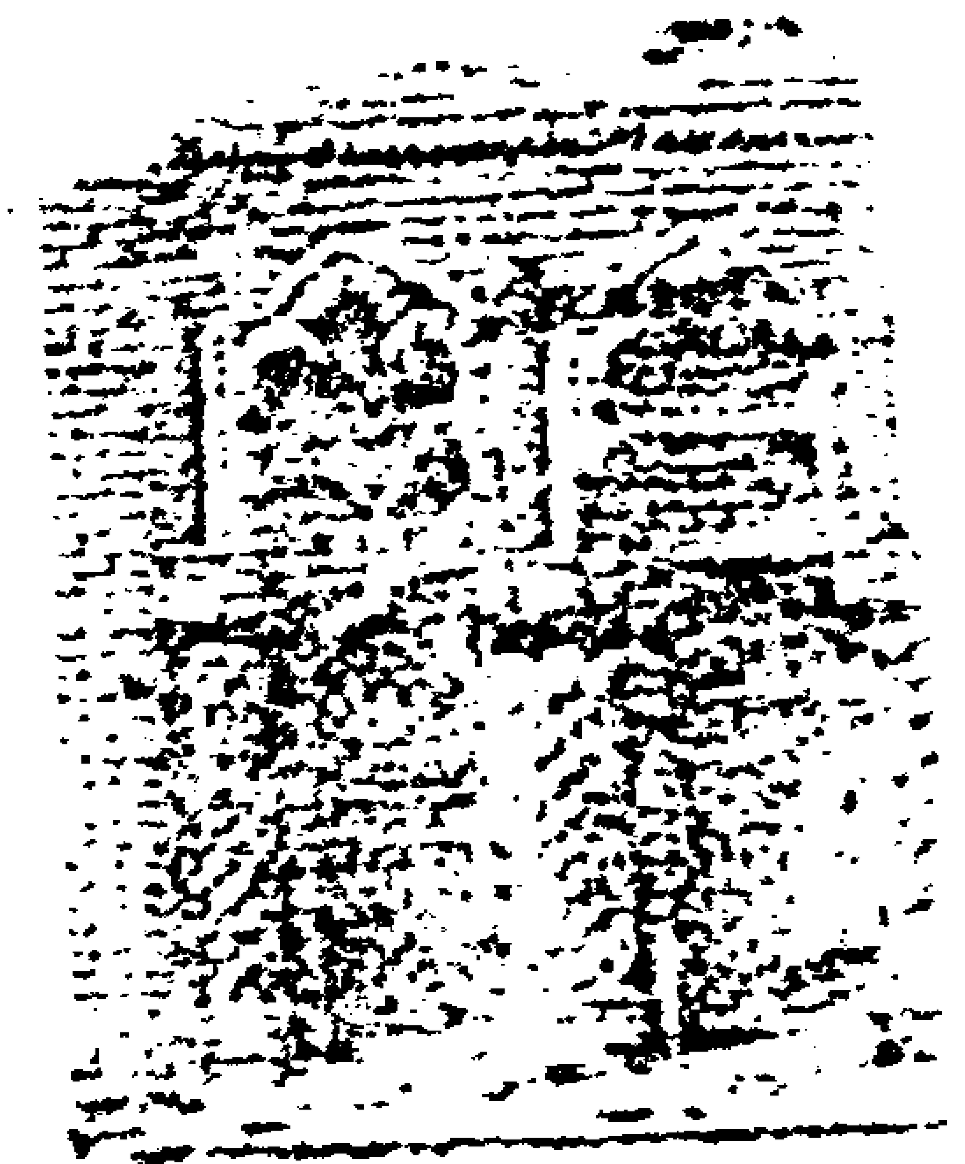
العقد ذو الفصوص

(شكل ٣٩)





جامع المتوكل بسامرا



(شكل ٣٨)

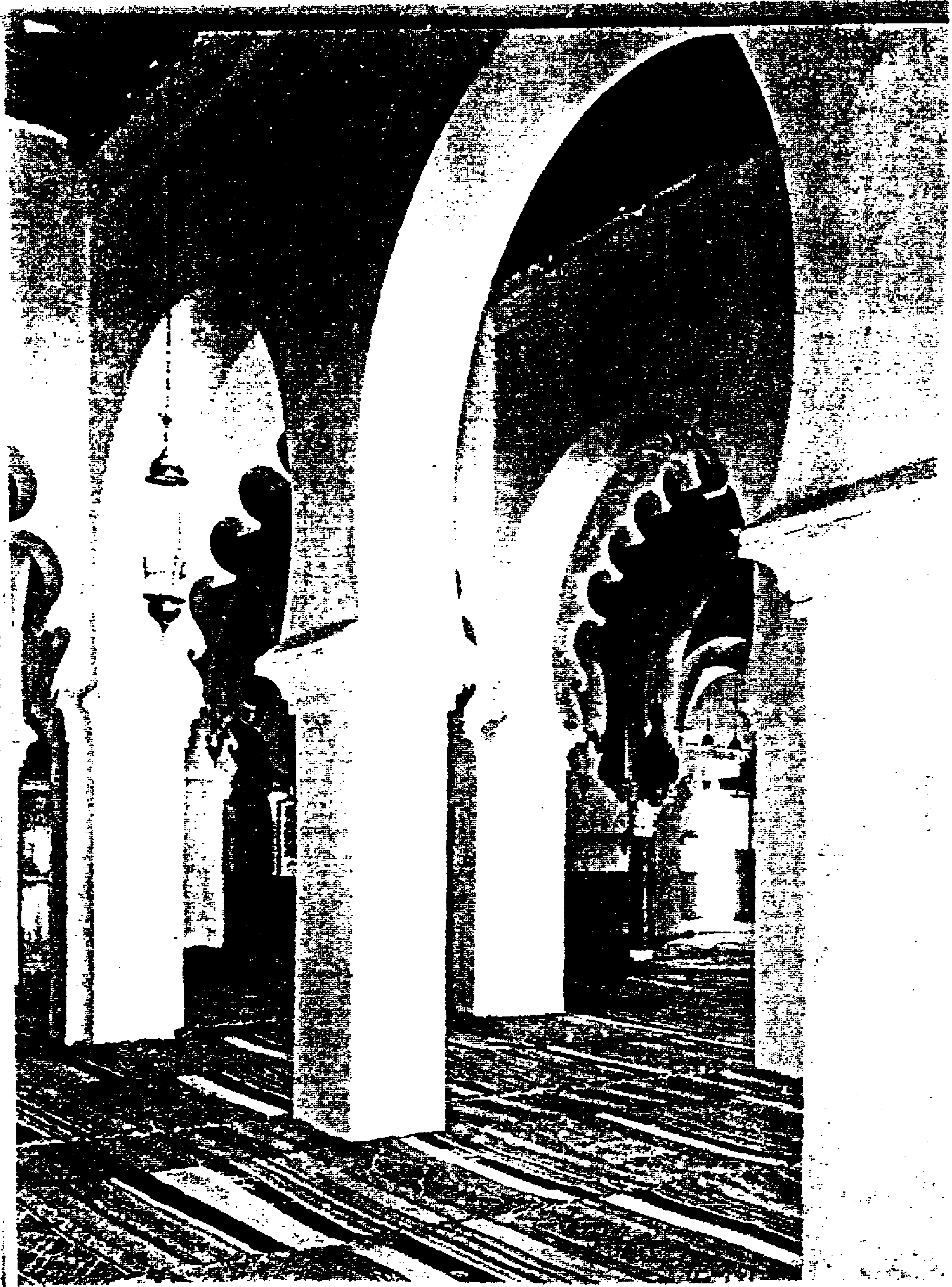
باب بغداد بالرقة



(شكل ٤٠)

مسجد زين الدين [illegible]

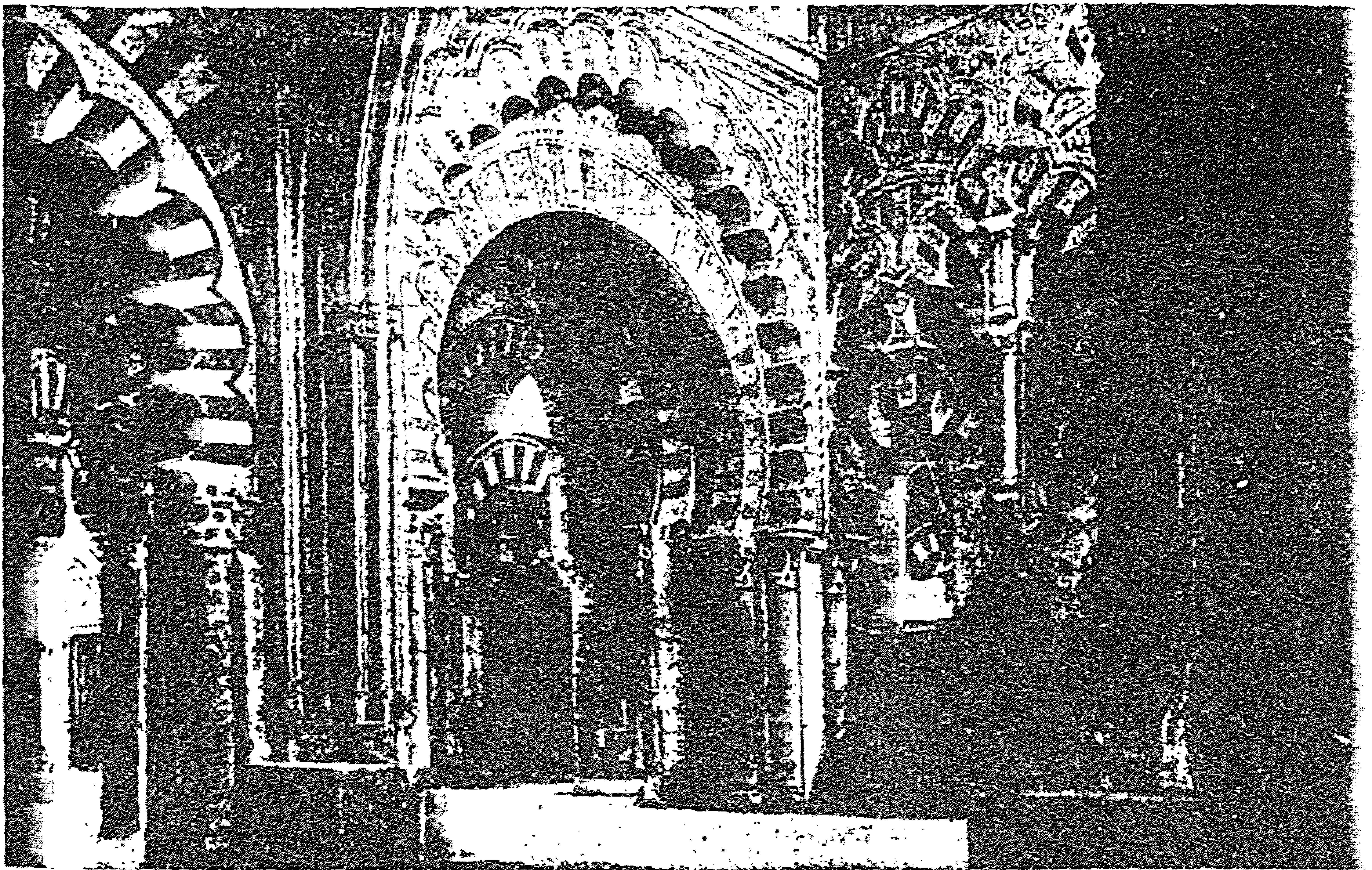
العقد ذو الفصوص

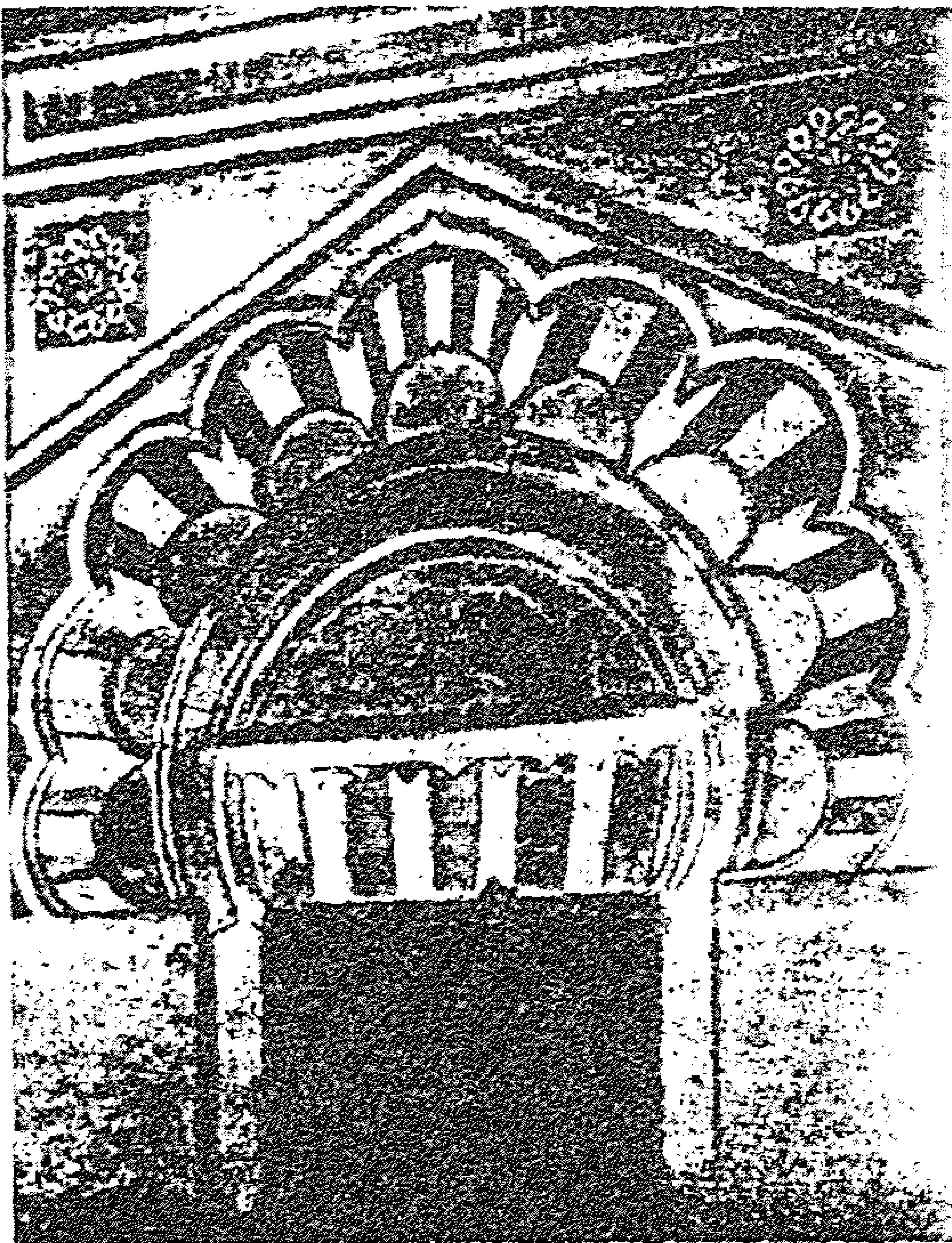


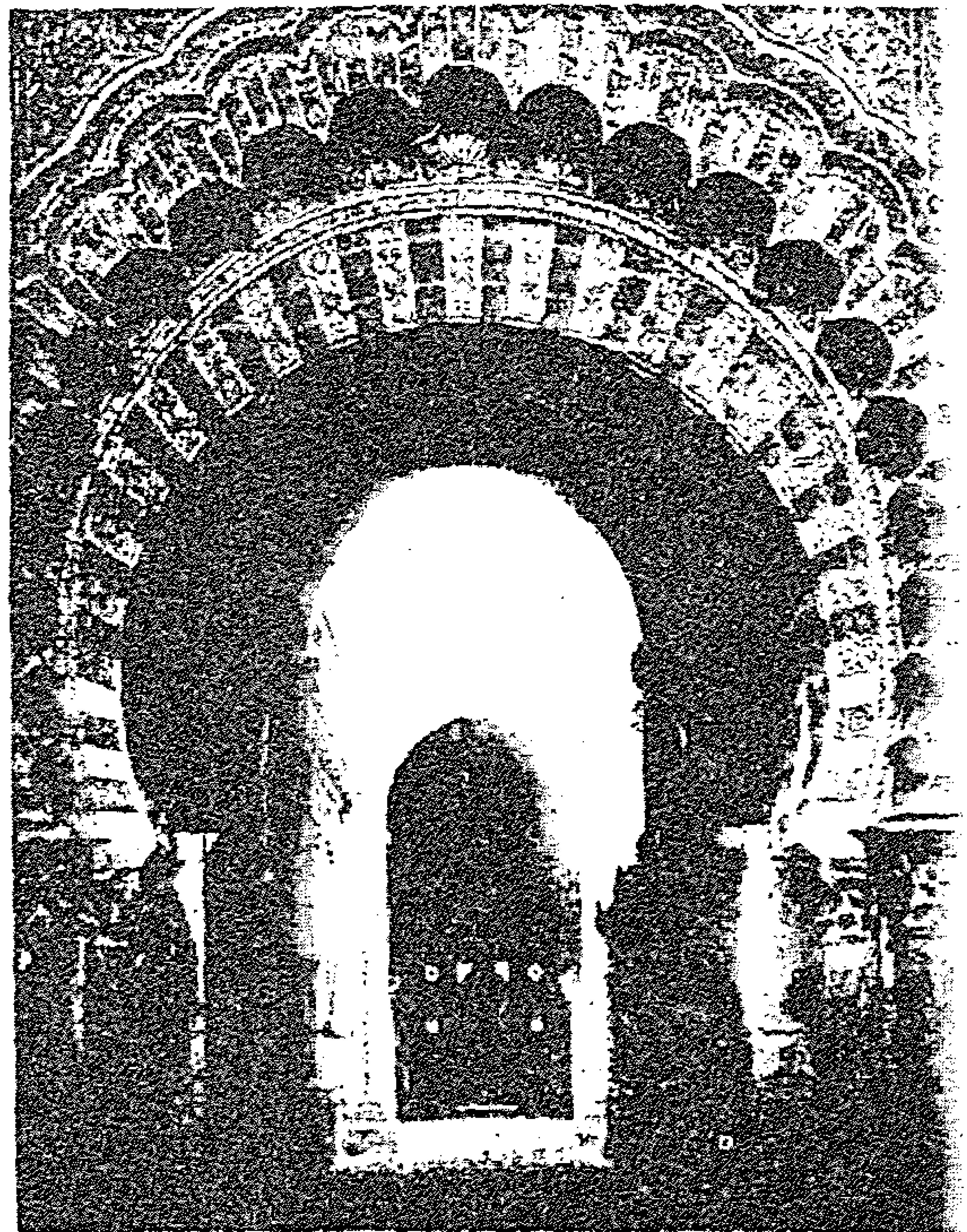
(شكل ٤٢)

جامع تلمسان

العقد ذو الفصوص

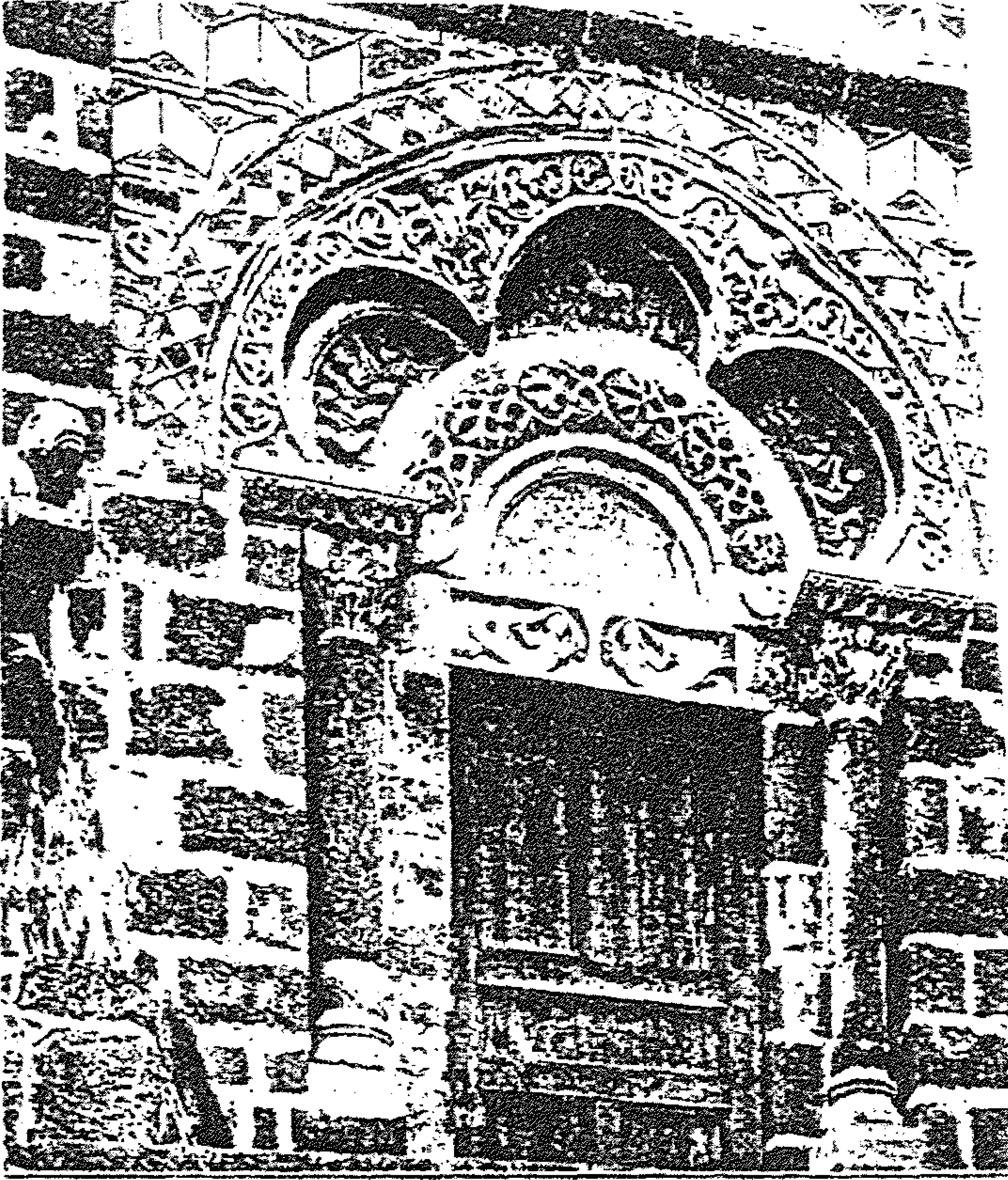




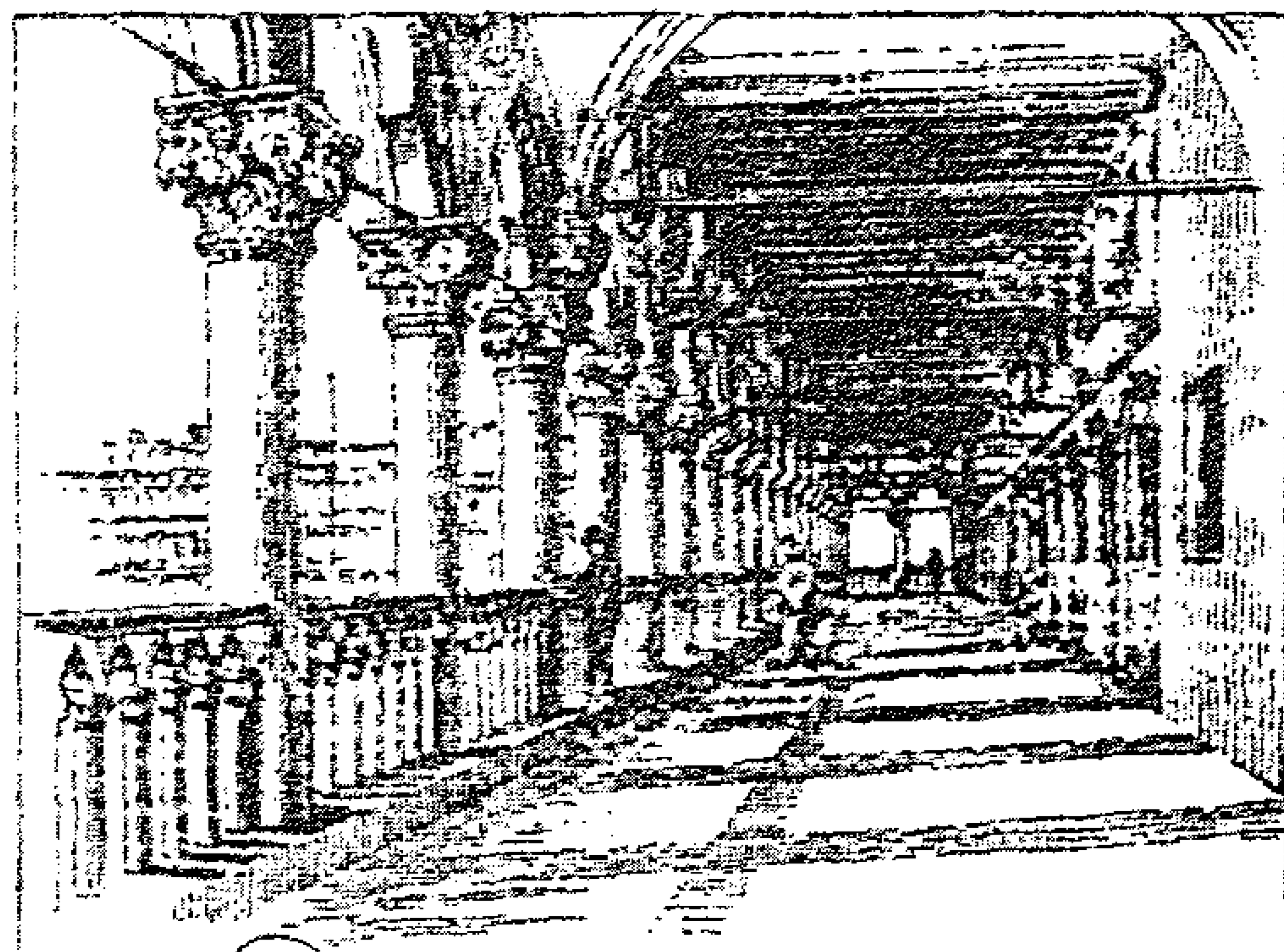


(شكل ٤١)
جامع قرطبة باسبانيا

العقد ذو الفصوص

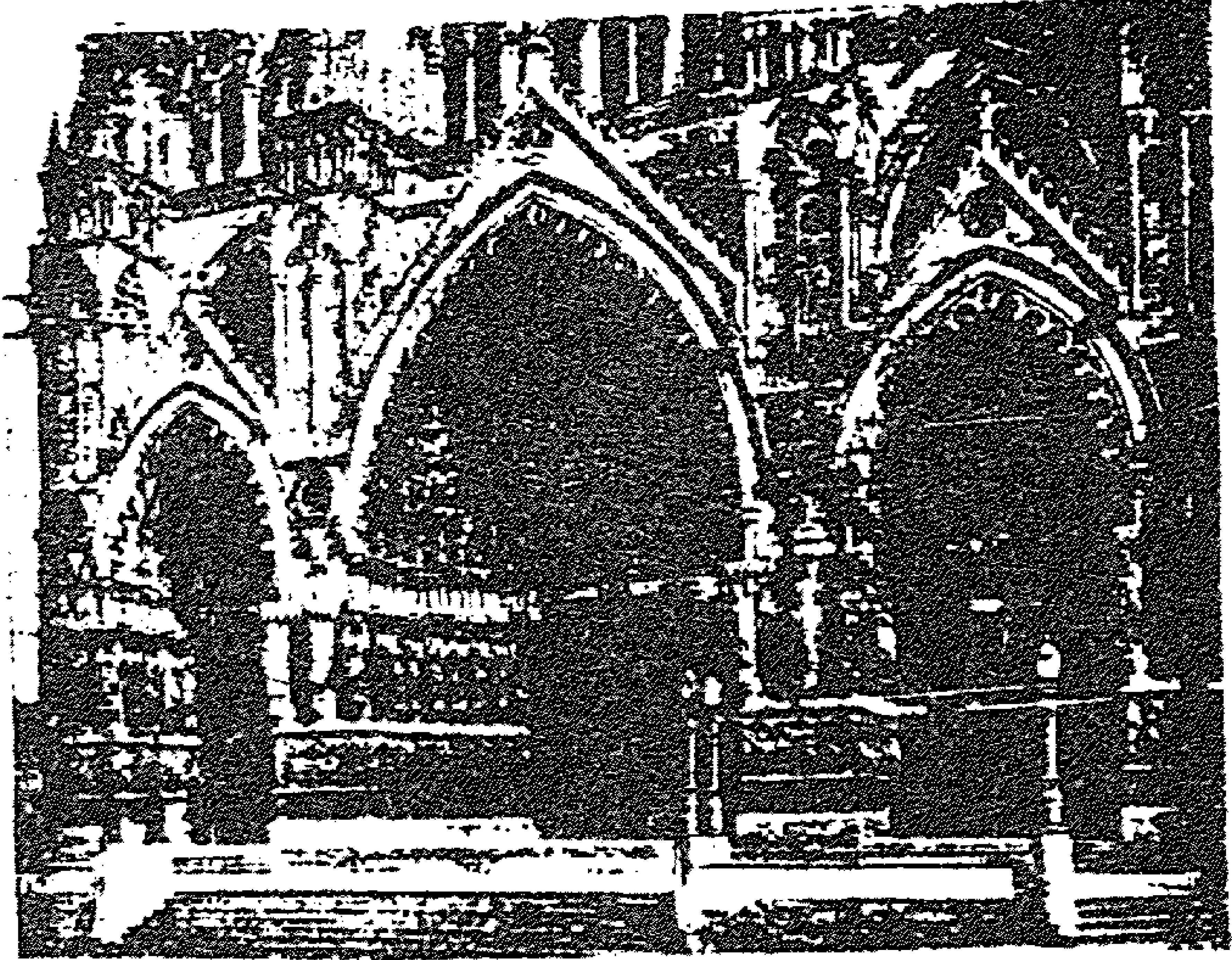


(شكل ٤٣)
كنيسة سان ميشيل بفرنسا

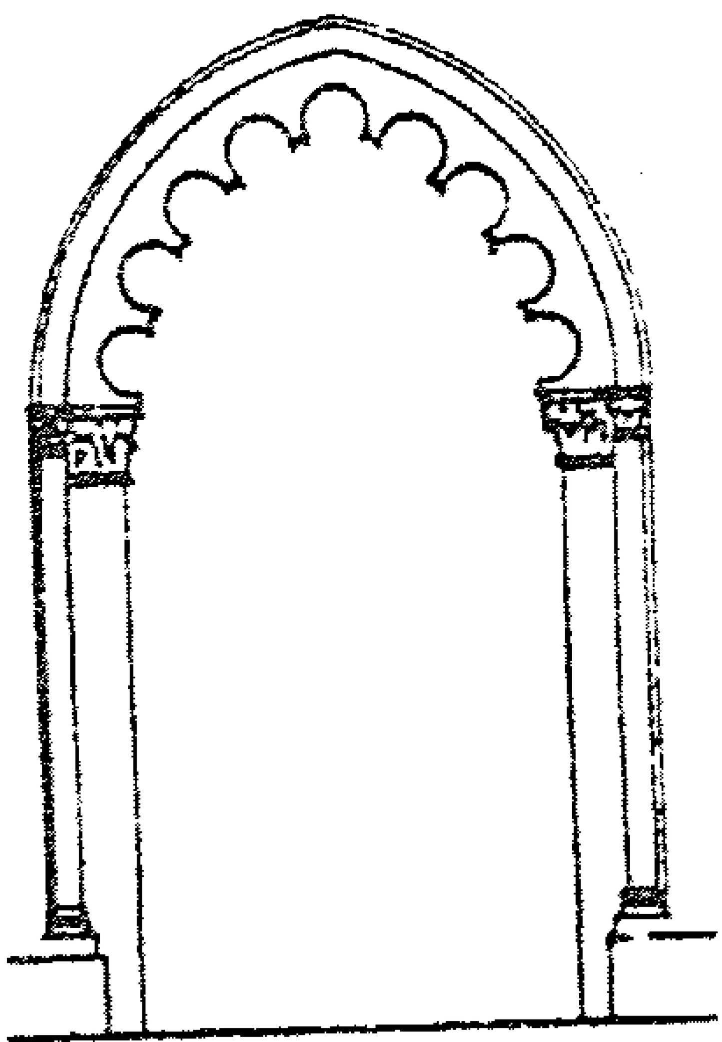


(شكل ٤٤)
قصر الحاكم بالبندقية

العقد ذات الفصوص

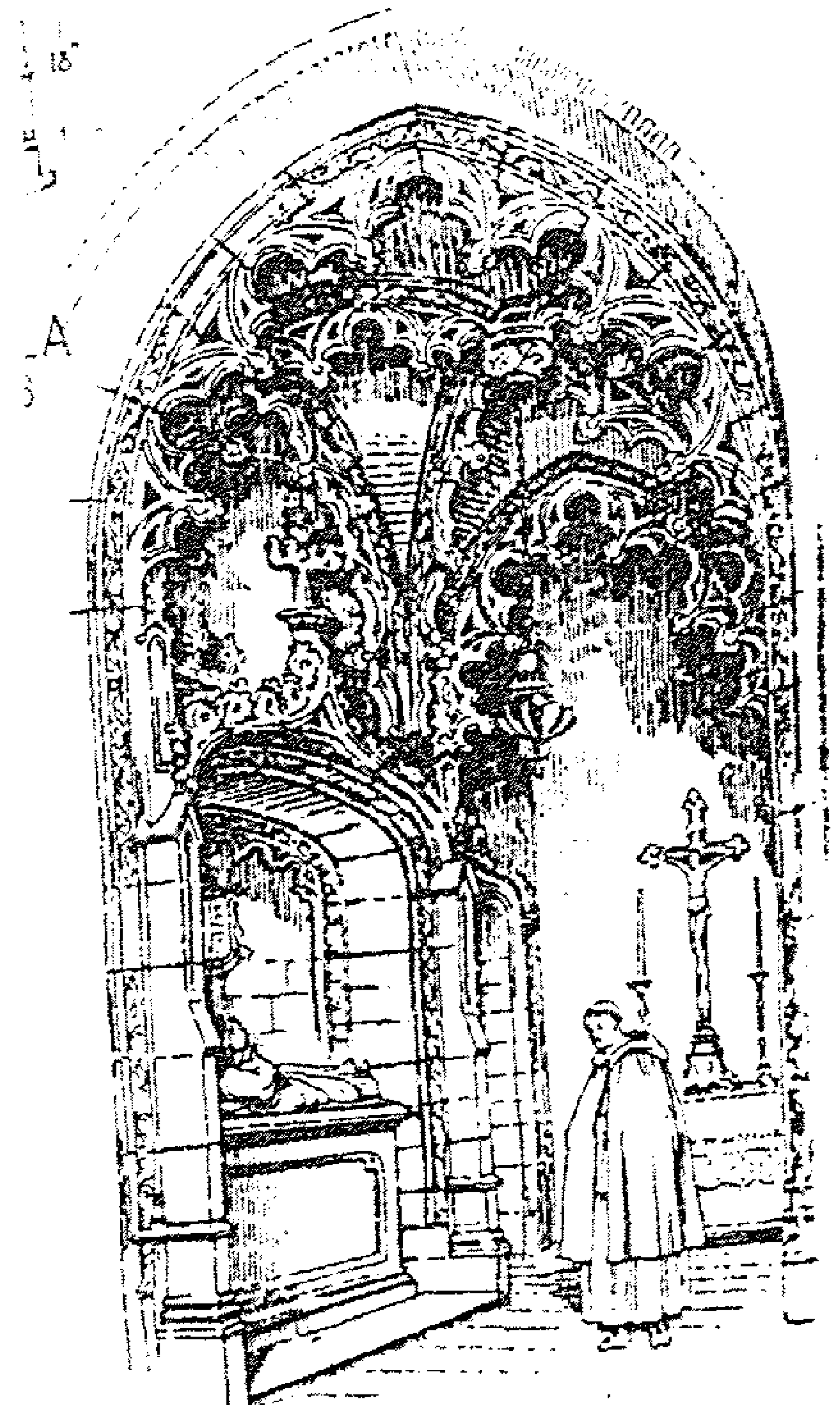


مدخل كاتدرائية اميَنس



عقد من كنيسة سوتيراين

(شكل ٤٥)



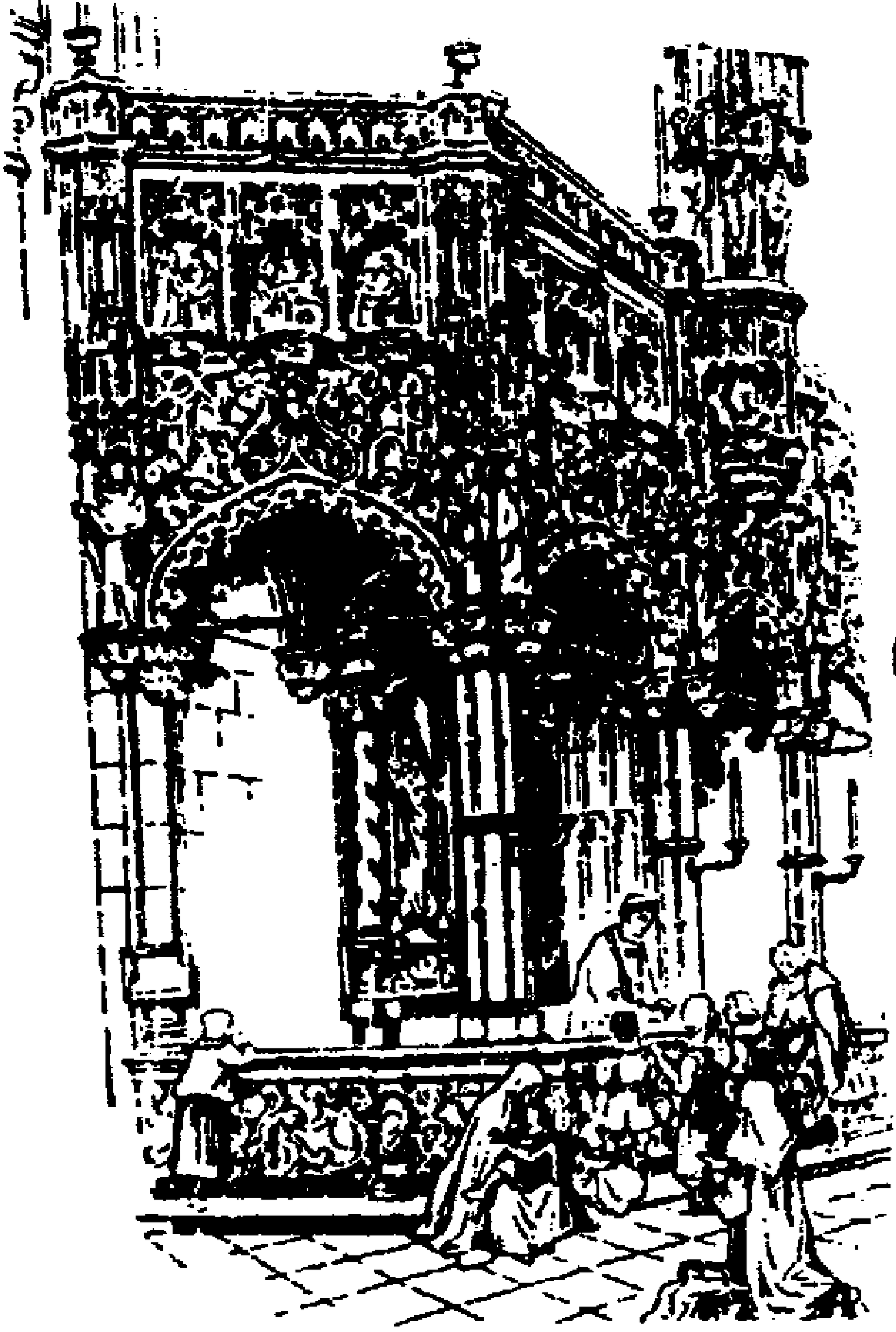
مقبرة سان بيسات

العقد ذو الفصـــوص



كنيسة سانتياجــو

(شكل ٤٦)



مذبح سانت مريسا



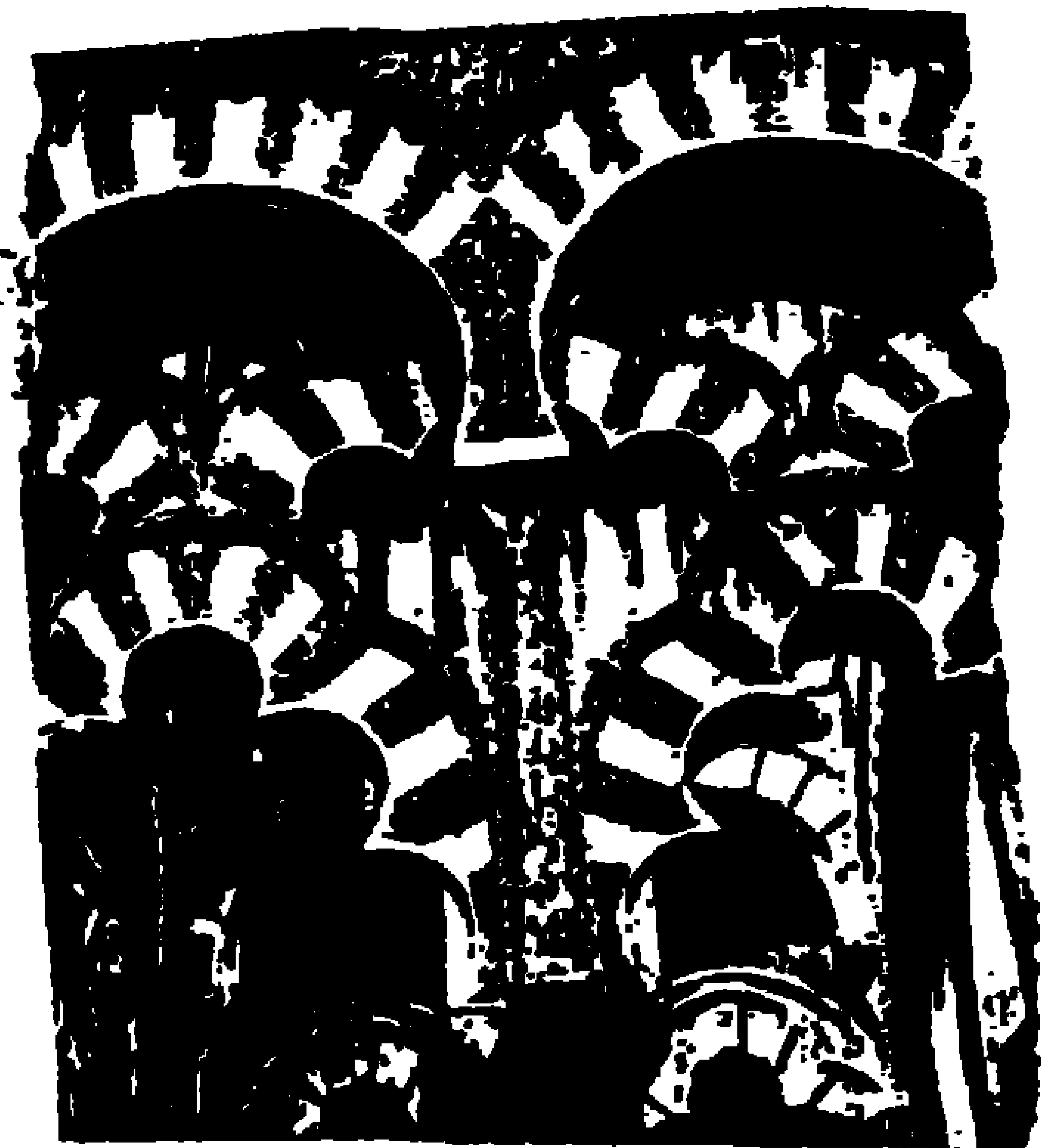
كاتدرائية ليشفيلد

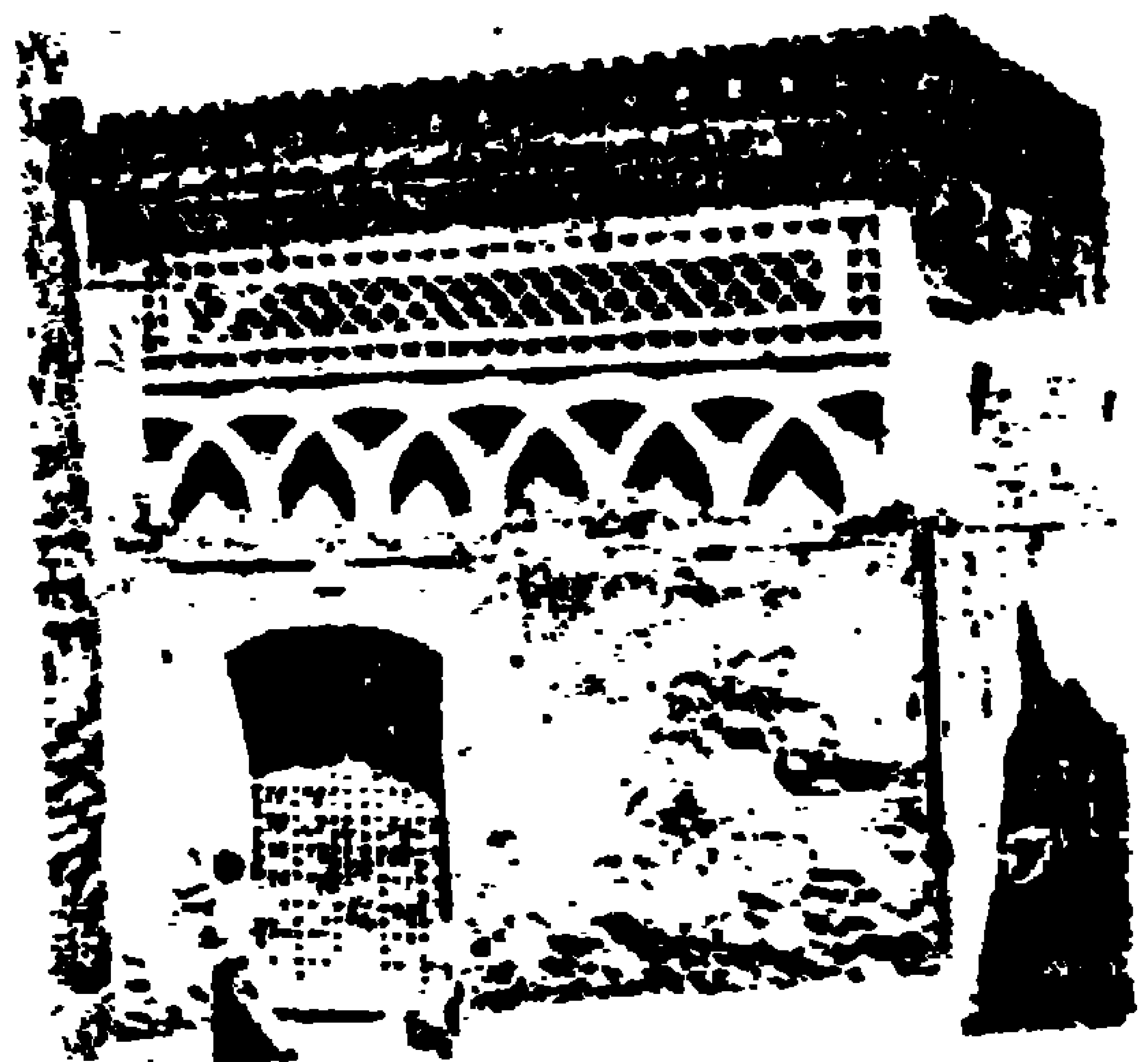
هـ - العقود المتقاطعة Interlacing Arches

يعتبر هذا العنصر ابتكارا اسلاميا ، ظهر لاول مرة في اسبانيا ، نجده مرة على سطح مستوى من عقود متقاطعة صماء كعنصر زخرفي ، ومرة اخرى نجده في الفراغ كعنصر انشائي كالذى قامت عليه قبة محراب جامع قرطبة كما شمل هذا الجامع العنصر الزخرفي أيضا يعلو أحد ابوابه وهذا العنصر انتشر في بعض المباني الاسلامية باسبانيا كما في جامع باب المردوم بطليطله عام (٩٨٠م) (شكل ٤٧) .

ويعتبر العنصر الانشائي ثورة معمارية تحققت في جامع قرطبة حيث أبدع المهندس الذى ابتكر هذه العقود المتقاطعة وحقق هدفه الانشائي والجمالي في نفس الوقت .

لم تنتقل هذه العقود بنوعيها الانشائي والزخرفي في أى مبنى اسلامي بالمشرق العربي . أما العقود الزخرفية فقد انتقلت من اسبانيا الى العالم الغربي خلال العصور الوسطى ، حيث نجد أن أقدم مبنى في اوربا استعمل هذا العنصر الزخرفي كان في كنيسة Durham عام (١٠١٢-١١٣٠م) بانجلترا (شكل ٤٨) . كما وجدناه في صقلية في الجدار الخلفي لشرقية كاتدرائية مدينة مونريال Monreale من القرن الحادى عشر الميلادى وكانت عبارة عن عقود منحوته في الحجر (شكل ٤٩) . وفي واجهة كاتدرائية Cefalu بالرمو من القرن الثاني عشر الميلادى (شكل ٥١) . وفي ايطاليا وجد هذا العنصر في كنيسة S. Ambrogio بميلانو من اواخر القرن الحادى عشر الميلادى .(شكل ٥٠)





(شكل ٤٧)

جامع قرطبة

٢ ـ القباب والاقبية ذات الاضـــلاع Ribbed Domes and Vaults

ظهرت الاضلاع Ribs في القباب الرومانية كما في قبة معبد البانيثون Pantheon بروما عام (١٢٠ــ١٢٤ ق٠م)٠ ثم ظهرت في العمارة الفارسية الساسانية وكانت بشـكل عقود مبطنه تحت الاقبية وذلك منذ عام (٢٢٦م) ثم انتقلت الى ارمينيا (شكل ٥٢) حيث عملت هذه الاضلاع ليس فقط تحت الاقبية وانما كانت تحت القباب ايضا وذلـــك كعنصر انشائـي ٠

ومن ارمينيا انتقلت هذه الاضلاع الى اسبانيا الاسلامية حيث طورتها وكونت منهـــا اشكالا زخرفيـة جميلة علاوة على وظيفتها الانشائية ٠

انتشر هذا العنصر في شمال افريقيا والاندلس اكثر من انتشاره في المشرق الاسلامي فنراه في قباب جامعي قرطبة وباب المردم باسبانيا مكونا اشكالا زخرفية عديدة (شكل ٥٣)٠

انتقل هذا العنصر من اسبانيا الى الغرب حيث اصبح من أهم المعالم المعماريـــة لعمارة العصور الوسطى باوربا ٠ فوجدنا اقدمها في كنيسة Durham بانجلترا (شكل٥٤) من اوائل القرن الحادى عشر الميلادى٠ اما في فرنسا فقد استعمل في كنيسة Cluny عام (١٠٨٩ ــ ١١٣٠م)٠

من هذا يتضح لنا ان انجلترا سبقت فرنسا في استعمال هذه الاضلاع في قبابهـــا وأقبيتها وليس العكس صحيحا كما يدعى الكثير من المؤرخين ان هذا القبو ذا الاضلاع ابتكار فرنسي ٠

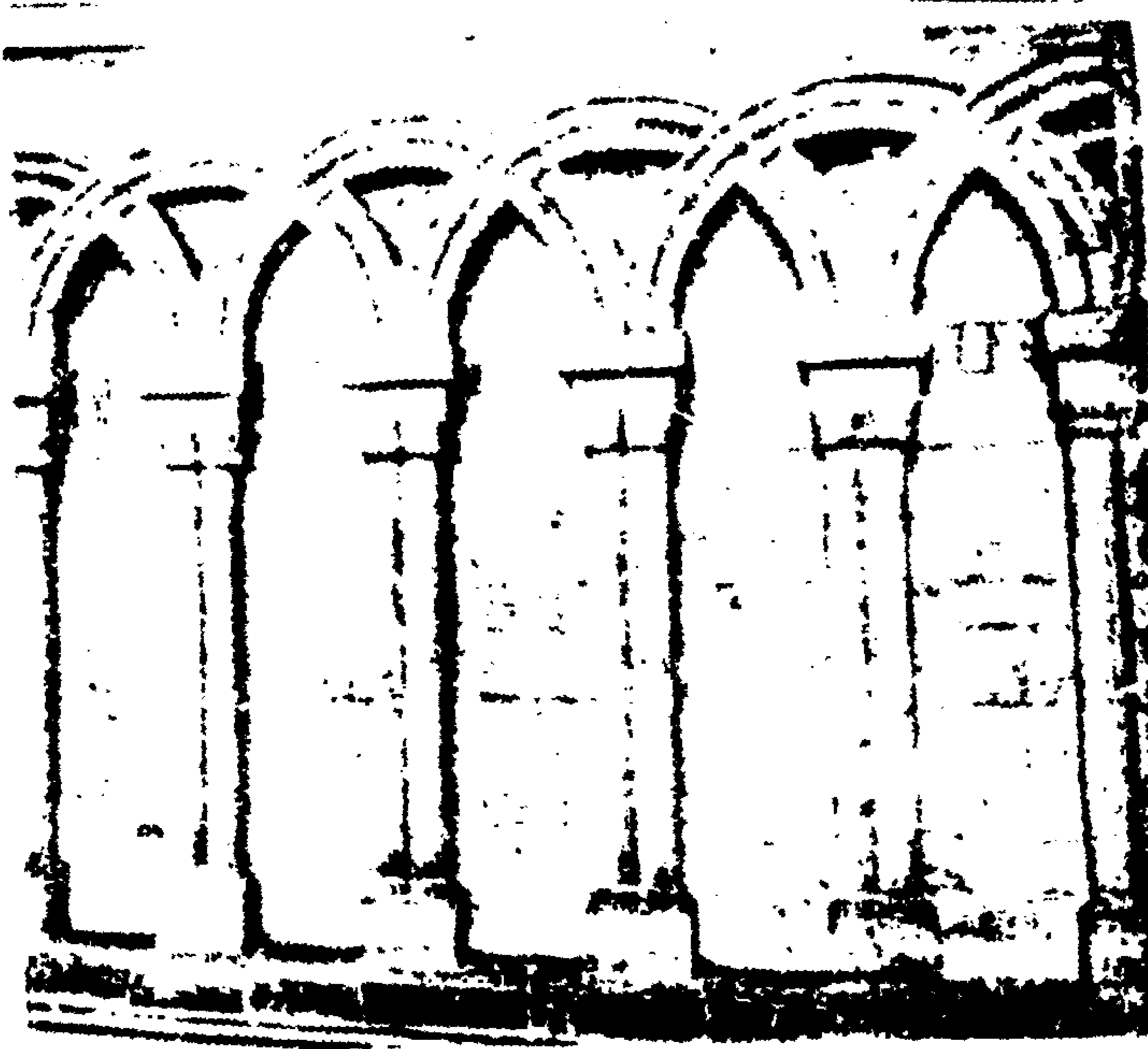
ولا ننسى ان هذه الاضلاع ظهرت في الفنون القديمة ولكن طورته قرطبـــة قبل عـــدة قرون من ظهورها في اوربا خلال العصور الوسطى ٠

كما أن الشكل العام لبعض القباب الاسلامية انتقل الى الغرب كما يظهر ذلك جليـــا في التشابه بين شكل قبة مئذنة جامع الجيوشي (١٠٨٥م) والقباب التي نراها في كنائس صقلية مثل كنيسة La Martoranna وكنيسة Cataldo (١) وهما من القـــرن الثاني عشـــر الميلادى ٠

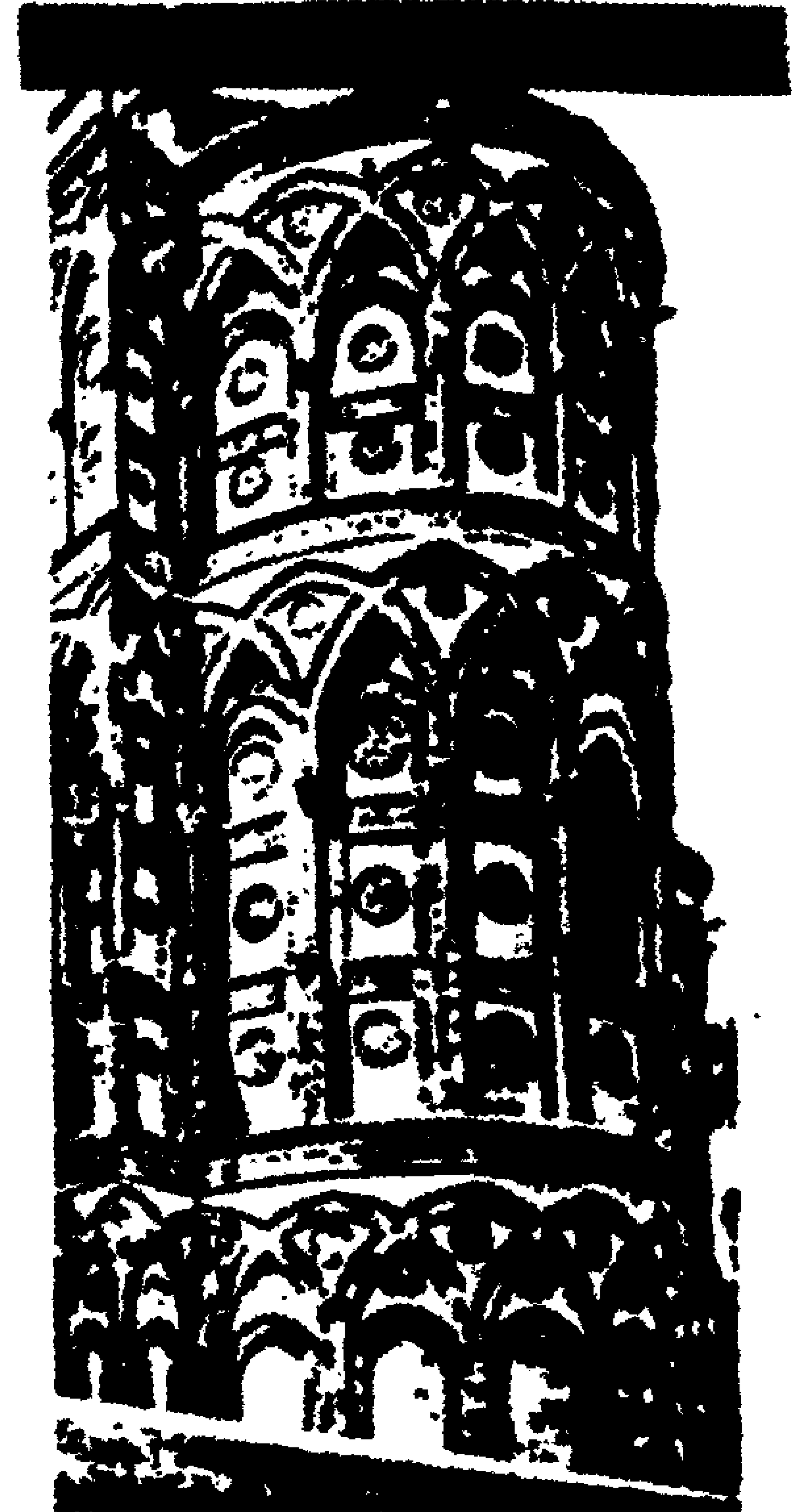
---

(١) انظر كتاب T.W. West: A History of Architecture London 1968.

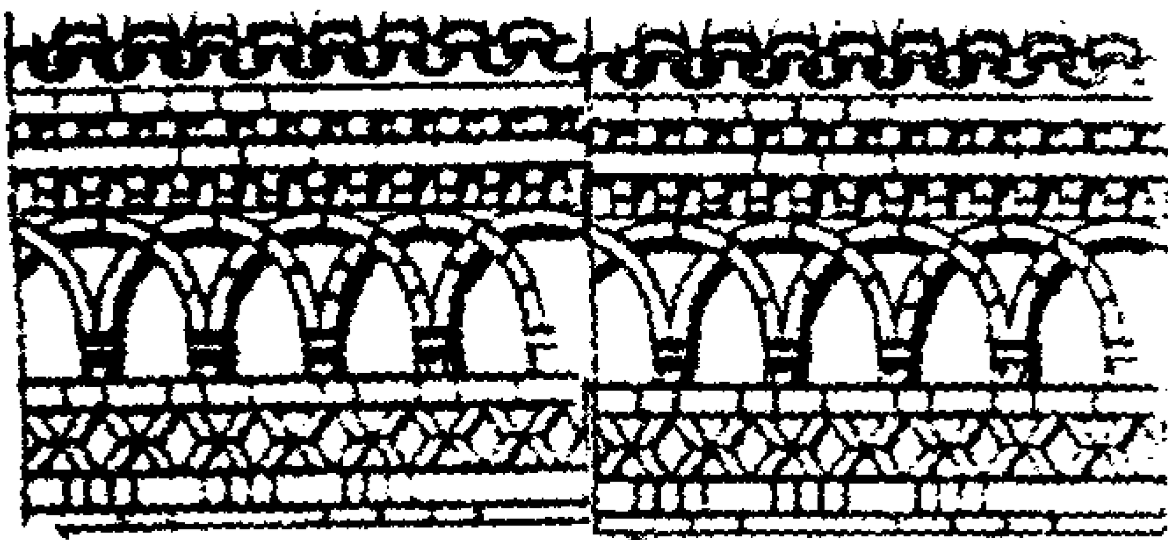
العقود المتقاطعة



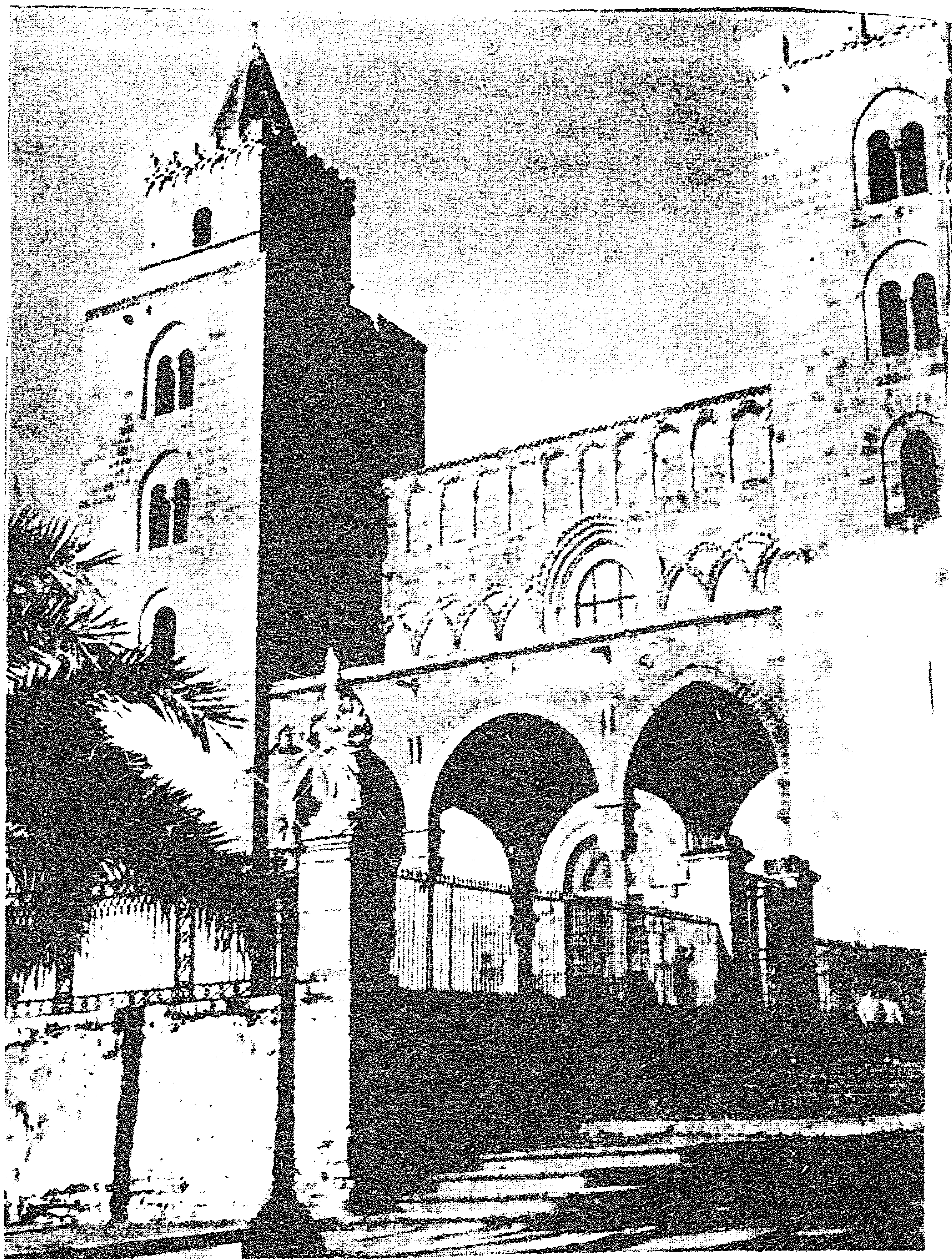
(شكل ٤٨)
كنيسة د ورهام بانجلترا



(شكل ٤٩)
شرفيه كنيسة مونريال بصقلية



(شكل ٥٠)
كنيسة امبروجيو بميلانو

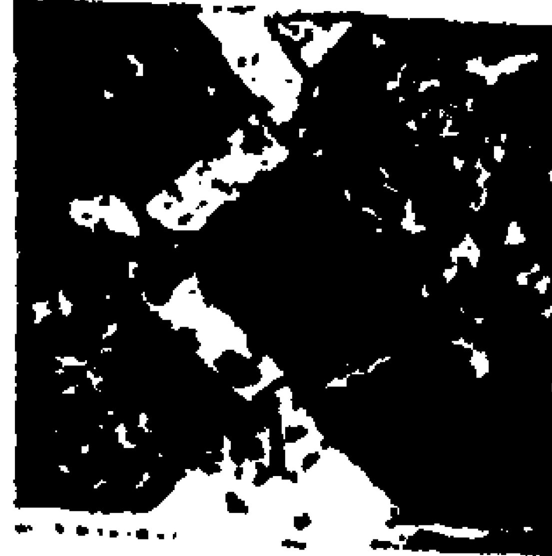


(شكل ٥١)

كاتدرائية سيفالى بصقليـــــة

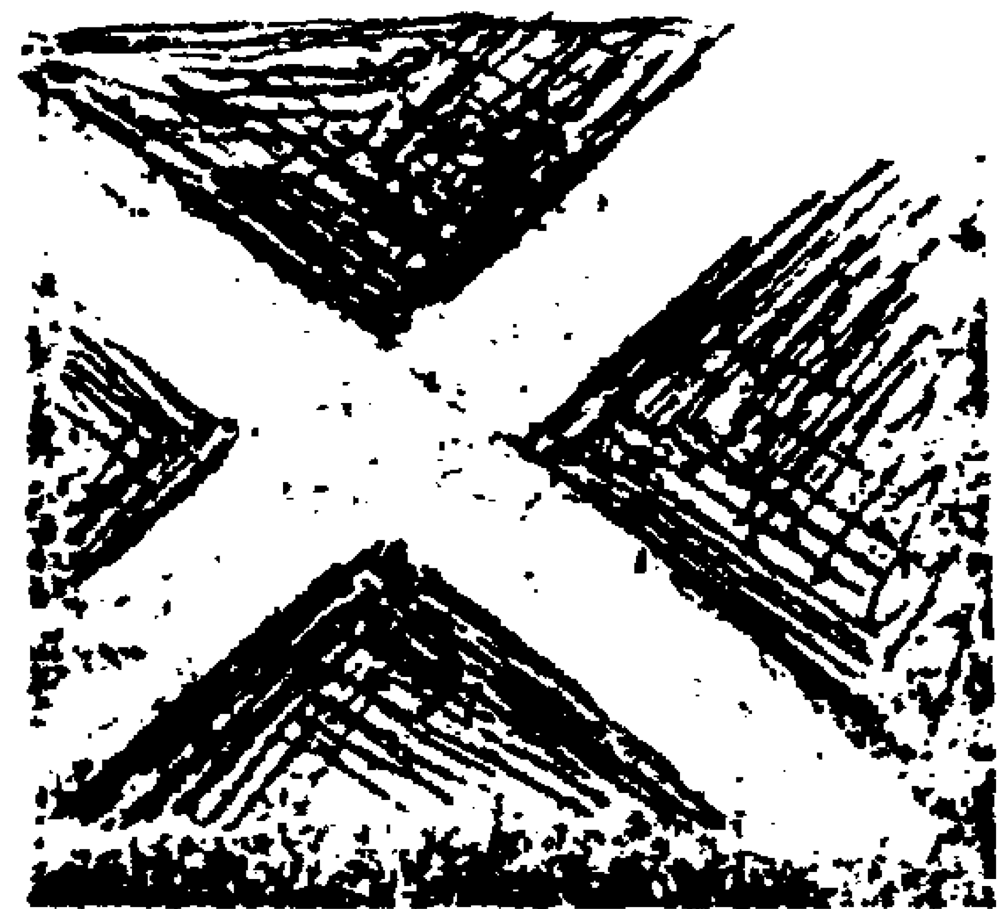
القباب والاقبية ذات الاضلاع





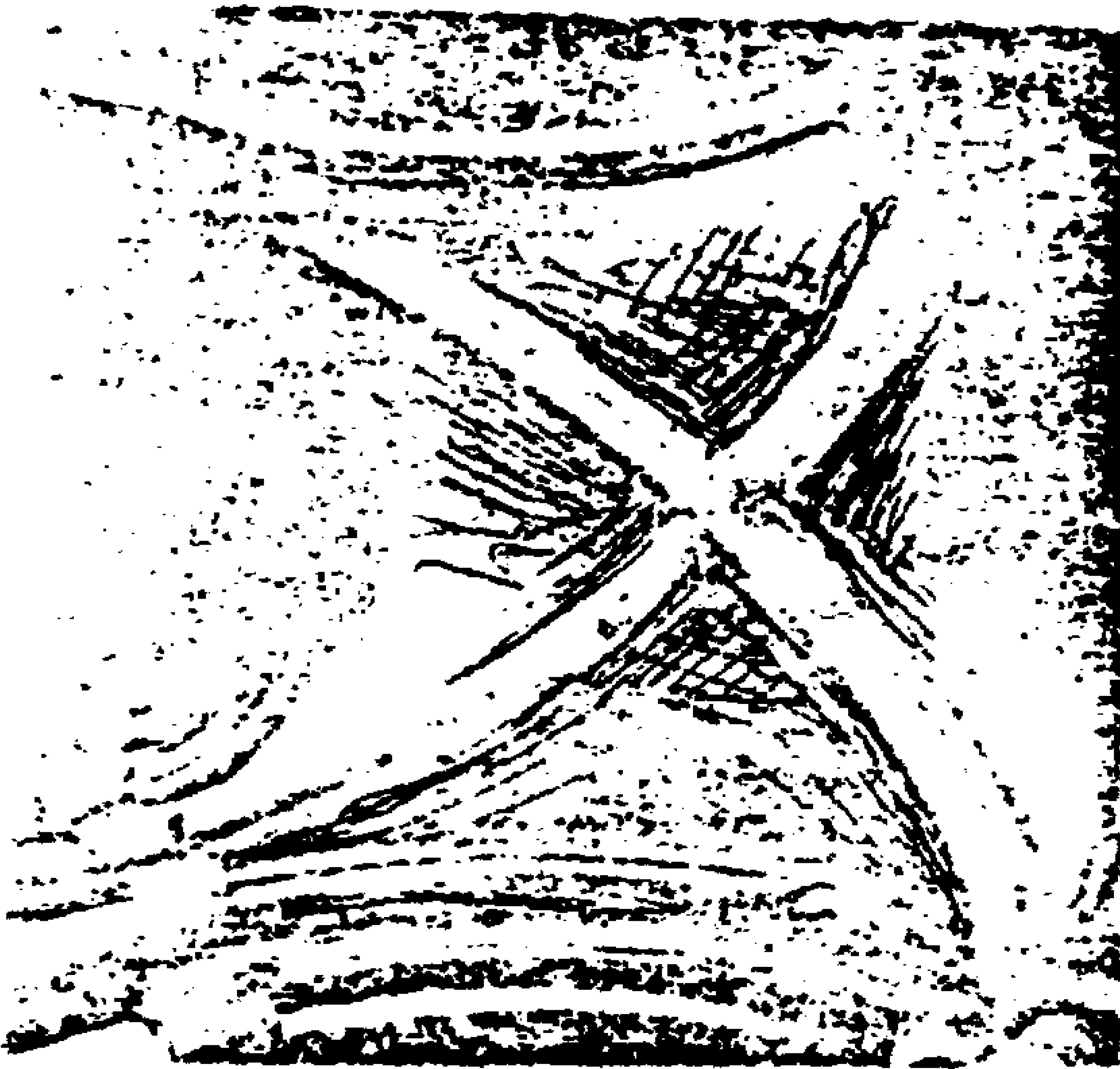
(شكل ٥٣)

قباب جامع باب المردوم بطليطله



(شكل ٥٤)

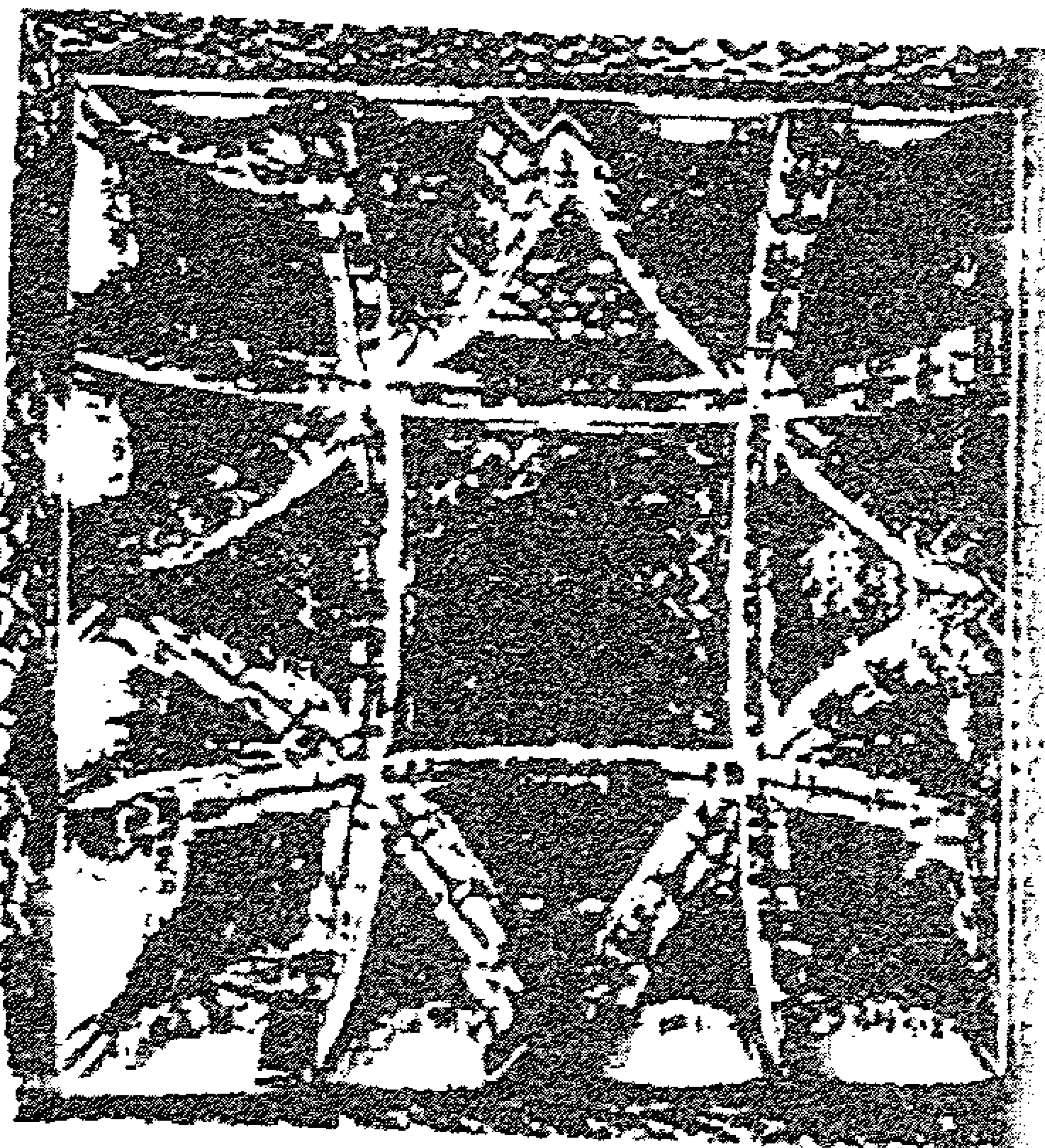
قبة فى كنيسة دورها م بانجلترا

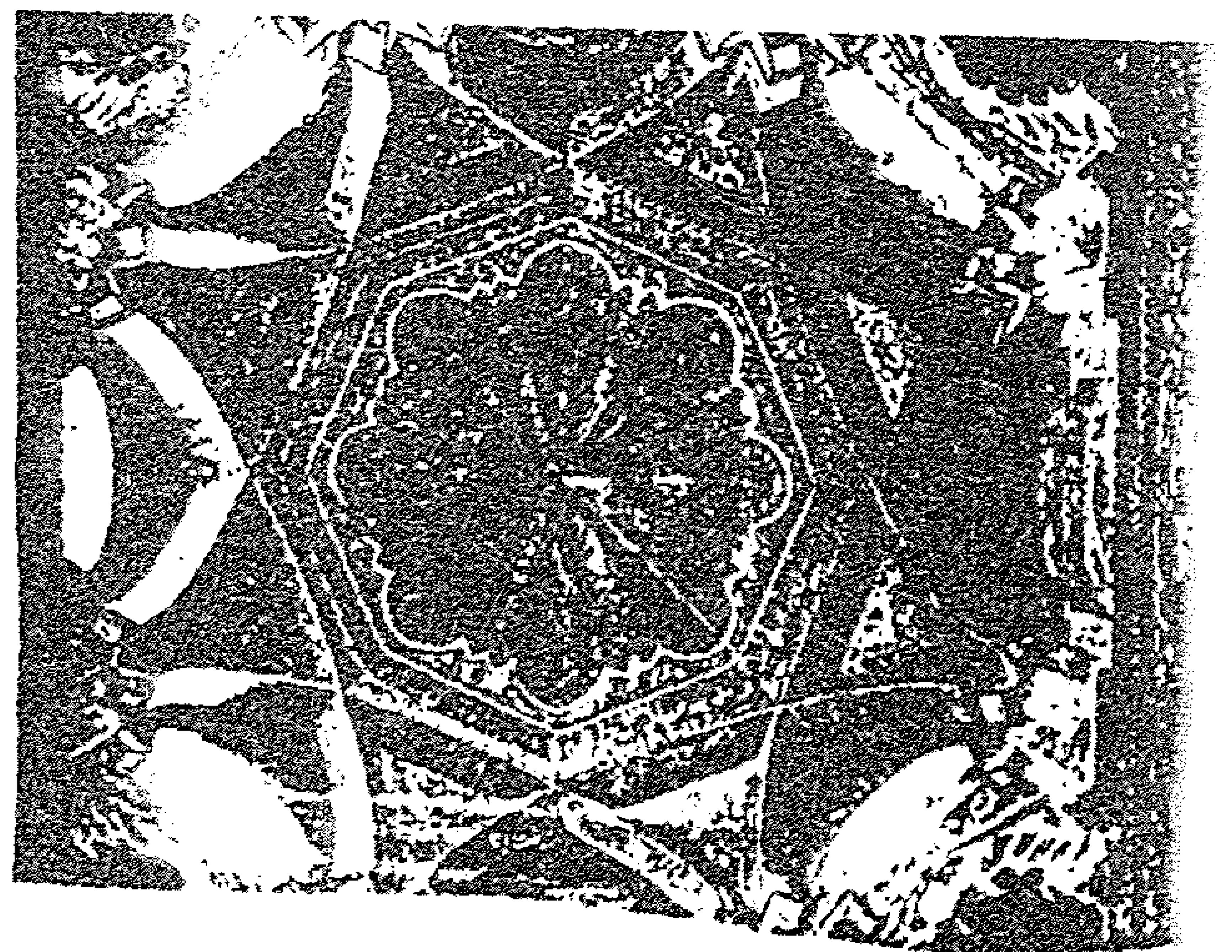


(شكل ٥٢)

قبـــة بارمينيـــــا

القباب والاقبية ذات الاضلاع





(شكل ٥٣)

كما ان الانتقال من المربع الى المثمن او الدائرة فى كثير من كنائس صقلية كانت عن طريق الحنايا الركنية Squinches ذات الشكل المدبب هى شديدة الشبه بالتى استعملت فى المبانى الاسلامية (١) ومن أمثلة تلك الكنائس كنيسة S. Giovanni من القرن الثانى عشر الميلادى .

---

(١) هناك العديد من الامثلة الاسلامية لهذا العنصر فى مقابر القاهرة ومن أقدم هذه الحنايا الركنية تلك التى بباب العامه بالجوسق الخاقانى .

٣ ـ الابـــراج والمآذن Towers and Minarets

جميع المآذن الاولى في الاسلام كانت ابراجا مربعة ، وربما كان منشأها تلك الابراج التي كانت موجودة ببلاد الشام ومنها ابراج (صوامع) المعبد الروماني الوثني والمسمـــى Temenos والذى قام على انقاضه الجامع الاموى الكبير بدمشق .

أما أقدم المآذن البرجية التي لازالت قائمة الى الآن فهي مئذنه جامع القيـــروان عام (٦٧٠م) بتونس (شكل ٥٥) ـ هذا الشكل البرجي انتقل من بلاد الشـــام الـــى المغرب الاسلامي عن طريق الامويين ،وقد انتشر في جميع مآذن شمال افريقيا والاندلس ، ومن اجلها تلك الابراج التي بناها الموحدون في القرن الثاني عشر الميلادى ومنهـــا الجيرالدا باشبيلية (شكل ٥٦) ومئذنة الحسن بالرباط ومئذنة الكتبيـة بمراكـــش ومئذنـــة المنصور بتلمسان (شكل ٥٧) .

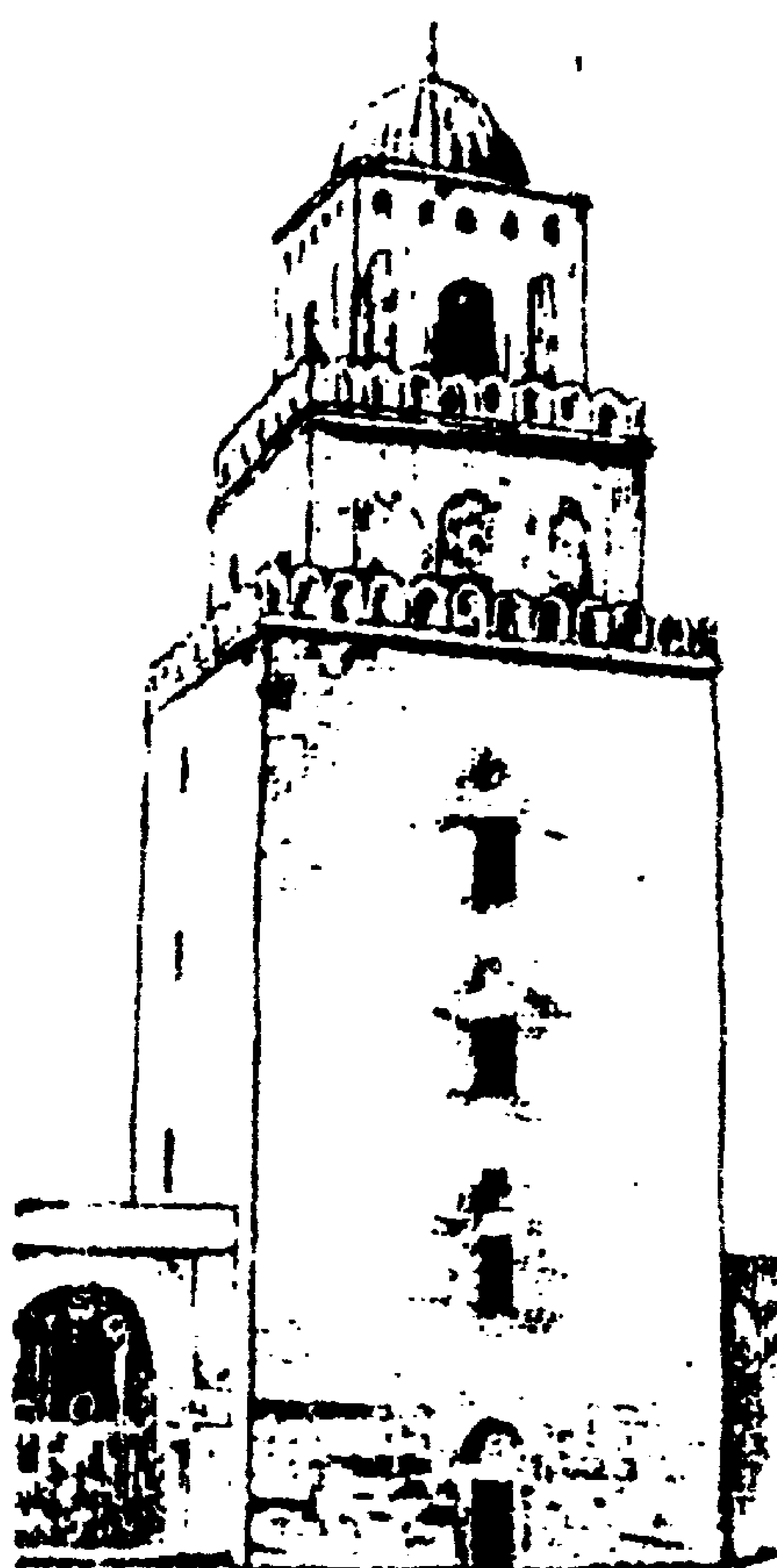
هذا الشكل البرجي ذو القطاع المربع لتلك المآذن يعتبر أنسب التصاميم لمآذن الاقاليم ذات الاستضاءه الضعيفه فتظهر هذه المآذن بوضوح تام . أما الاقاليم ذات الاستضاءة القويـة كمصـر والهنـد وايـران فان مآذنـها مستديرة أو متعددة الاضلاع .

اما في الغـرب فان مآذن الموحدين شبيهه كل الشبه في زخارفها ونسبها وما فيها من عقود ونوافذ ، بابراج كنائس اسبانيا وايطاليا وصقلية وغيرها . ومن أمثلة ذلـــك : بـــرج كنيسة S. Miguel بمدينة Saragosse باسبانيا . وبرج كاتدرائيـــة Ravello بايطاليا وبرجي كنيسة Cefalu [1] بصقلية (شكل ٥١) . كما نجـــد في ايطاليا ايضا برج كنيسة S. Satiro بميلانو وتشبه لحد كبير مئذنة الجامع الامـوى بحلب من اوائل القرن الثامن الميلادى (شكل ٥٩) ، وبرج قصـــر Palazza del-Comune بفيرونا وتشبه مئذنة جامع سنجر الجادلي بالقاهرة عام (١٣٣٨م) (شكل ٥٨) . وجميع هذه الابراج المسيحية السابقة الذكر من القرن الثالث عشـــر والرابع عشر الميلادى . وفي فرنسا نرى برج كاتدرائية S. Trophine من اواخـــر القرن الثاني عشر بمدينة Arles بمقاطعة Province وتشبه لحد ما بحجمهـــا الضخم وطوابقها مئذنة القيروان (شكل ٥٨) .

---

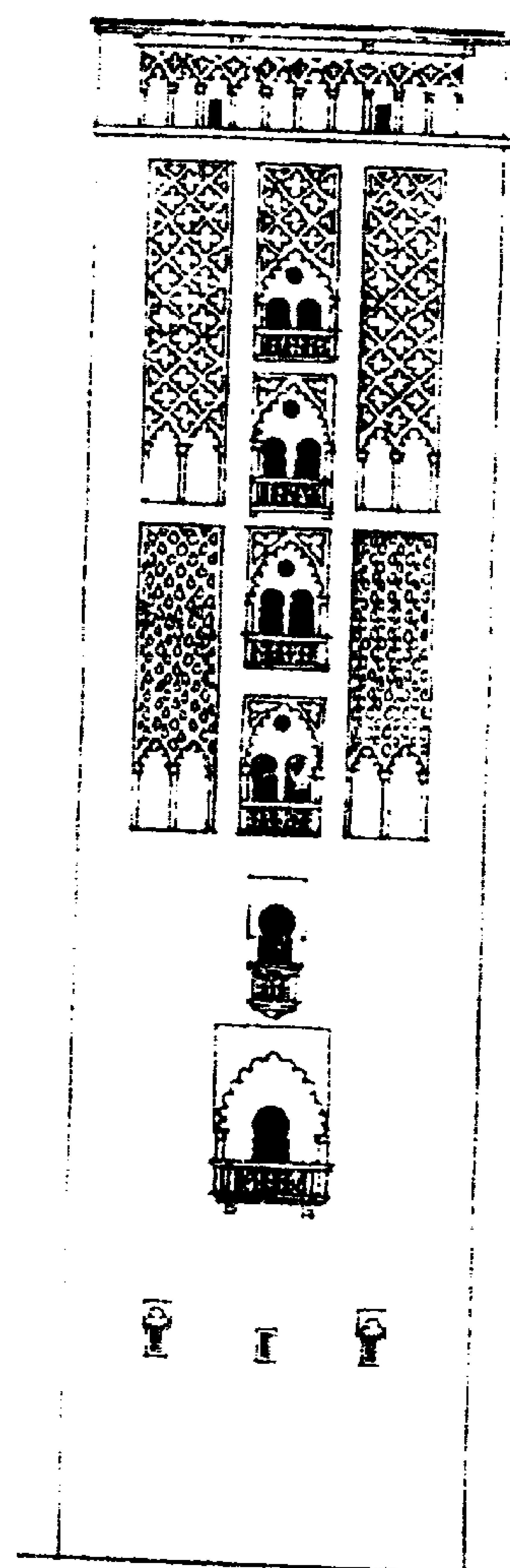
(١) انظر كتاب T.W. West: A History of architecture in Italy, London 1960

الابراج والمآذن



(شكل ٥٥)

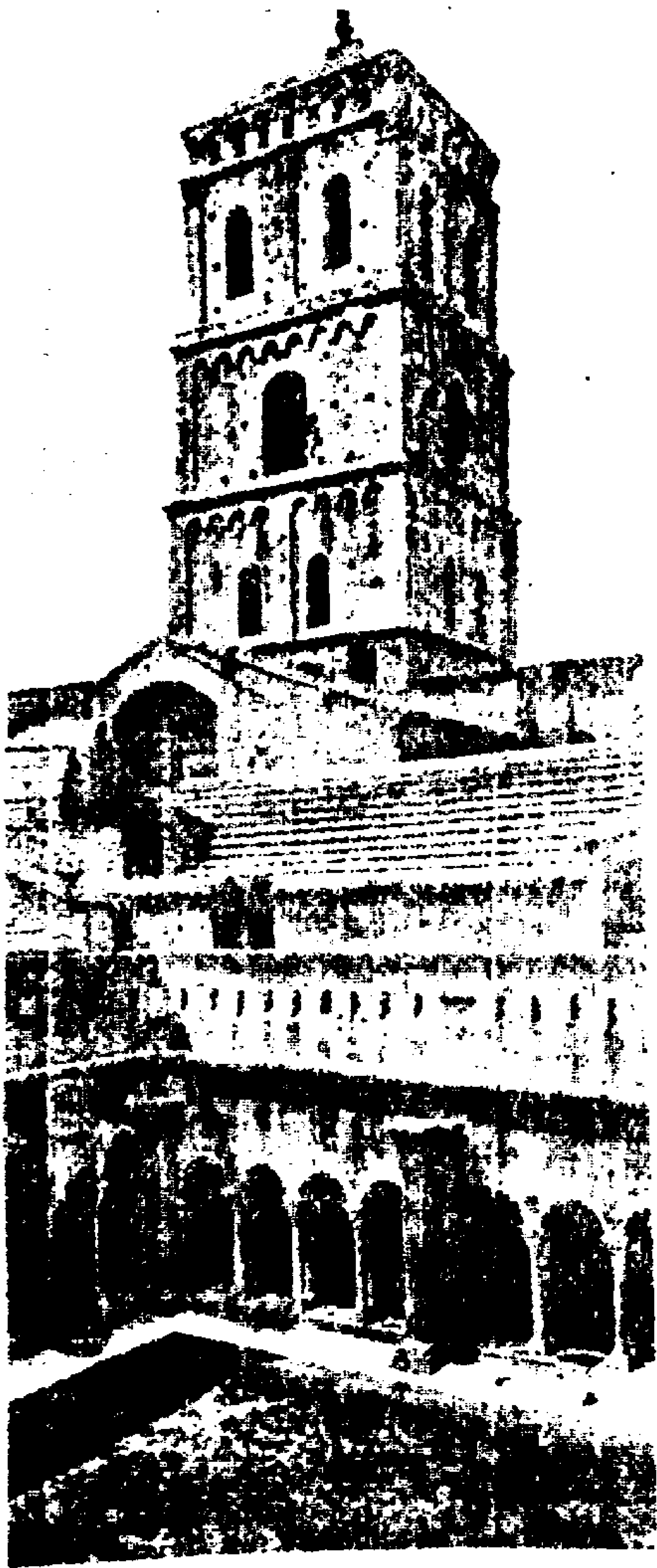
مئذنة جامع القيروان بتونس



(شكل ٥٦)

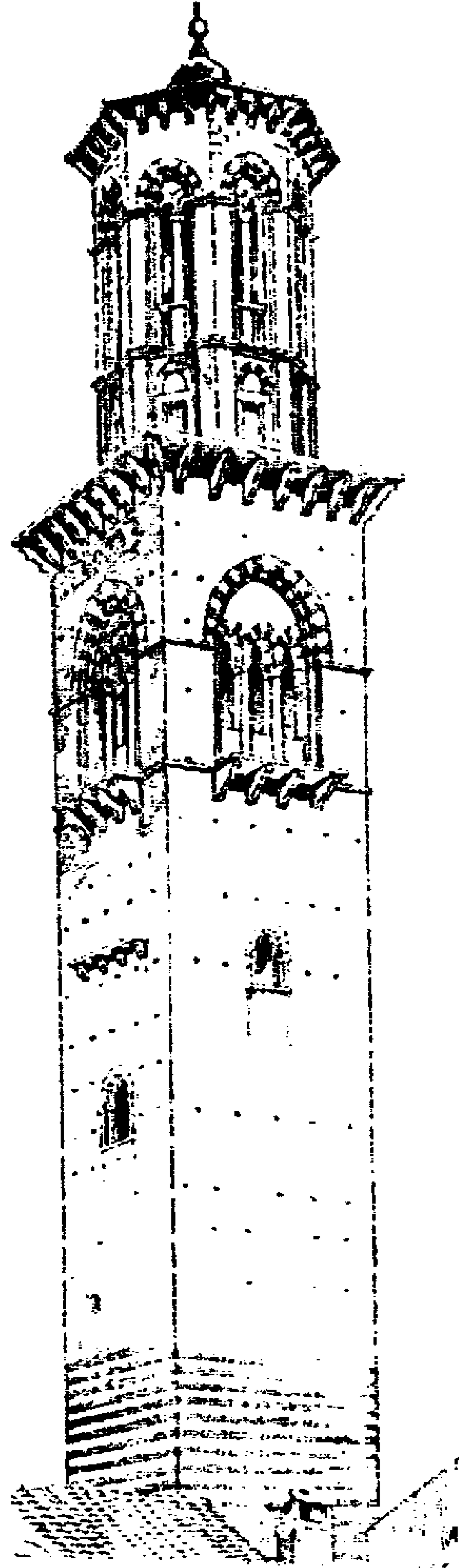
مئذنة الجيرالدا باسبانيا

الابراج والمآذن

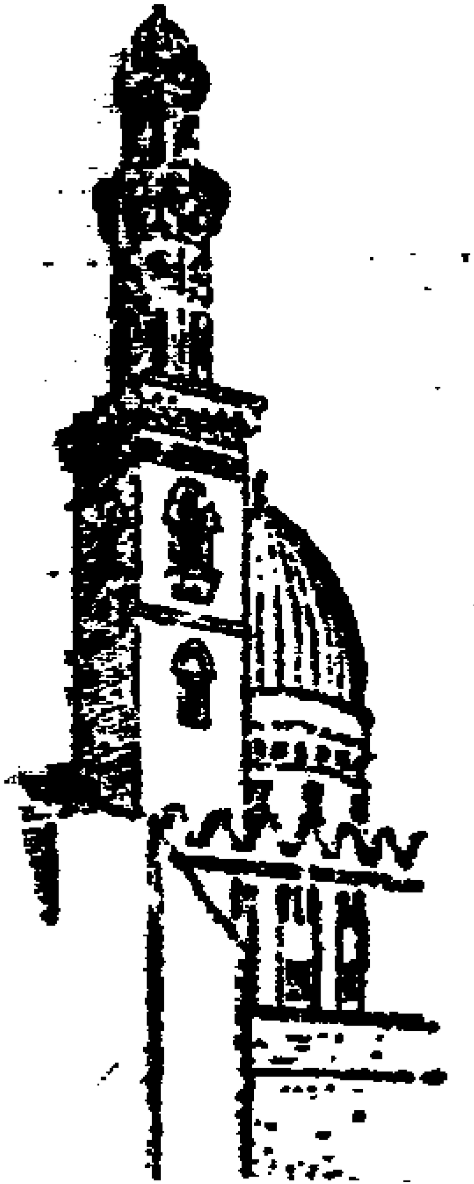


برج كنيسة تروفيـــن

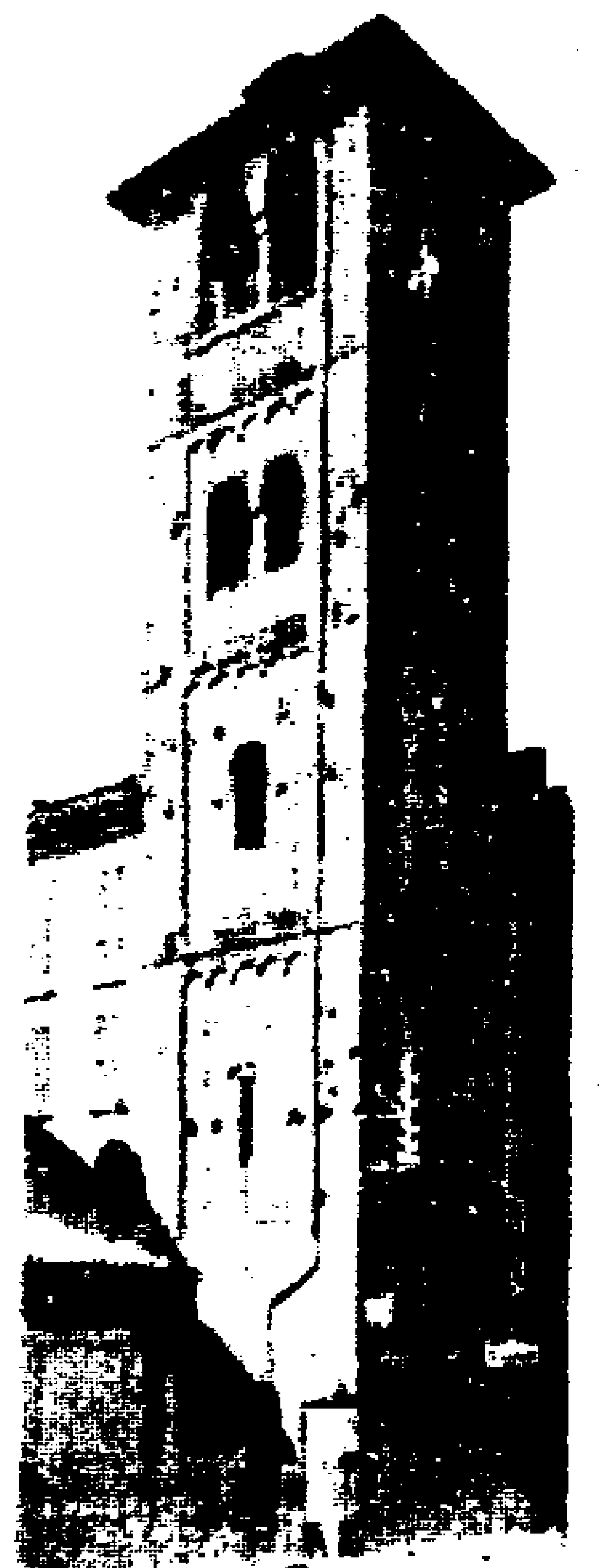
(شكل ٥٨)



برج قصر كومـــن

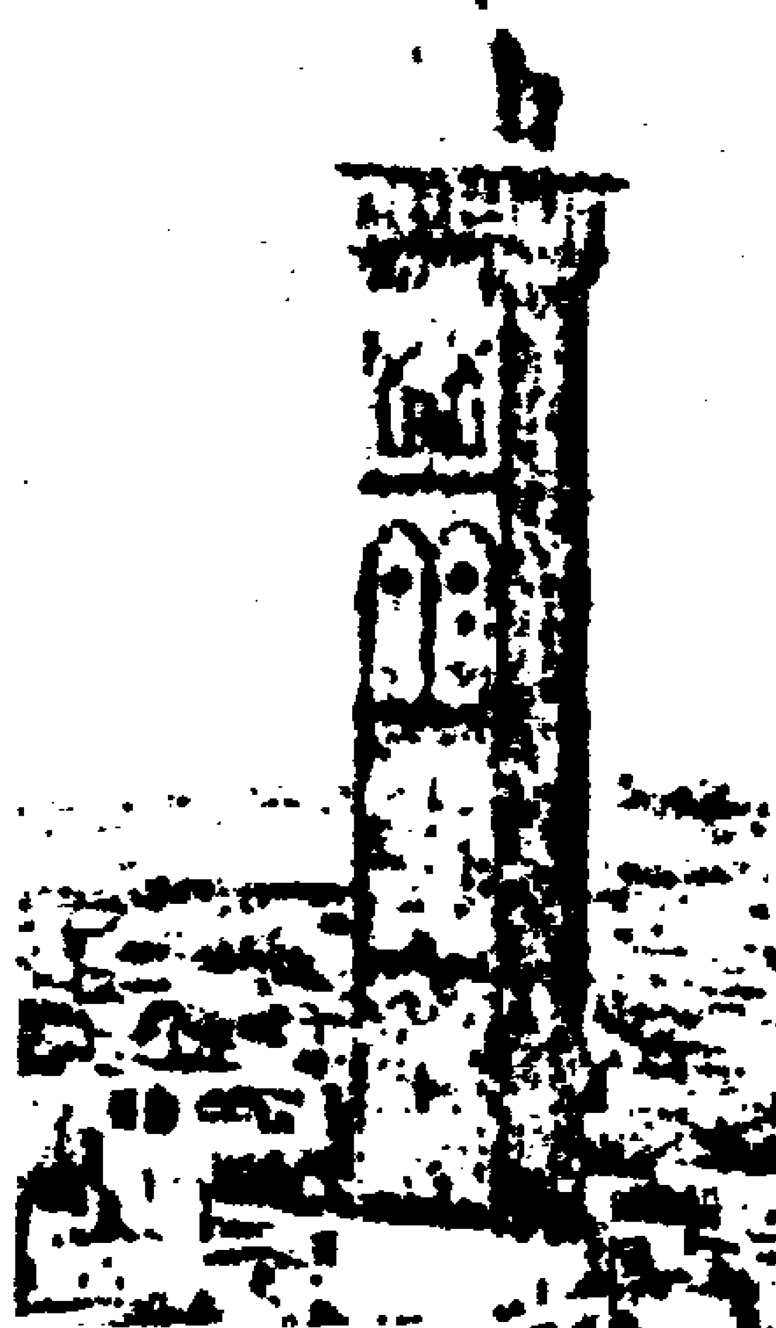


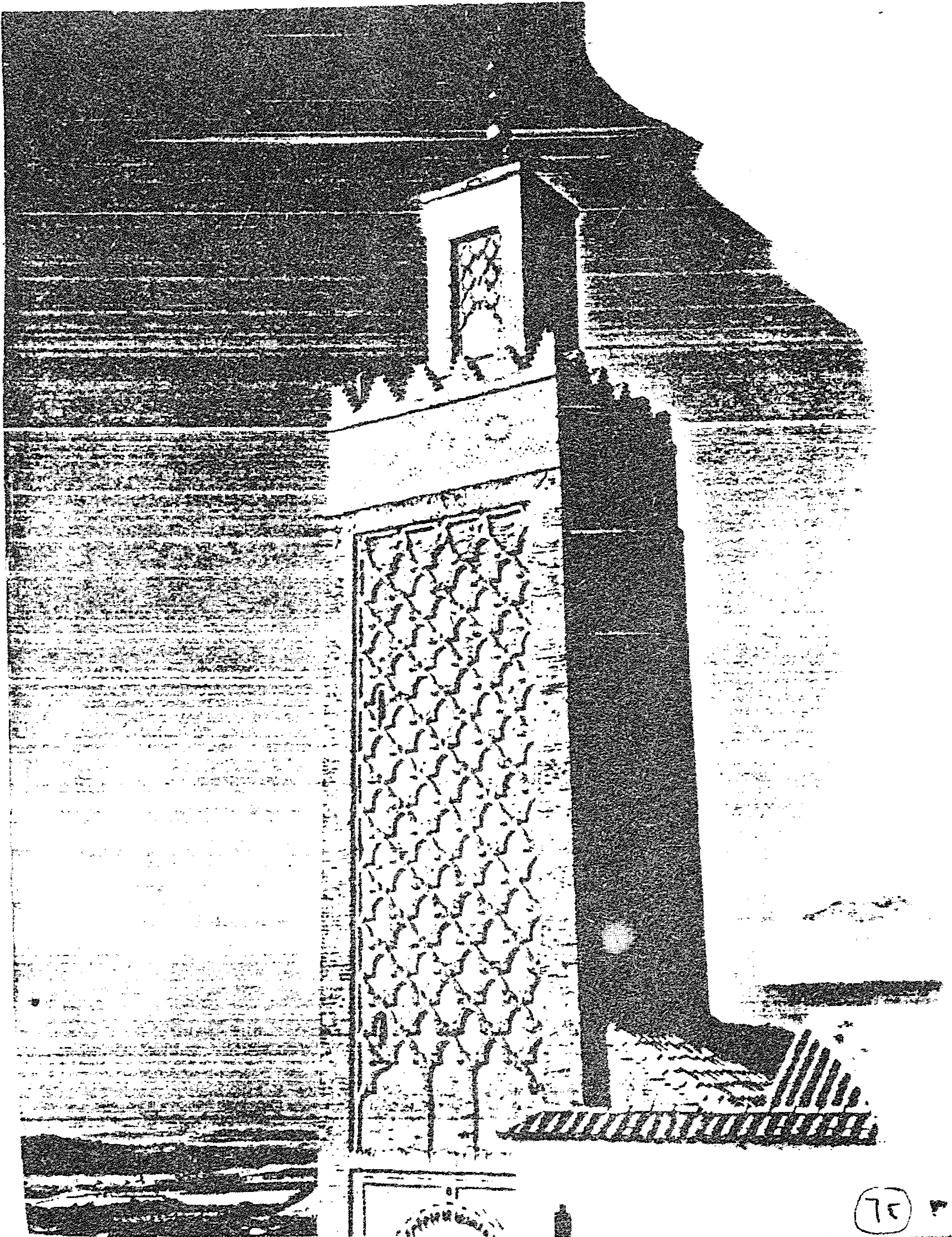
مئذنه سنجر الجاولى



برج كنيسة سانتيرو

(شكل ٥٩)

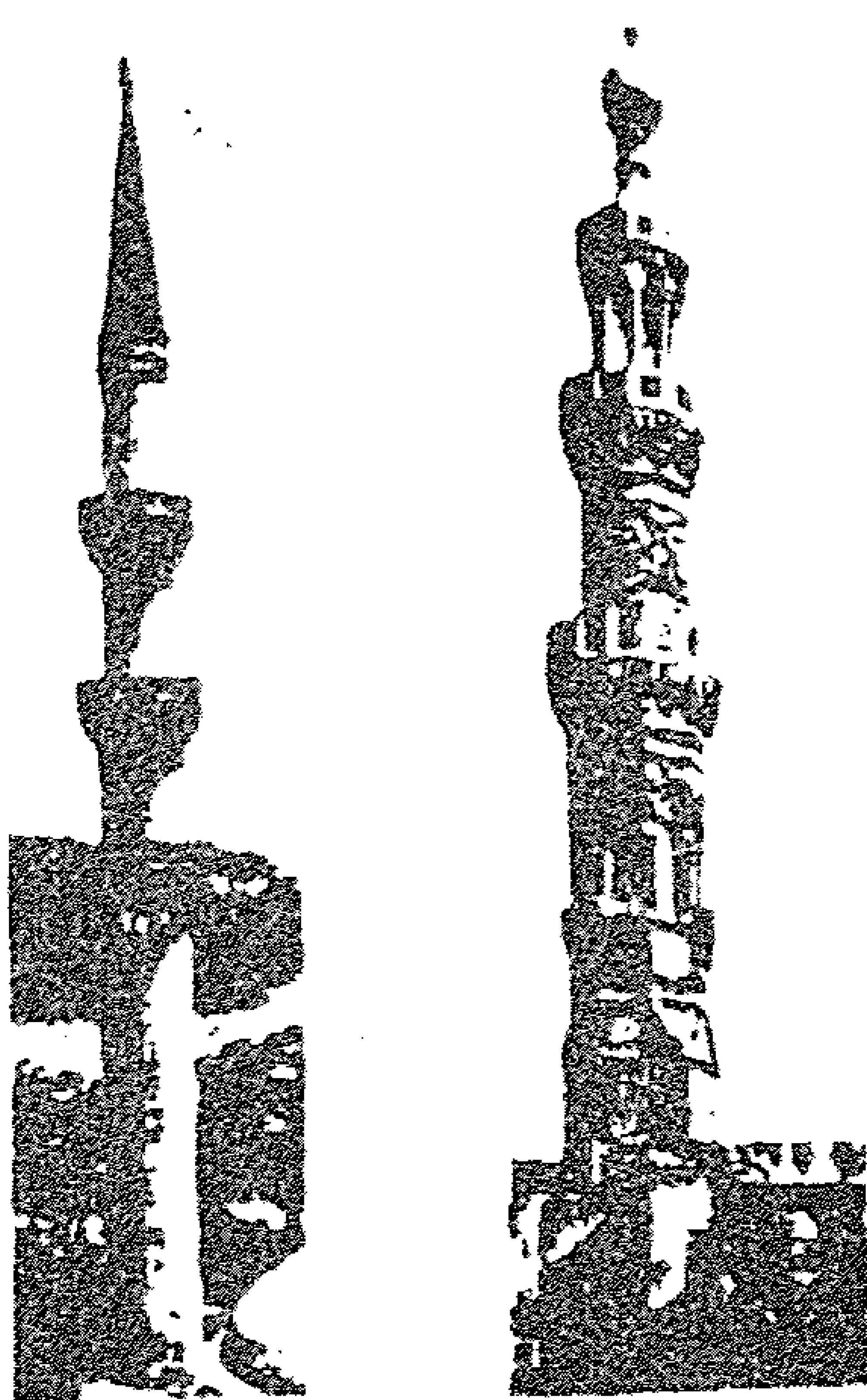




(شكل ٥٧)

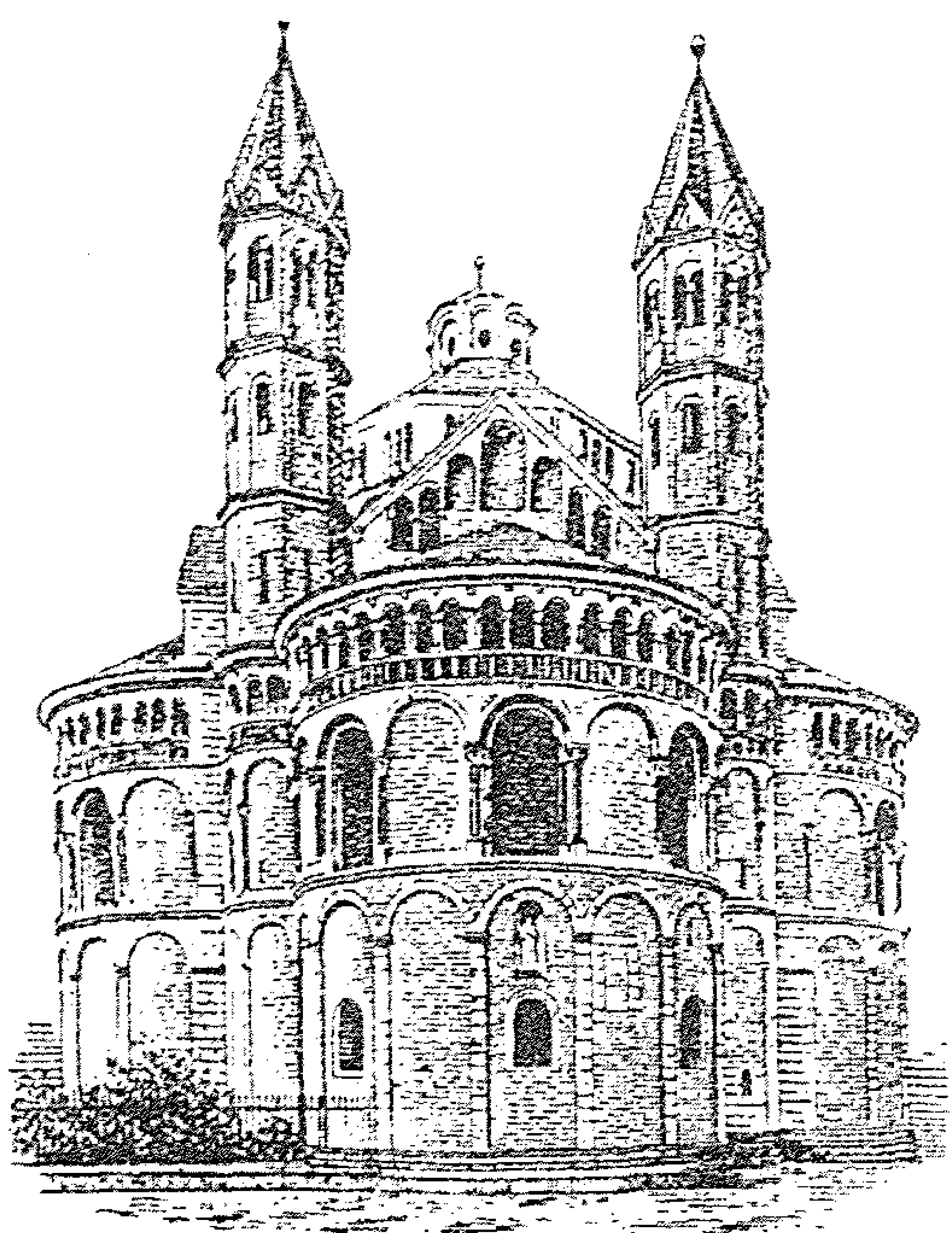
مئذنه المنصور بتلمســـــان

الابراج والمآذن

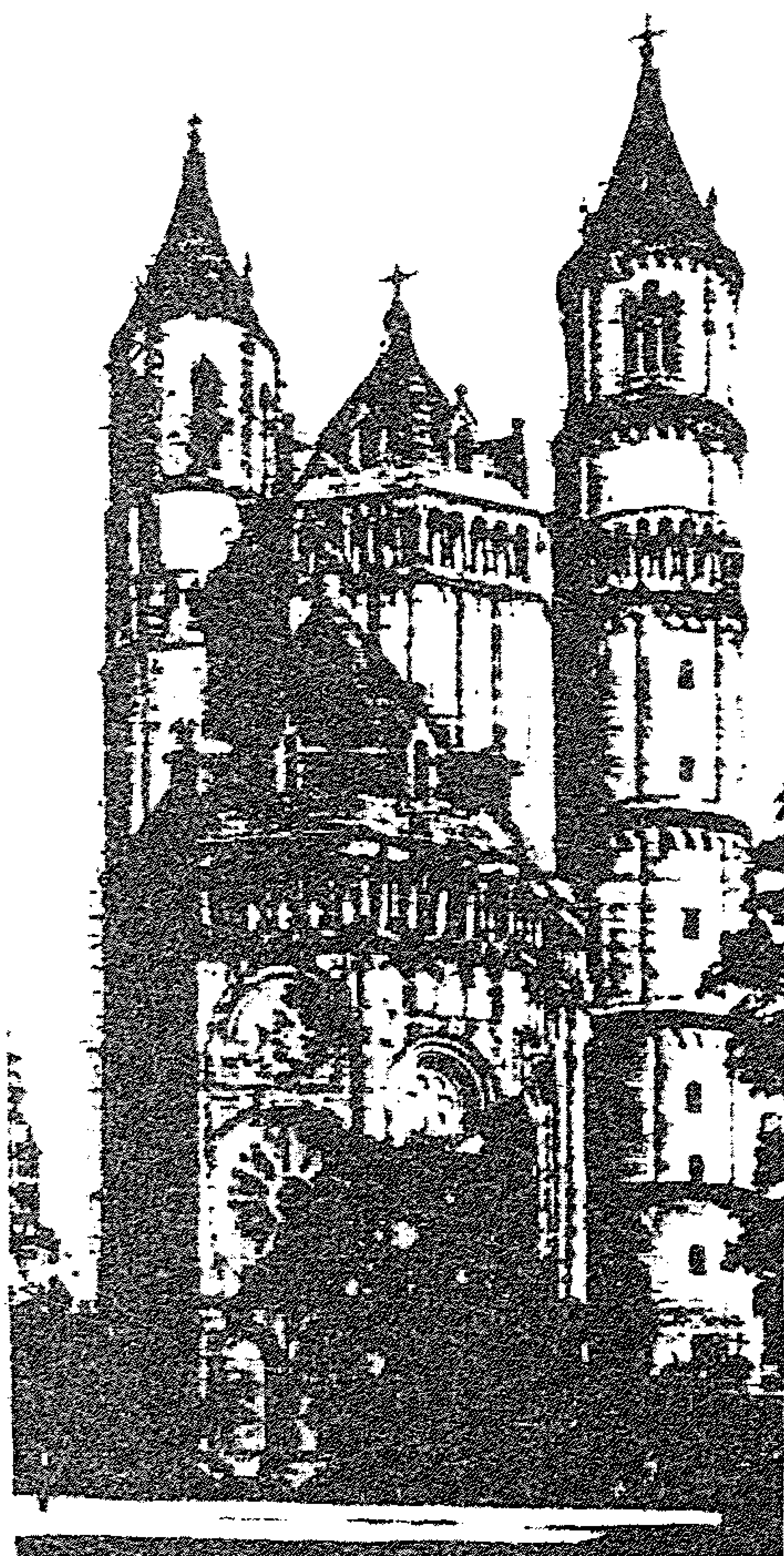


(شكل ٦٠)

مآذن قاهرية مستديرة



(شكل ٦١)　　كنيسة سانت ابوتر بالمانيا



كاتدرائية ورمز بالمانيـــا

وبذلك يمكننا القول بان جميع ابراج الكنائس هذه اقيمت بعد ظهور مآذن شمال افريقيا والاندلس وبالتالى بعد ظهور مآذن بلاد الشام. وبذلك يمكن القول بان هذه الابراج تأثرت بالمآذن الاسلامية تأثيرا كبيرا .

أما ابراج النواقيس الاسطوانية فى كنائس العصور الوسطى باوربا والشبيهه بالمآذن ذات القطاع المستدير او كثيرة الاضلاع وهى العديدة فى العالم الاسلامى (شكل ٦٠) فنجد منها ابراج كاتدرائية بالرمو (شكل ٦٩) من القرن الثانى عشر الميلادى بقبرص . وابراج كاتدرائية Worms والتى فى الجانب الغربى وهى من القرن الثالث عشر الميلادى . وابراج كاتدرائية S. Apotre بكولونيا عام (١٢٣٠م) وكلاهما بالمانيا (شكل ٦١) .

وفى أواخر عصر النهضة باوربا نجد التأثير الاسلامى واضحا فى بعض كنائس انجلترا والتى تتميز ببرج النواقيس فيها يرتفع بجوار القبة الكبيرة التى تغطى صحن الكنيسة . كما فى كنيسة S. Stephen, Walbrook بلندن من القرن السابع عشر الميلادى من عمل المهندس Wren . وهذا ما تتميز به العمارة الاسلامية من وجود المئذنة بجوار القبة . كذلك يتضح من اعمال هذا المهندس ايضا فى كنائس لندن[1] كبرج كنيسة S. Mary-Le-Bow الذى يشبه لحد كبير المآذن البرجية المربعة . ومن هذا نرى ان هذا المهندس قد تأثر بالفن الاسلامى لدرجة كبيرة .

---

(١) انظر كتاب B. Fletcher: A History of Architecture London 1962.

ثانيا : العناصر الدفاعيـــة

١ ـ المداخل الملتوية أو المنكسرة (الباشوره) Bent Entrance

اقدم هذه المداخل وجدت فى الاسوار المصرية القديمة التى تحيط بالحصون وبعض القصور كما فى شونة الزبيب المؤرخه ما بين (٢٢٥٠ ـ ٢٠٠٠ ق٠م) ثم اختفى هـــذا العنصر مدة طويلة الى ان عاد فى الظهور لثانى مرة فى العمارة الاسلامية حيث استعمـــل فى ابواب مدينة بغداد الدائرية (١) من منتصف القرن الثامن الميلادى ٠ ومنذ ذلك التاريخ انتشرت المداخل المنكسره فى العديد من المبانى الاسلامية المدنية والدينية والدفاعيـــة ٠ لذلك يمكن القول بأن هذا العنصر ابتكار اسلامى يتناسب مع الحالة الاجتماعية والتقاليـــد الدينية ٠ ولا يمكن أن يكون مقتبسا من مصر الفرعونية للبعد الزمنى والمكانى ٠

انتقل هذا العنصر من الشرق الى اسبانيا مع الفاتحين المسلمين فظهر فى اسوار العديد من المدن والقصور والقصبات الاسلامية بشمال افريقيا والاندلس نذكر منها ما وجد باسوار مدينة الزهراء عام (٩٣٦م) وقصبه ا... (شكل ٦٢) ٠ من اوائل القرن التاسع الميلادى وفى قصبة مالقه قبل اعادة تشييدها فى القرن الحادى عشر الميلادى (شكل ١٩) ٠

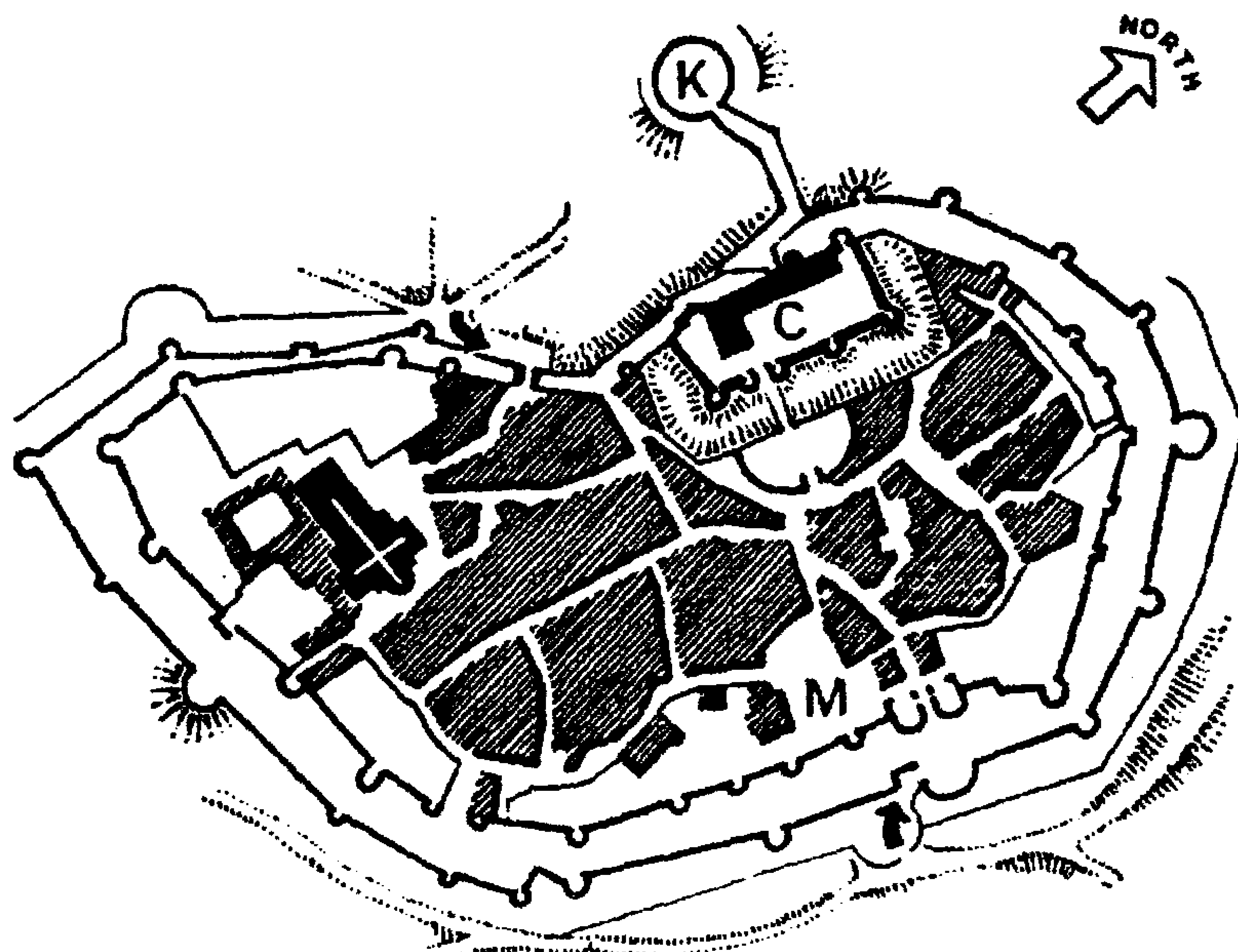
أما فى المشرق العربى فقد وجدناه فى الباب الجديد (شكل ٦٣) ٠ أحد أبـــواب سور القاهرة الفاطمية بناه صلاح الدين عندما كان وزيرا للخليفة الفاطمى العاضد بين عامى (١١٦٩ ـ ١١٧٤م) ٠ وعندما جاءت الدولة الايوبية وجدنا المداخل المنكسرة فى قلعـــة الجبل بالقاهرة عام (١١٧٦م) ٠ ثم انتشر هذا العنصر بكثرة فى مصر فى المساجد المملوكية والقصور العثمانية وغيرها ٠

ومن اقدم المداخل المنكسره فى أوربا وهى التى ربما تكون قد انتقلت اليها عـــن طريق اسبانيا فنجده فى اسوار قلعة مدينة Carcassonne (٢) (شكل ٦٤) مـــن القرن الثالث عشر الميلادى ٠ واسوار مدينة Avignon من القرن الرابع عشر الميلادى وكلاهما بفرنسا ٠ ومن المؤكد ان استعمال هذا العنصر كان منتشرا فى فرنسا اكثـــــر من أى بلد آخر ٠

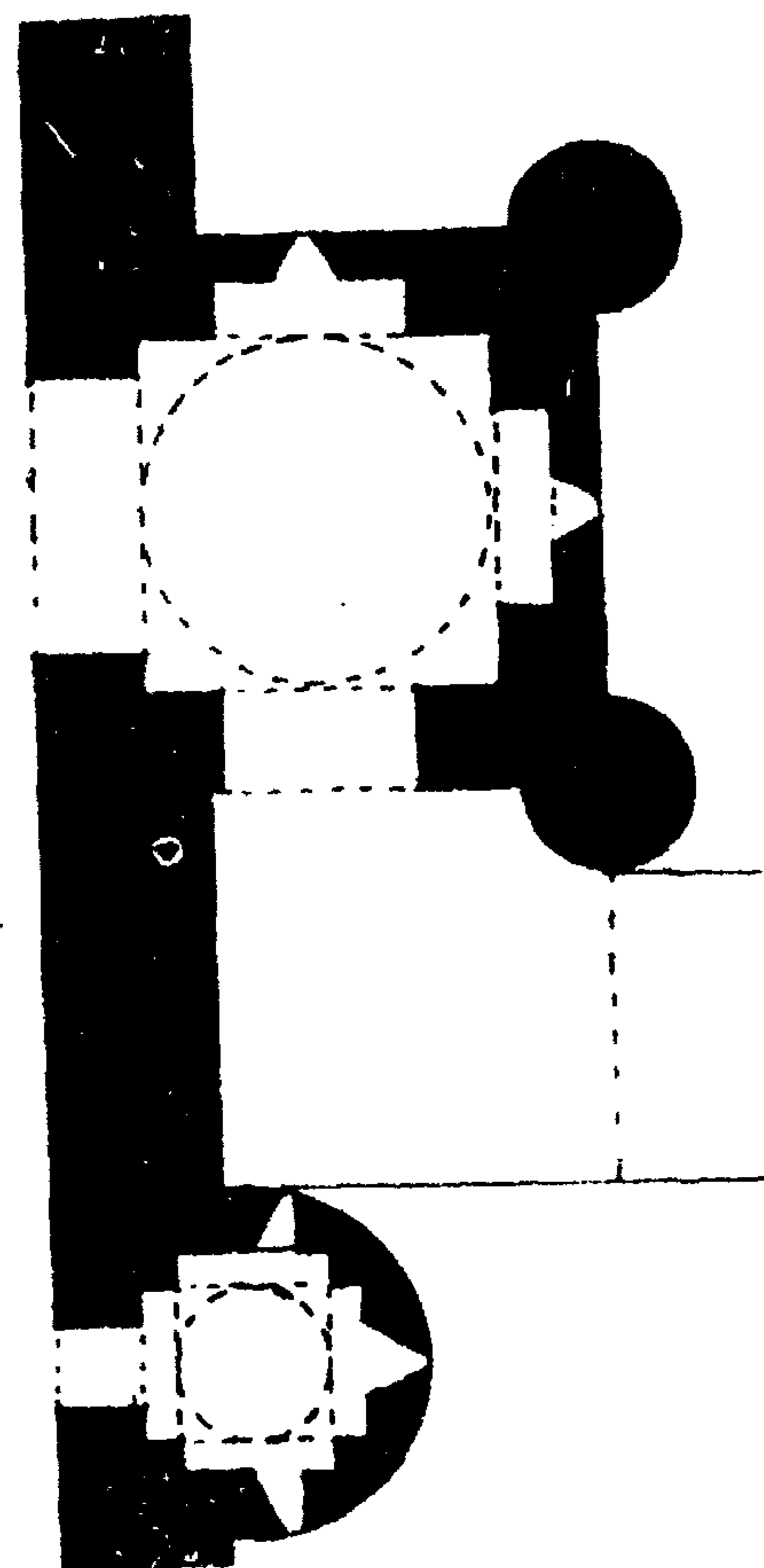
---

(١) انظر كتاب K. Creswell: Early Muslim Arch. Oxford 1932.

(٢) وفى انجلترا وبعض بلدان اوربا نرى مداخل حصونهم وقصورهم تقع على محور واحـــد وينفصل كل باب عن الآخر فضاء وهذه الطريقة كانت متبعة عند الرومان والبيزنطيين ٠

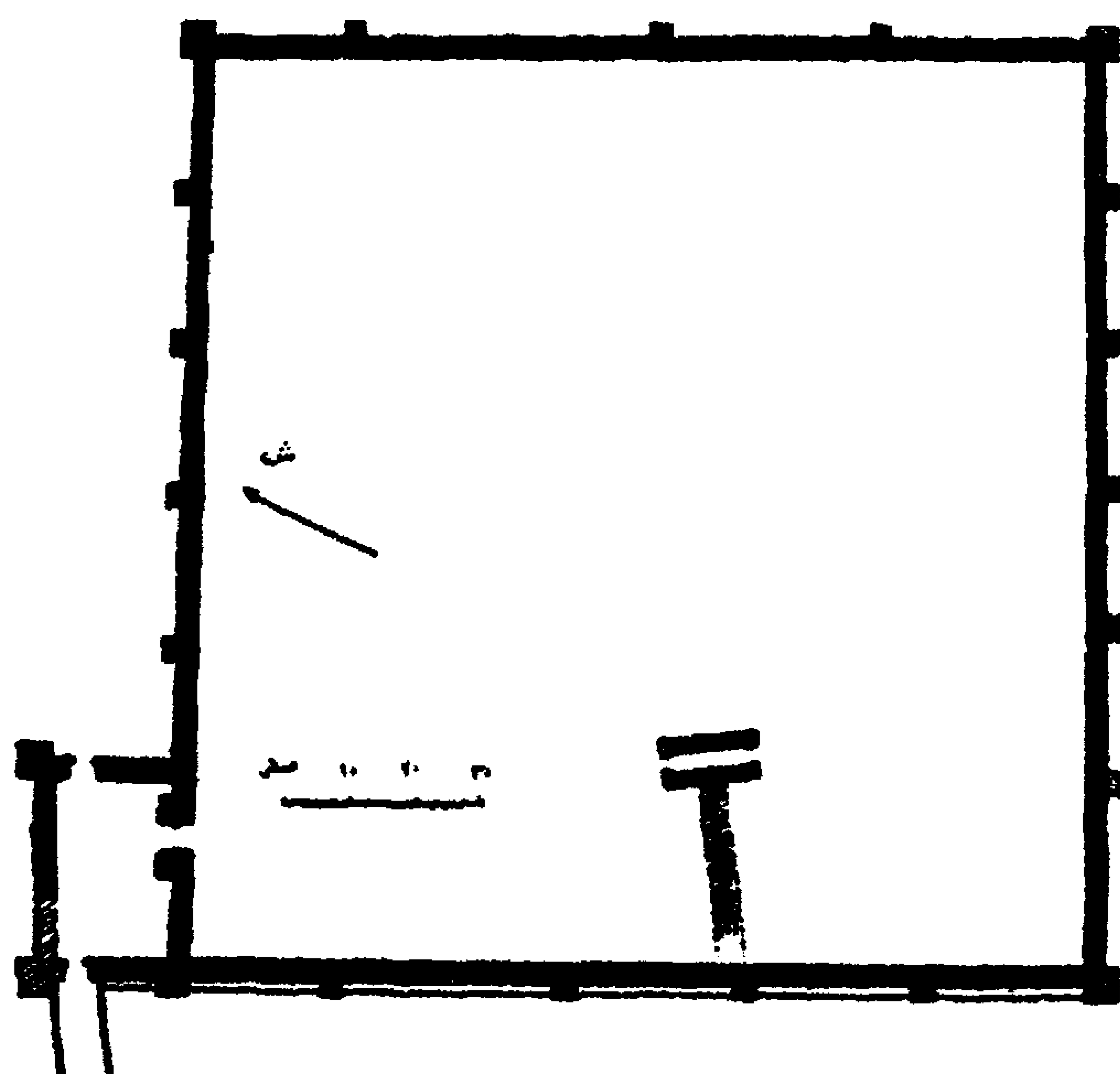


(شكل ٦٤) قلعة كركازون



(شكل ٦٣)

سور القاهرة لصلاح الدين



(شكل ٦٢)

قلعة ماردة

٢ ـ الشرافات Crestings

وهى عنصر زخرفى ودفاعى حيث كانت وظيفتها فى بداية نشأتها ، تعلو الجدران واسوار المدن والحصون والقلاع وكانت جدرانها ذات سك كبير بحيث تسمح للجنود أن تدافع من فوق سطوحها •

هناك عدة اشكال من هذه الشرافات نخص بالذكر منها الشكل المسنن والذى انتشر فى المشرق والمغرب الاسلامى ، وكان شكله كاسنان المنشار • ظهر هذا العنصر لاول مرة فى العماره الميزوبوتاميه فى قصر صارجون بمدينة خورسباد بالعراق عام (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق•م) (شكل ٦٥) ثم ظهرت هذه الشرافات المسننه فى طاق كسرى ببلاد الفرس[1] من اواخر القرن السادس الميلادى •

واقدم امثلتها الاسلامية تلك التى تعلو جدران قصر الحير الشرقى الذى بناه الخليفة هشام بن عبد الملك عام (٧٢٧م) كما وجدت فى الجوسق الخاقانى عام (٨٣٦م) (شكل ٦٦) وهو قصر الخليفة العباسى المعتصم بسامرا بالعراق وقد انتشر هذا العنصر فى العديد من المبانى الاسلامية وانتقل من الشرق الى شمال افريقيا والاندلس حيث ظهرت هذه الشرافات المسننه فى المسجد الجامع لقرطبه عام (٧٥٦م) (شكل ٦٧) وتتميز هذه الشرافات الاندلسية بانها ذات زوايا حادة وليست قائمة كالتى وجدت فى المشرق العربى ، وتعتبر هذه الشرافات من مزايا الفن المدجنى •

وفى اوربا نجد هذا العنصر فى قصر Oxburch [2] (شكل ٦٨) بمدينة Norfolk بانجلترا من القرن الخامس عشر الميلادى • كذلك نجده فى احد أديرة فرنسا على حدود اسبانيا بجهة البيرينيه يعلو برج كنيسة S. Martin بمدينة Canigou من اوائل القرن الحادى عشر الميلادى [3] حيث يعتبر اقدم مثال لهذا العنصر فى اوربا •

ظهر نوع آخر من هذه الشرافات وهى المخرمه Perforated ذات شكل زخرفى وجدت لاول مرة فى مصر فى جامع احمد بن طولون بالقاهرة من القرن التاسع الميلادى وهى تشبه لحد كبير شرافات كاتدرائية بالرمو بصقلية عام (١١٧٠م) (شكل ٦٩)

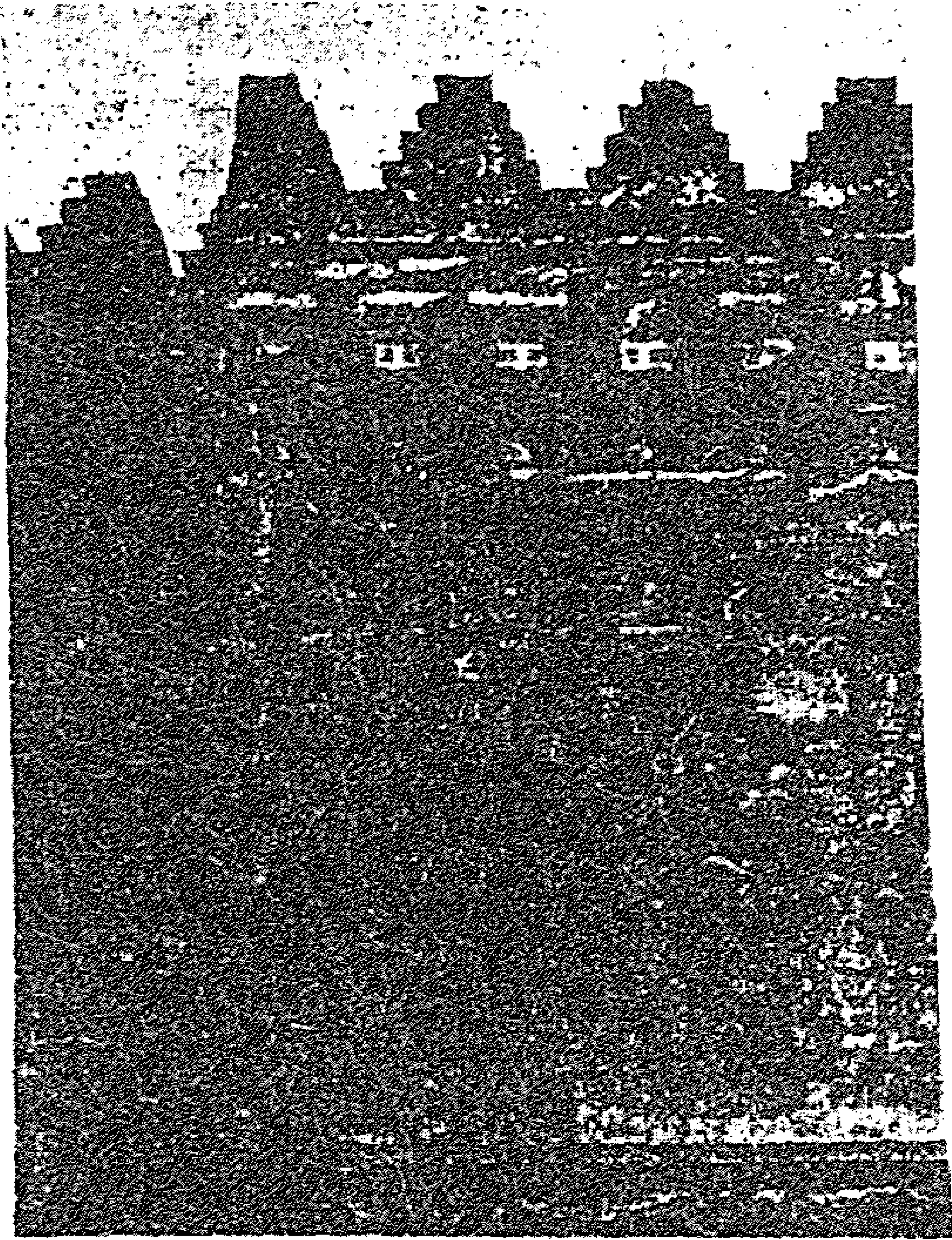
---

(١) انظر كتاب العماره العربية للدكتور فريد شافعى

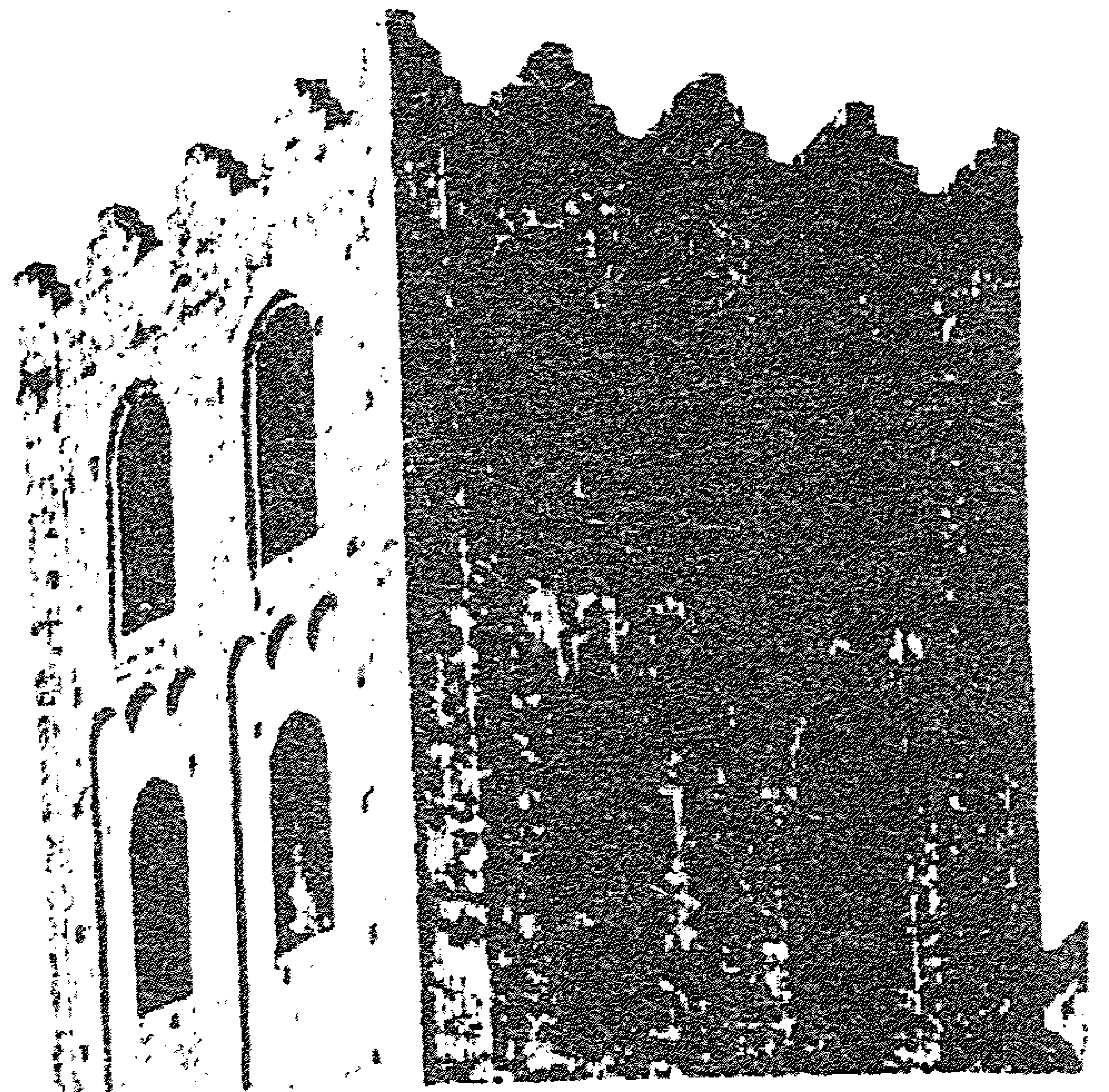
(٢) انظر ص ٤٥ من كتاب B. Fletcher

(٣) انظر لوحة رقم ٣١ من كتاب Archives de Monuments Historique

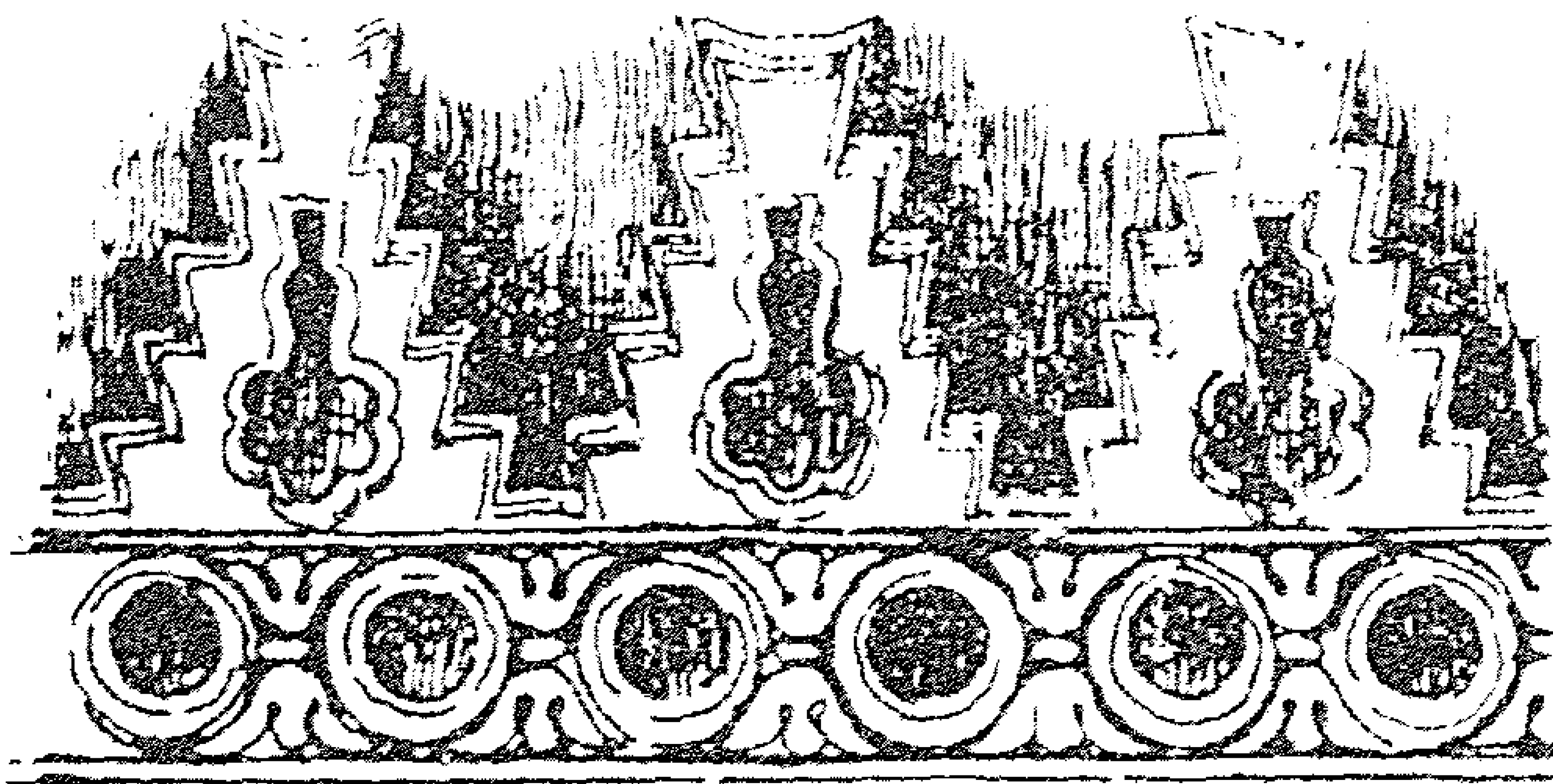
الشرافات



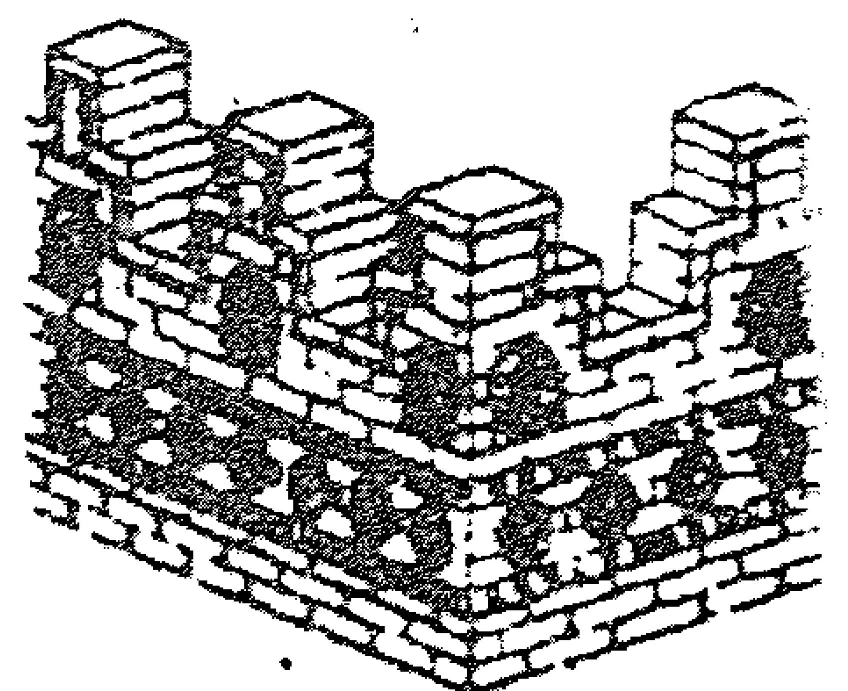
(شكل ٦٧)
جامع قرطبـــــة



(شكل ٦٨)
قصـــر اوكسبوش

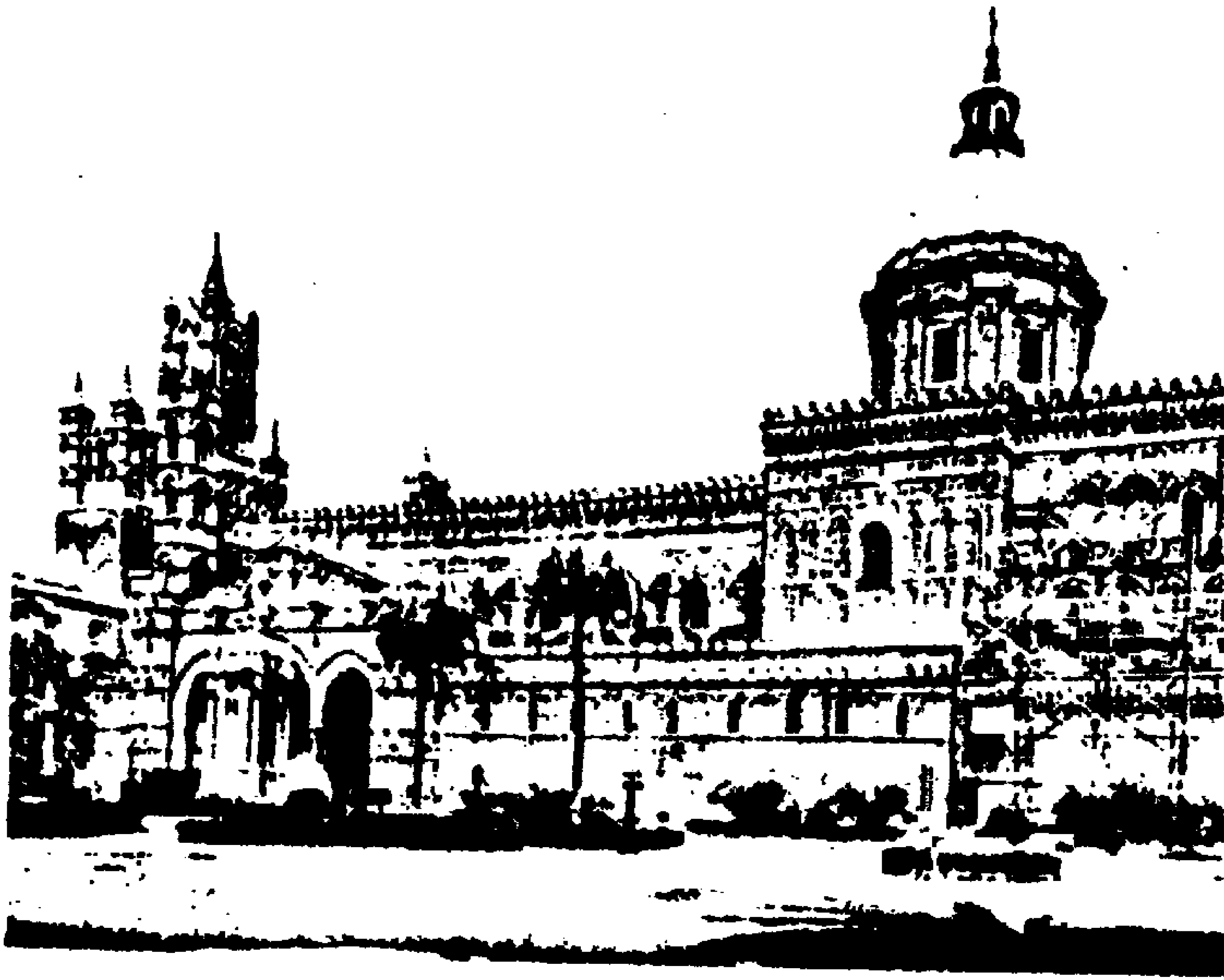


(شكل ٦٦)
الجوسق الخاقانـــــى



(شكل ٦٥)
قصر صارجـون

الشرافـات



كاتدرائية بالرمـو

(شكل ٦٩)



شرافات جامع احمد بن طولون

وشرافات قصر Ca D'oro عام (١٤٣٠م) وقصر الحاكم Dog's Palace[١] من اوائل القرن الرابع عشر واوائل القرن الخامس عشر الميلادى وهما بالبندقية بايطاليا . وهذان القصران يعتبران من اجمل الامثلة القوطيه والتى تأثرت بالفن الاسلامى ولذلك يمكن اعتبار شرافات احمد بن طولون المخرمه نموذجا للشرافات القوطية .

٣ ـ السقاطات Machicolation

هى عبارة عن بلاطات حجرية افقيه محمولة على كوابيل تبرز من جدران الاسوار وبالبلاطه فتحات تلقى منها المواد الملتهبة والاحجار والزيوت المغلية الى غير ذلك على رؤوس الاعداء خارج الاسوار . وتحاط هذه البلاطات بدروه احيانا يكون بها فتحات ضيقه من الخارج متسعة من الداخل وتسمى هذه الفتحات بالمزاغل Arrow Slits ترمى منها ايضا السهام والرماح على العدو .

اقدم امثلة هذا العنصر الدفاعى وجد فى بادية الشام[٢] ومؤرخه من القرن الخامس والسادس الميلادى (شكل ٧٠) . اما فى الاسلام فاقدم مثال لها وجد فى قصر الحيـر الشرقى[٣] عام (٧٢٩م) (شكل ٧١) . ثم ظهر هذا العنصر فى قصر الاخيضر عام (٧٧٨م) . ثم انتشر فى معظم الحصون والقلاع الاسلامية كقلعة حلب واسوار القاهرة الفاطمية وبعض ابوابها كالذى فوق باب النصر (١٠٨٥م) .

هذه السقاطات كانت تعلو المداخل فى بادئ الامر ثم اصبحت تتوج الابراج والاسوار وكثيرا مانجدها بكامل اطوالها .

اما فى الغرب فان اقدم امثلة هذا العنصر وجد فى فرنسا بقصر Chatillon عام (١١٨٦م) وقصر Gaillard عام (١١٩٦م) واسوار مدينة Avignon عام (١٣٤٩ـ ١٣٦٨م) (شكل ٧٢) . وقد انتشرت هذه السقاطات فى معظم القصور والحصون الاوربية . ومن المحتمل ان الصليبيين اخذوا هذا العنصر من العرب ولا يمكن ان يكون العكس صحيحا

---

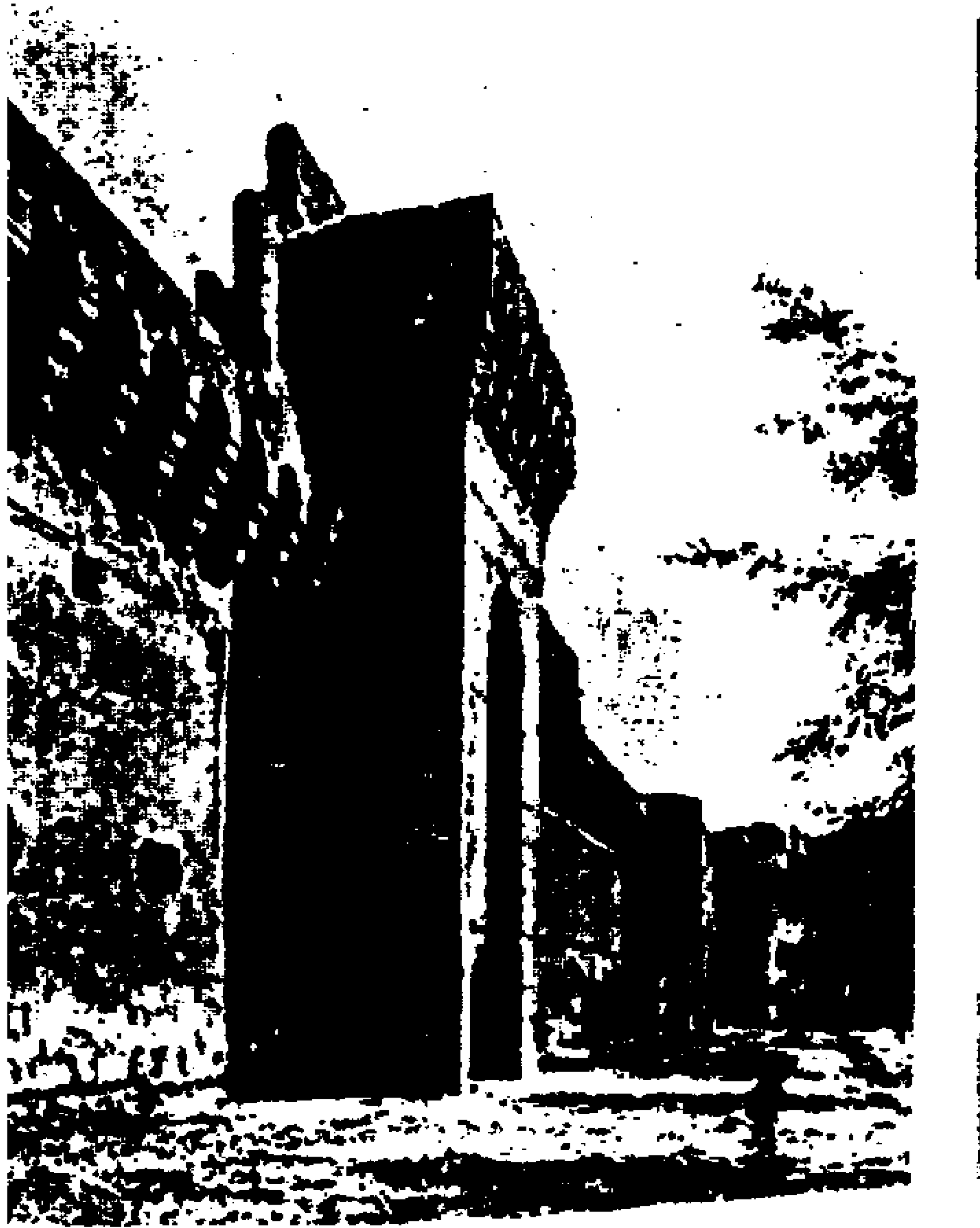
(١) انظر ما نشر ص ٦١١ ـ ٦١٢

(٢) استطاع الاستاذ كرزويل ان يحصر عشرة امثلة من هذه السقاطات فى بلاد الشام منها ثلاثة فقط يمكن ان تكون لاغراض دفاعية حيث كانت تعلو ابوابها . اما الباقى فكانت مستعملة كمرافق عامة . انظر كتاب K. Crewell: Bulletin de l'Institute d'archeologie Orientale.

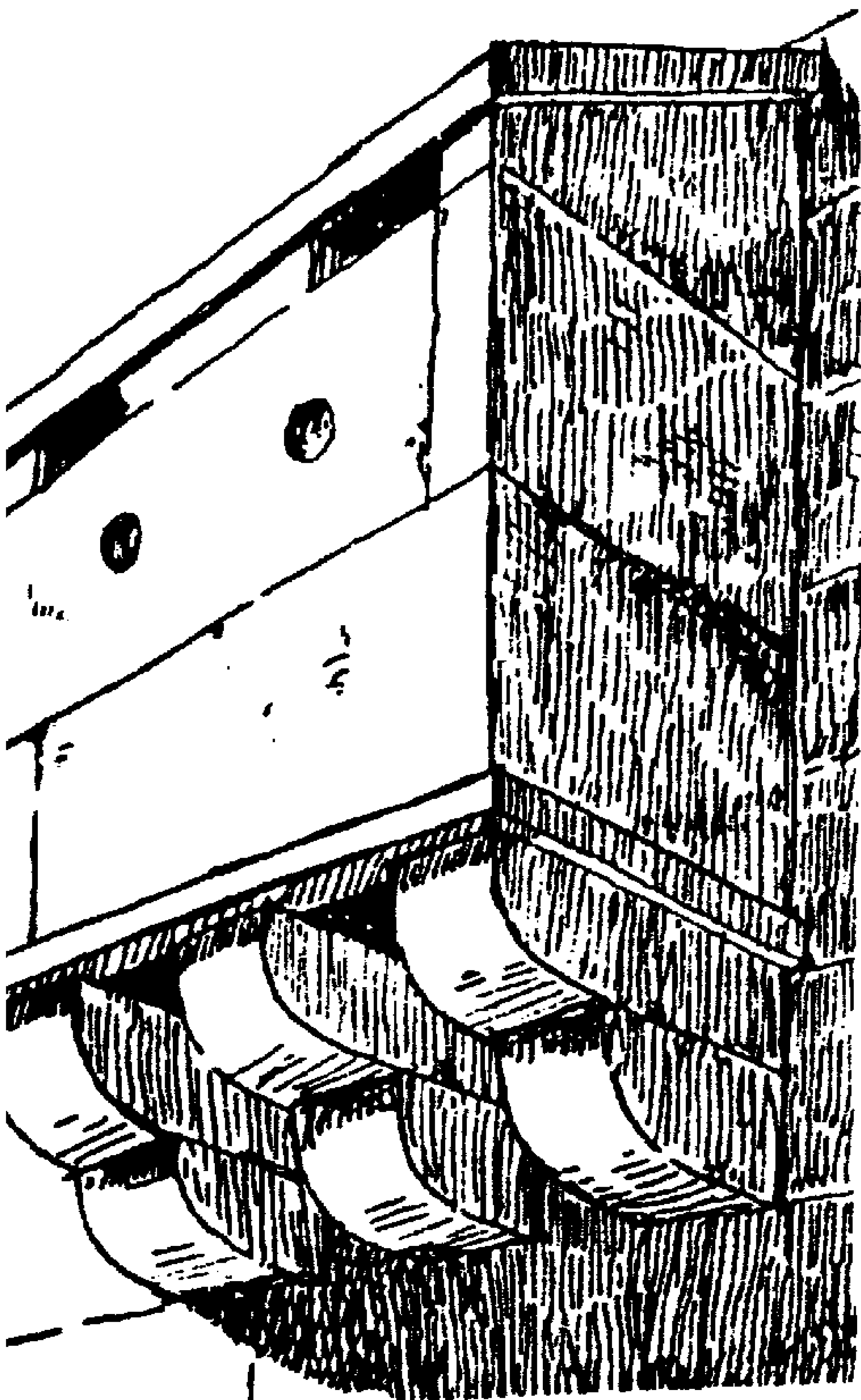
(٣) يقع قصر الحير بالقرب من الرصافه بسورية .

السقاطات

(شكل ٧١)
قصر الحير الشرقي



(شكل ٧٢)
اسوار مدينة افيتيون



(شكل ٧٠)
سقاطه ببادية الشــــام

ثالثا : العناصر الزخرفيـــة

١ ـ البواكي الصمـاء   Blind Arcades

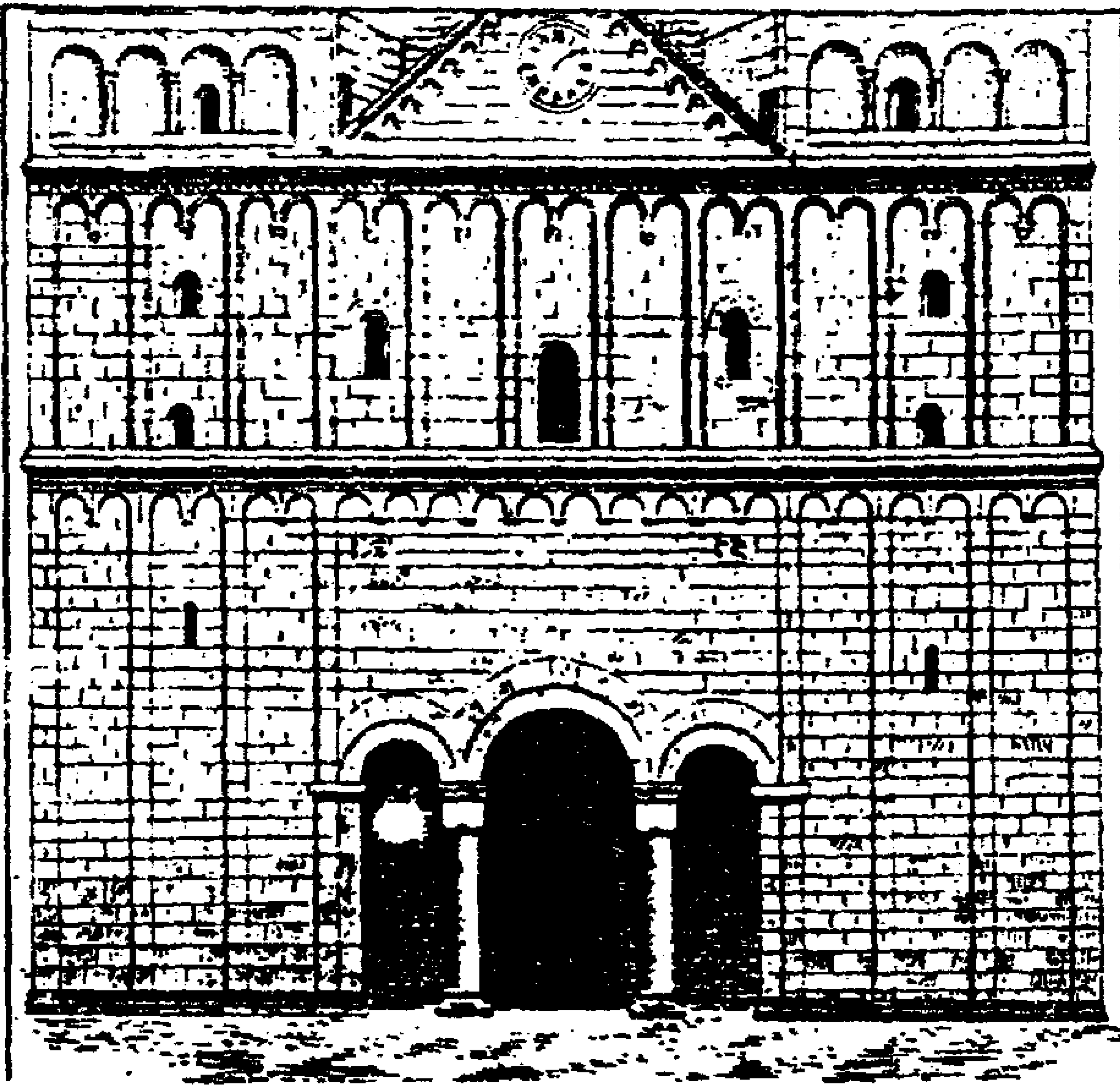
وهي عقود صغيرة غير مفتوحة تعتبر عناصر زخرفية وجدت اولا في الفن الفارســـي الساساني كالتي تحيط بالعقد الكبير في طاق كسرى (شكل ٧٣) من اواخر القرن السادس الميلادي وكانت عقودا نصف دائرية صماء •

وفي الاسلام استعمل هذا العنصر في قصر الاخيضر[1] (٧٧٨م) ثم انتقل من الشرق الى شمال افريقيا والاندلس فوجدناه في مآذن الموحدين وفي جامع قرطبـه •

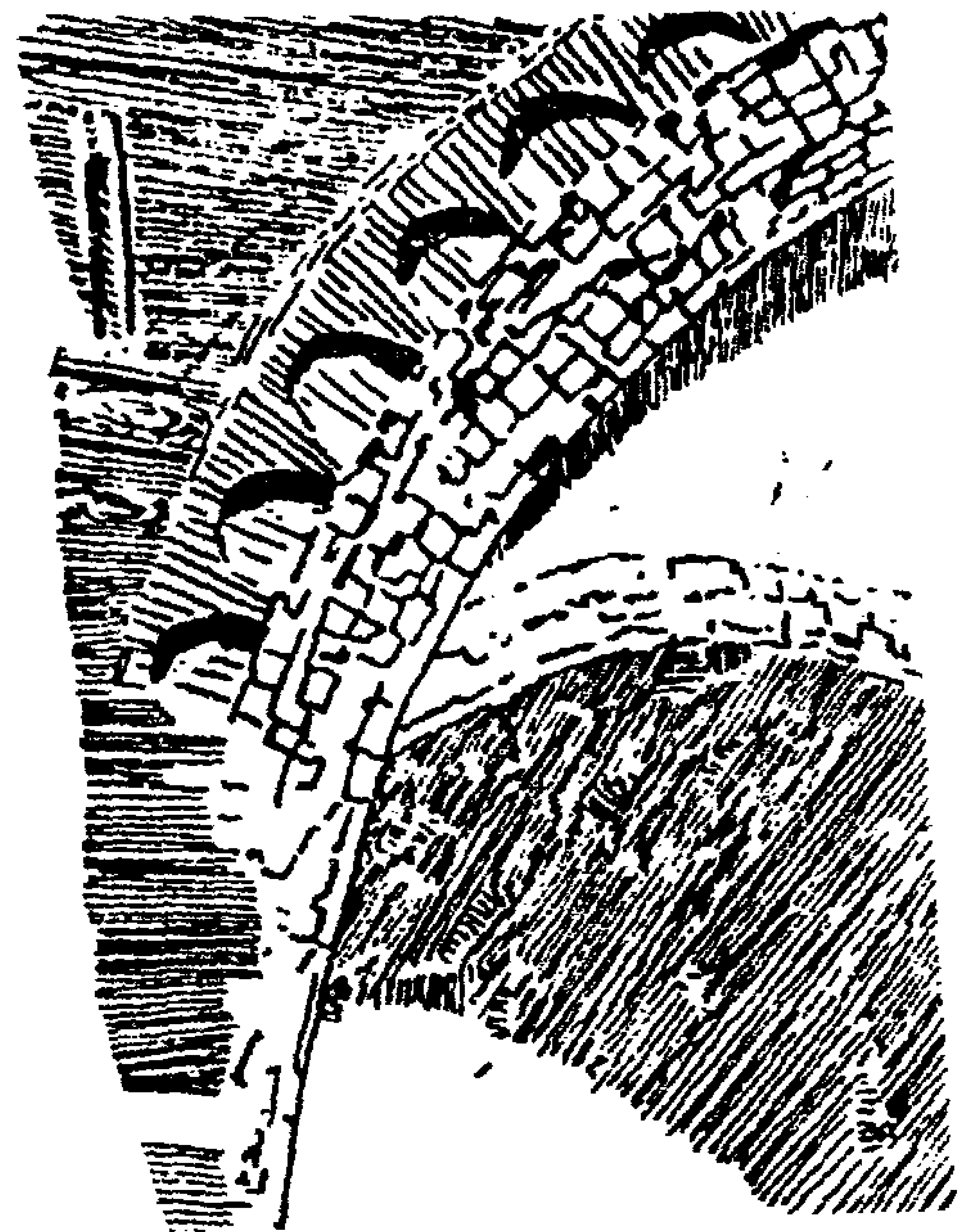
اما في الغرب فقد وجدنا تلك العقود الصماء النصف دائرية الغير مفصصة تحلـــي العديد من واجهات الكنائس الرومانسكيه والقوطية خاصة اسفل سقوفها • ومن أقدم امثلتها ما وجد بكنيسة Marmoutiers (شكل ٧٣) بمنطقة الالزاس بفرنسا من القرن الثانـي عشر الميلادي وكذلك كنيسة Murbach بأعلى نهر الراين من العصر الرومانســـكي (شكل ٧٥) •

---

(١) ينسب هذا القصر الذي يقع على بعد ١٢٠ كم جنوبي بغداد الى عيسى بن موسى بن عبد الله العباسي ويعتبر من أجمل القصور العباسية •



(شكل ٧٤)
كنيسة ماروتيــــه



(شكل ٧٣)
طاق كسرى بالعراق

(شكل ٧٥)
كنيسة ميربـــاخ

٢ ــ الحشوات الزخرفية للنوافذ (الشمسيات أو المشبكات)

Perforated window grilles (Claire-Voies)

اقدم هذه الحشوات التى تكسو النوافذ وجدت فى العصر المصرى القديم ، ومن امثلتها تلك التى بالمناور العلوية الجانبية Clerestories بالمعابد المصرية كبهو الاعمدة بالكرنك ، ثم ظهرت فى العصر الرومانى والبيزنطى وغيرهما .

وعندما جاء الاسلام ابدع فى زخرفتها باشكال مفرغة من العناصر النباتية والهندسية وكانت هذه الحشوات تعمل فى بادئ الامر من الجص ثم صنعت من الحجر أو الرخام . ولم يستعمل المثقاب فى طريقة تفريغها كما كان فى الفن البيزنطى ، بل استعملت الازاميل لامكان تجسيم زخارفها .

وفى اواخر العصر الفاطمى ومنذ اوائل العصر الايوبى دخل الزجاج الملون فى هذه الشمسيات ليملأ فراغاتها .

ومن اقدم هذه الحشوات ما وجد بالجامع الاموى بدمشق (شكل ٧٦) عام (٧١٤م) وهى من العصر الرومانى . ثم انتشرت بعد ذلك فى معظم المساجد والقصور الاسلامية كما فى جامع قرطبة (شكل ٧٦) وقصر الحمراء باسبانيا ومسجد احمد بن طولون بالقاهرة (شكل ٧٧) .

أما فى الغرب فربما انتقلت هذه الحشوات الزخرفية من اسبانيا الى فرنسا حيث نجد مثالا لها باحدى مبانى جهة البيرينيه [1] وتسمى Hospital S. Blaise بمدينة Béarn من القرن الحادى عشر الميلادى .

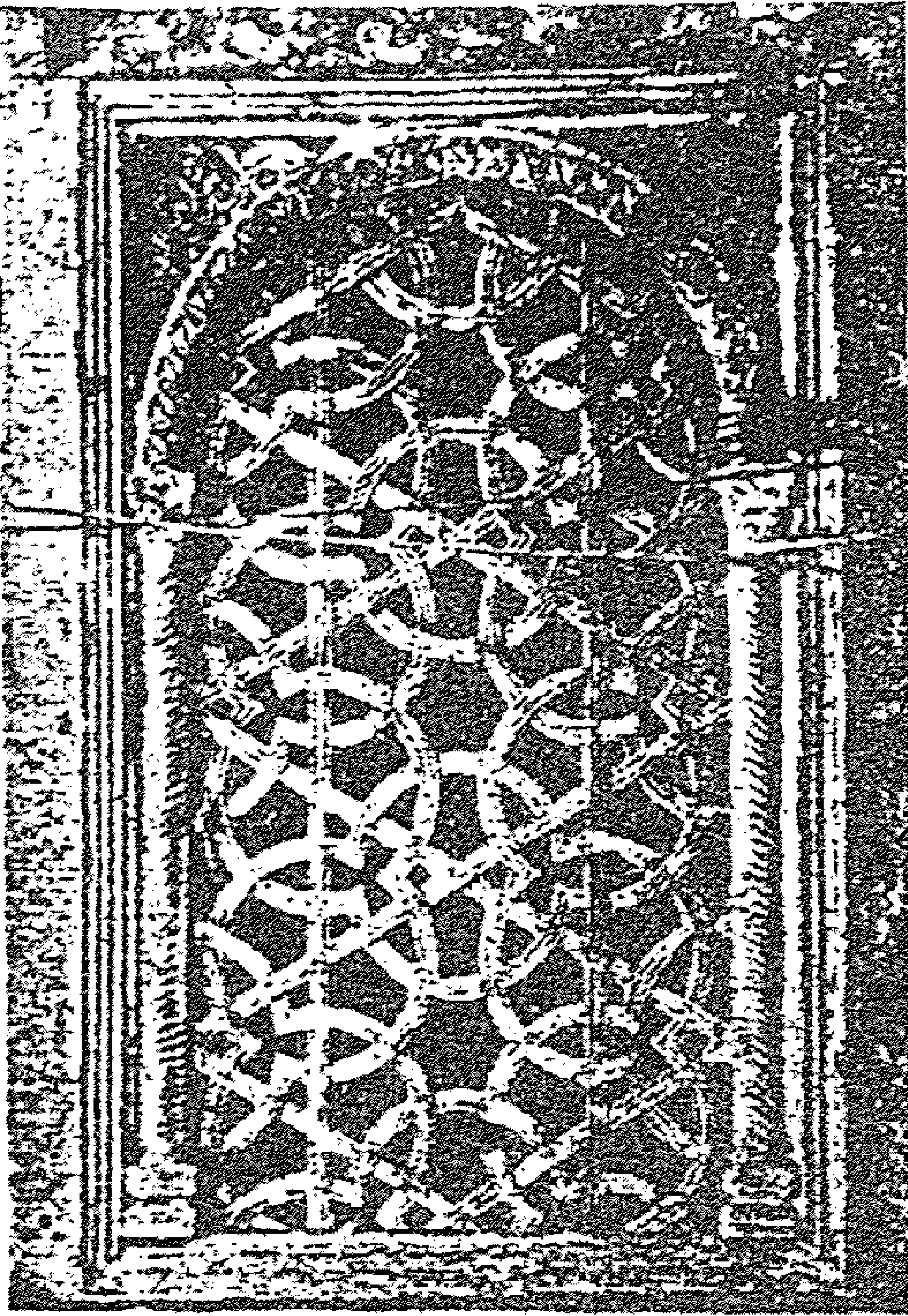
وقد انتشرت هذه الحشوات فى العصر الرومانسكى وكانت زخارفها من عناصر هندسية شبيهه بتلك التى استعملت فى الاسلام . اما فى العصر القوطى فقد تطورت واصبحت النافذه اكثر اتساعا وكانت باكملها من الزجاج المعشق الملون [2] ذات الزخارف والرسومات الدينية المختلفة . وفى متحف بالرمو بصقلية نجد العديد من هذه الحشوات ترجع الى القرن الثانى عشر الميلادى ومنها ما يشبه لحد كبير نوافذ الهمبرا ونوافذ جامع احمد بن طولون كما فى (شكل ٧٨) .

---

(١) انظر لوحة رقم ٣٥ من كتاب Archive M.H. Vol. 5.

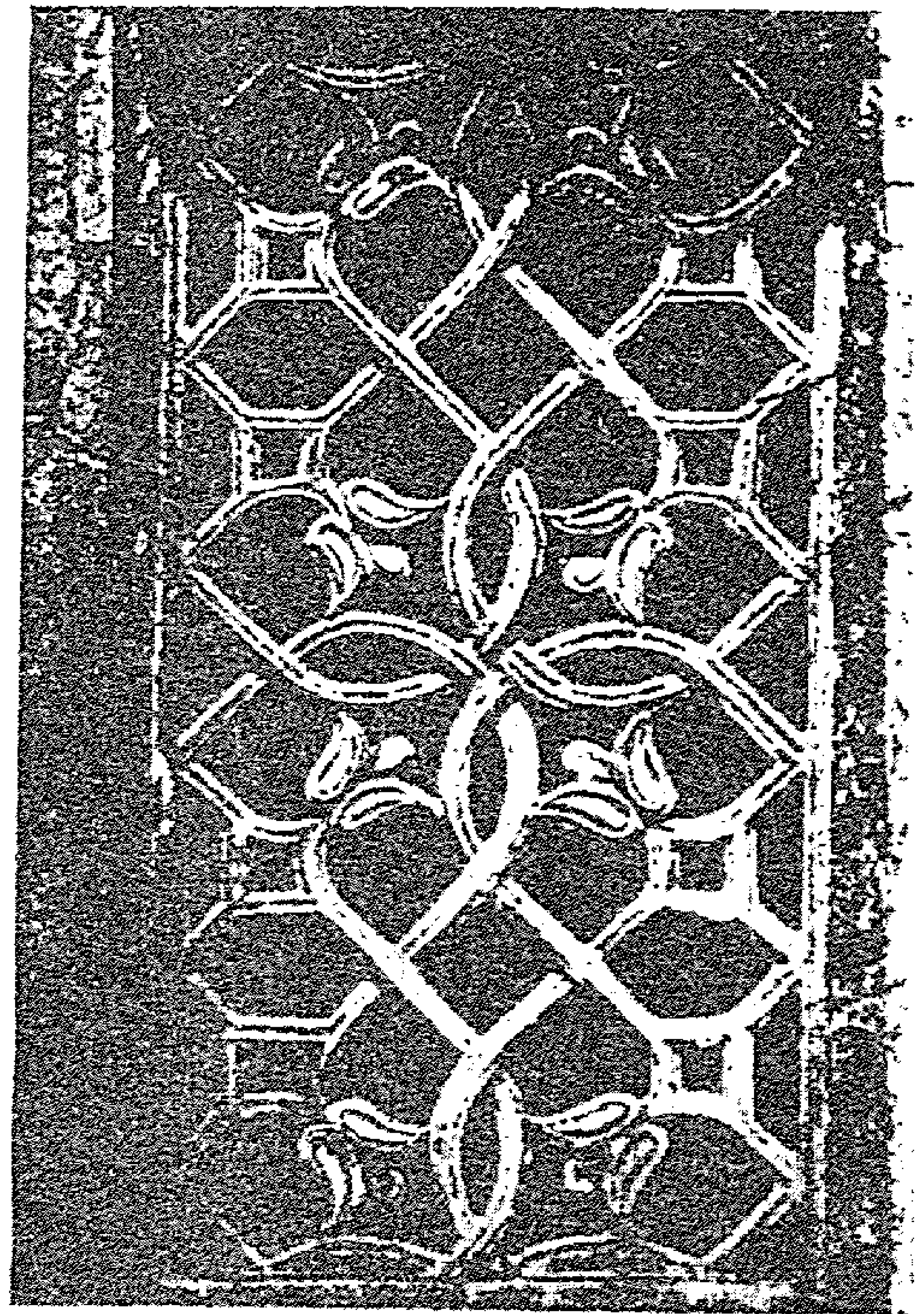
(٢) نلاحظ ان استعمال الزجاج الملون ظهر فى الاسلام قبل ظهوره فى اوربا .

الشمسيات



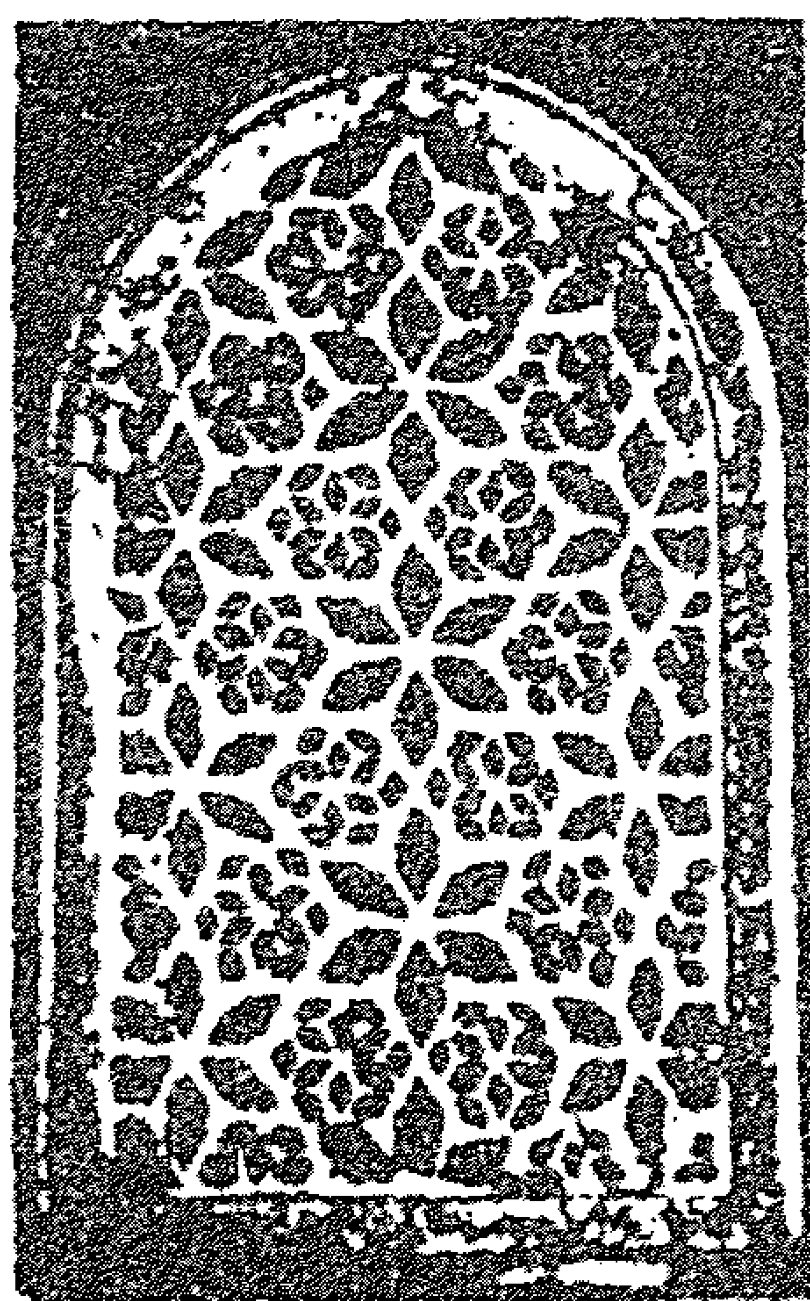
الجامع الاموي بدمشق

(شكل ٧٦)



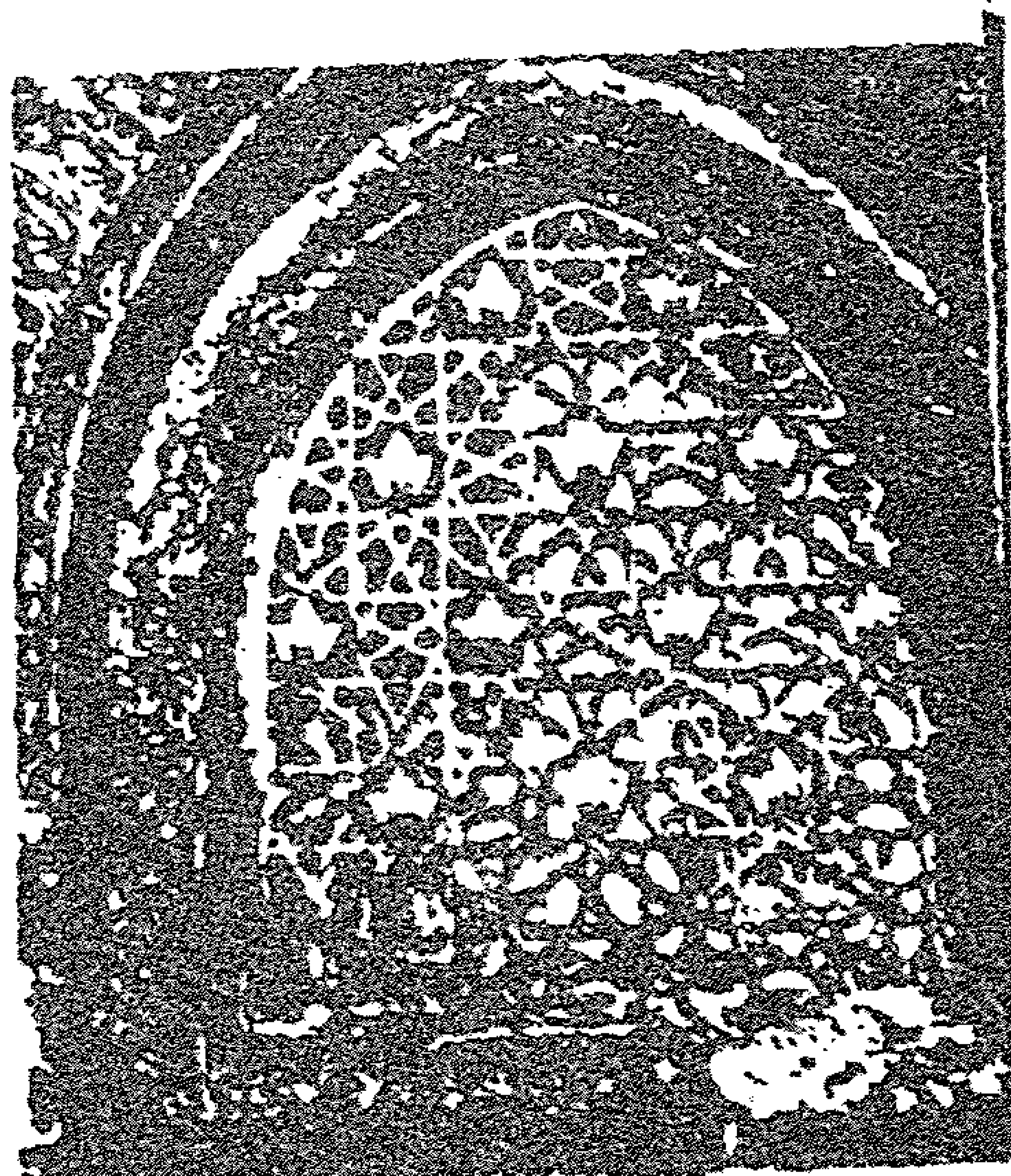
جامع قرطبـــــة

الشمسيات



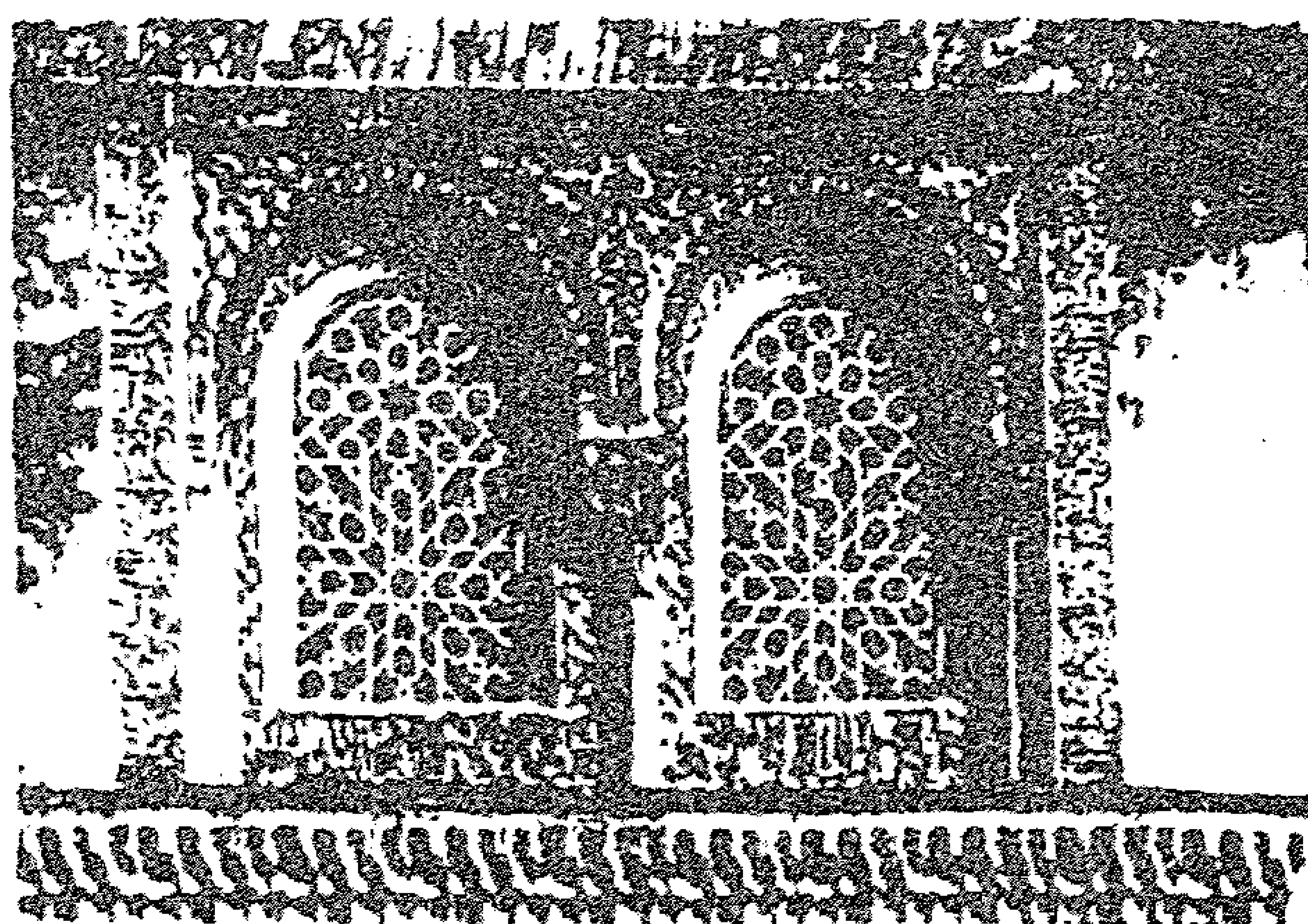
(شكل ٧٨)

نافذه بمتحف بالرمو



نافذة من جامع ابن طولون

(شكل ٧٧)



نوافذ من قصر الحمراء باسبانيا

٣ ـ الابلـق Ablac

الابلق كلمه اطلقها العرب فى البناء بعد اميك من لونين مختلفين بالتبادل كالحجـر والطوب اى من لونين الابيض والاحمر او من الحجر الابيض والحجر الاسود او الد اكـن بالتبادل •

هذا الاسلوب اتبع عند الرومان ثم البيزنطيين فى بناء الجدران بعد اميك حجريـة واخرى طوبية بالتبادل وذلك لغرض انشائى وزخرفى فى نفس الوقت • ومن امثلتها ما وجـد ببلاد الشام فى قصر ابن الوردان عام (٥١٤م) وفى حصن بابليون بالقاهرة •

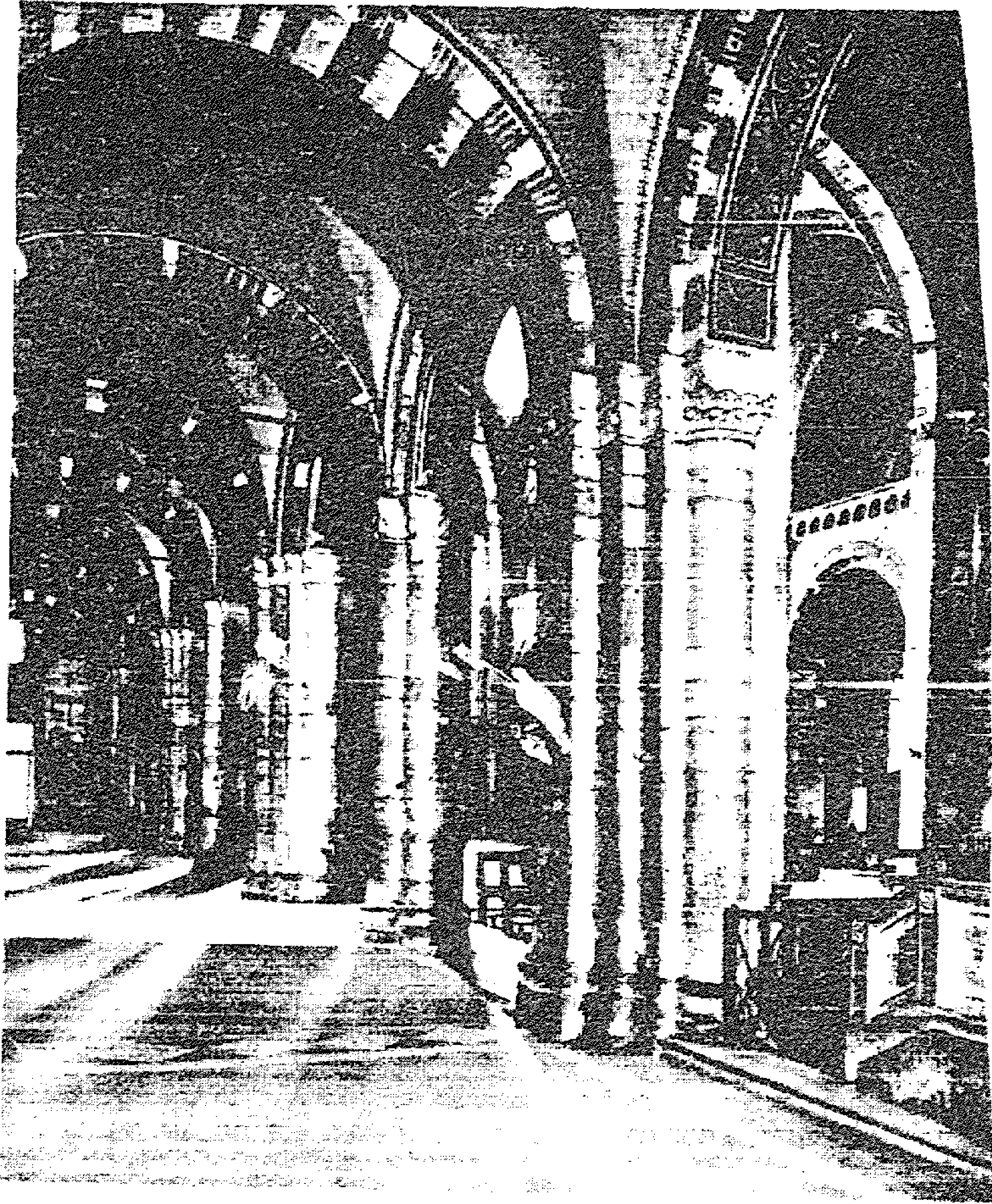
وعند ما جاء الاسلام استعمل هذا الاسلوب بكثرة فى صنع العقود والمحاريب عـلاوة على الجدران • واول مبنى اسلامى استعمل الابلق كـان فى قبة الصخرة عام (٦٩١م) • ثم انتقل هذا الاسلوب من المشرق الاسلامى وبالاخص من بلاد الشام الى اسبانيا عـن طريق الامويين • حيث استعمل لاول مرة فى المساجد وذلك فى عقود جامع قرطبة (شكل ٣٢) فى عهد عبد الرحمن الداخل عام (٧٧٦م) وكانت هذه العقود تتكون من حجرة بيضـاء يليها اربعة مداميك من الطوب بالتبادل •

وفى مصر كان اول استعماله فى عقود مدرسة الصالح نجم الدين ايوب عام (١٢٤٣م) ثم فى عقود قنطرة بيبرس البندقارى عام (١٢٦٧م) • ثم انتشر الابلق فى معظـم المبانـى الاسلامية سواء فى العقود او المحاريب او الجدران التى كثيرا ما كانت واجهاتها تزخـرف بلونين بصرف النظر عن مواد البناء وذلك بشكل شرائط بيضاء واخرى حمراء بالتبادل •

انتقل هذا الاسلوب الى اوربا فنجده فى ايطاليا فى الواجهات الرخامية المخططـه بلونين كما فى بيزا (١) وجنوا وفلورنسا ويسمى هذا الاسلوب Lancing courses اما فى فرنسا فقد استعمل بكثرة فى صنع العقود : كما فى كنيسة S. Madeleine (شكل ٧٩) بمدينة Vezelay عام (١٠٨٩ـ١٢٠٦م) وفى كنيسة De Thines من القرن الحادى عشر الميلادى حيث بنى عقد المدخل من احجار جرانيتية من لون اسود واحجار كلسيه من لون ابيض بالتبادل • وفى عقود كنيسة Le Puy بالاوفرنى وفـى انجلترا نجده فى كنيسة القديس بطرس • ومن اجمل امثلة هذا الاسلوب ما وجد بعقـود كنيسة S. Ambrogio بميلانو من اواخر القرن الحادى عشر واوائل الثانى عشـر الميلادى (شكل ٨٠) •

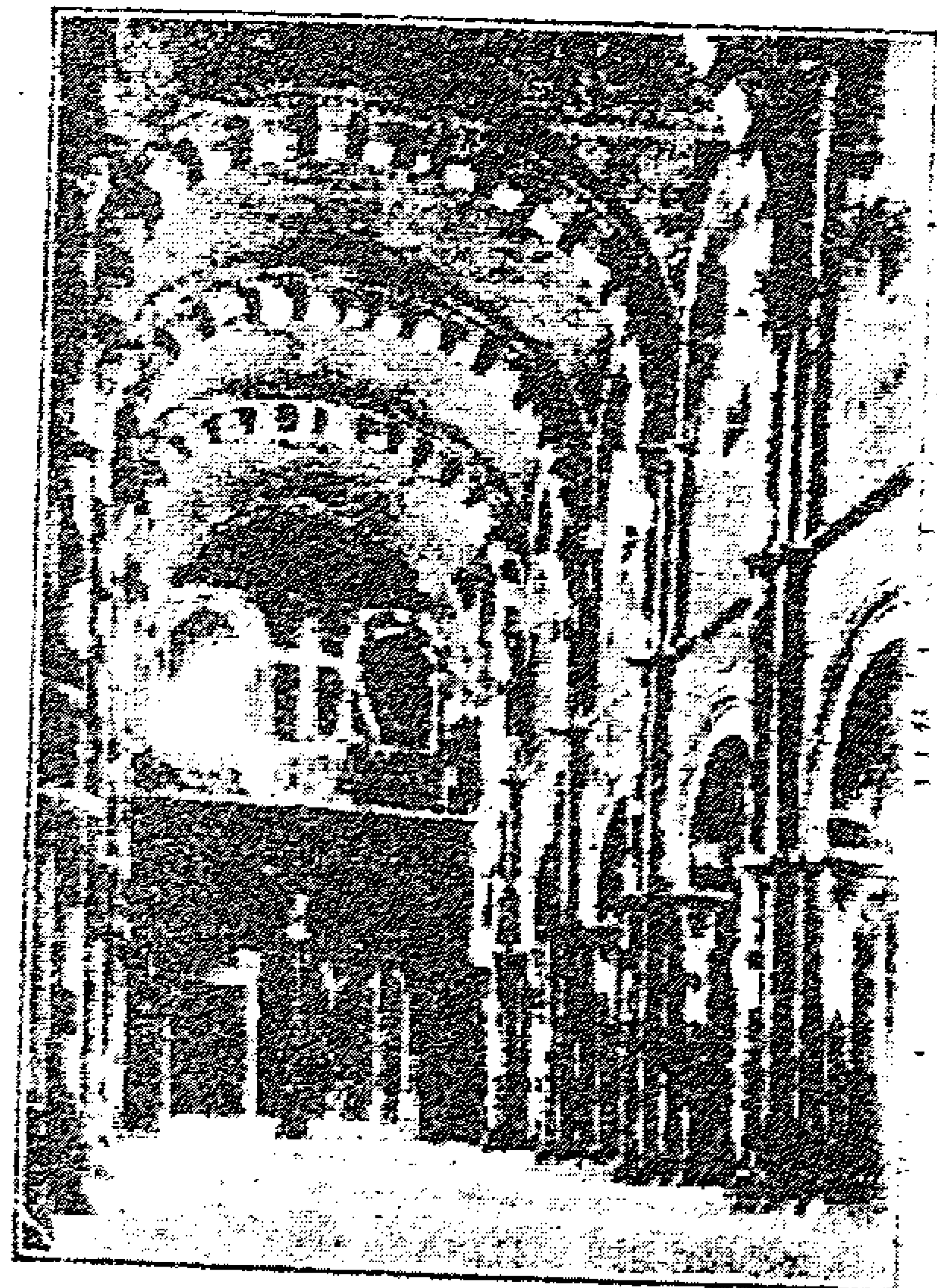
---

(١) انظر ص ٣١٧ من كتاب B. Fletcher: A History of Arch.



(شكل ٨٠)

كنيسة سانت امبروجيو بميلانو



(شكل ٧٩)

كنيسة سانت مادلين بفرنسا

٤ ــ الحشوات الخشبية المزخرفــة . Wooden Decorative Grilles

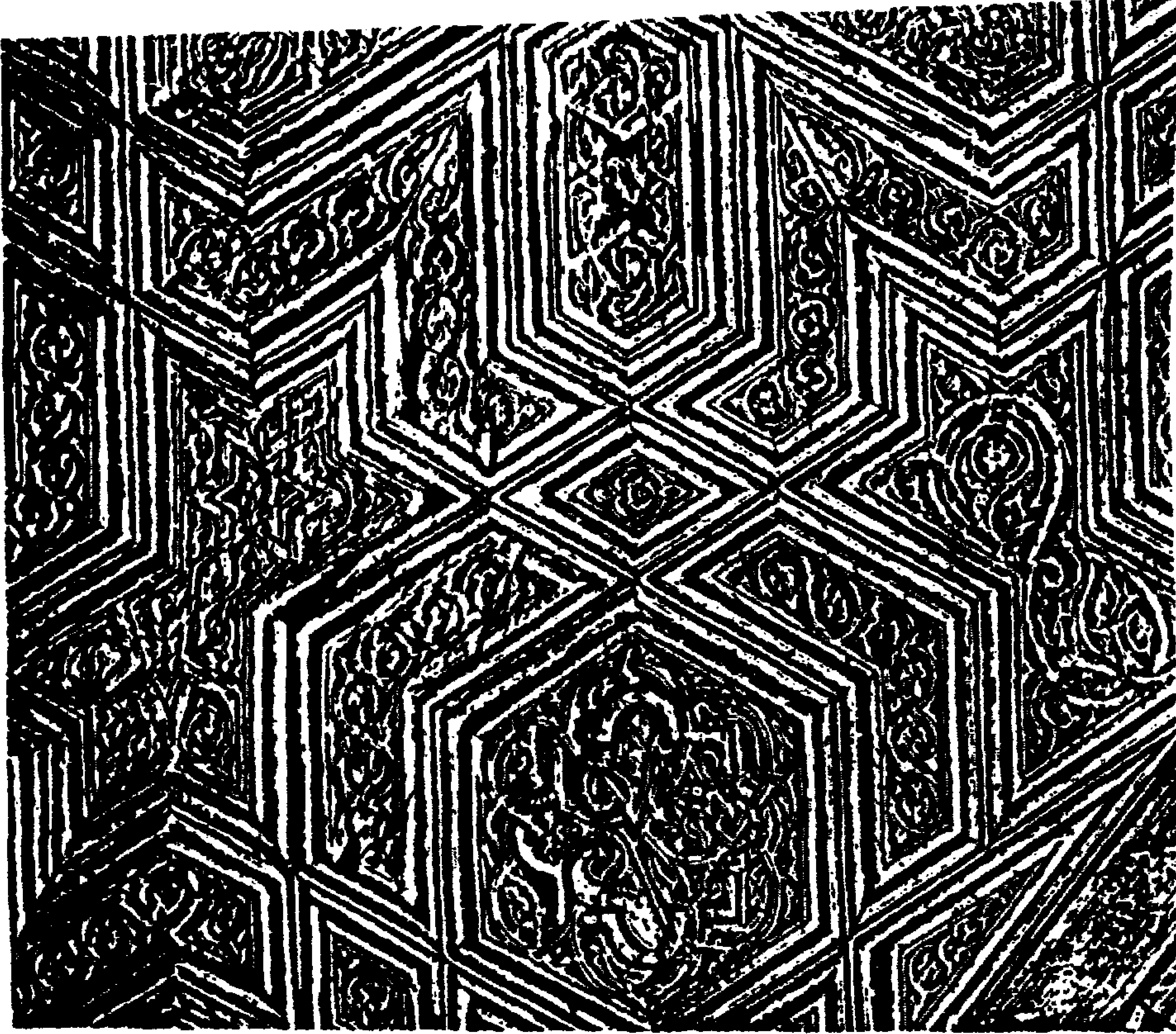
استخدم الفن الاسلامى بكثرة الحشوات الخشبية المزخرفة بزخارف بارزه او محفورة من مختلف العناصر الزخرفيــة ، وغالبا ما كانت مكونه من قطع صغيره متداخلة مع بعضهـــا ومطعمة بالعاج والابانوس والصدف . نجد مثل هذه الحشوات فى المنابر والســـــقوف والصناديق ومختلف الاثاث . وكثيرا ما نجد هذه الحشوات تتكون من اشكال هندســـية كالاطباق النجمية المطوقة بعناصر نباتية ، واحيانا بعناصر حيوانية او بالكتابات العربيــة . ومن اجمل تلك الاعمال منبر لاجين بجامع احمد بن طولون عام (١٢٩٦م) ومنبر الصالـــح طلائع بجهة قوص بمصر عام (١١٥٥م) (شكل ٨١) .

قلدت هذه الحشوات فى منابر واجهة الكنائس وفى كثير من التحف المسيحيـــــة كالصناديق والعلب المصنوعة من الخشب او العاج مع تطعيمها بمختلف المواد النفيســــة . وقد ملأت تلك التحف متاحف اوربا . ومن امثلتها تلك الحشوة التى بالمتحف الوطـــــنى ببالرمو صقليـــة وهى احدى الحشوات الخشبية (شكل ٨٢) من القرن الثانى عشر الميلادى وتكون جزءا من سقف القصر الملكى ببالرمو ويلاحظ تشابهها بالحشوات الخشبية الاسلاميــة . كما نجد منبر كنيســة Palatina عام (١١٣٢م) بنفس القصر به التأثير الاسلامى أيضا .

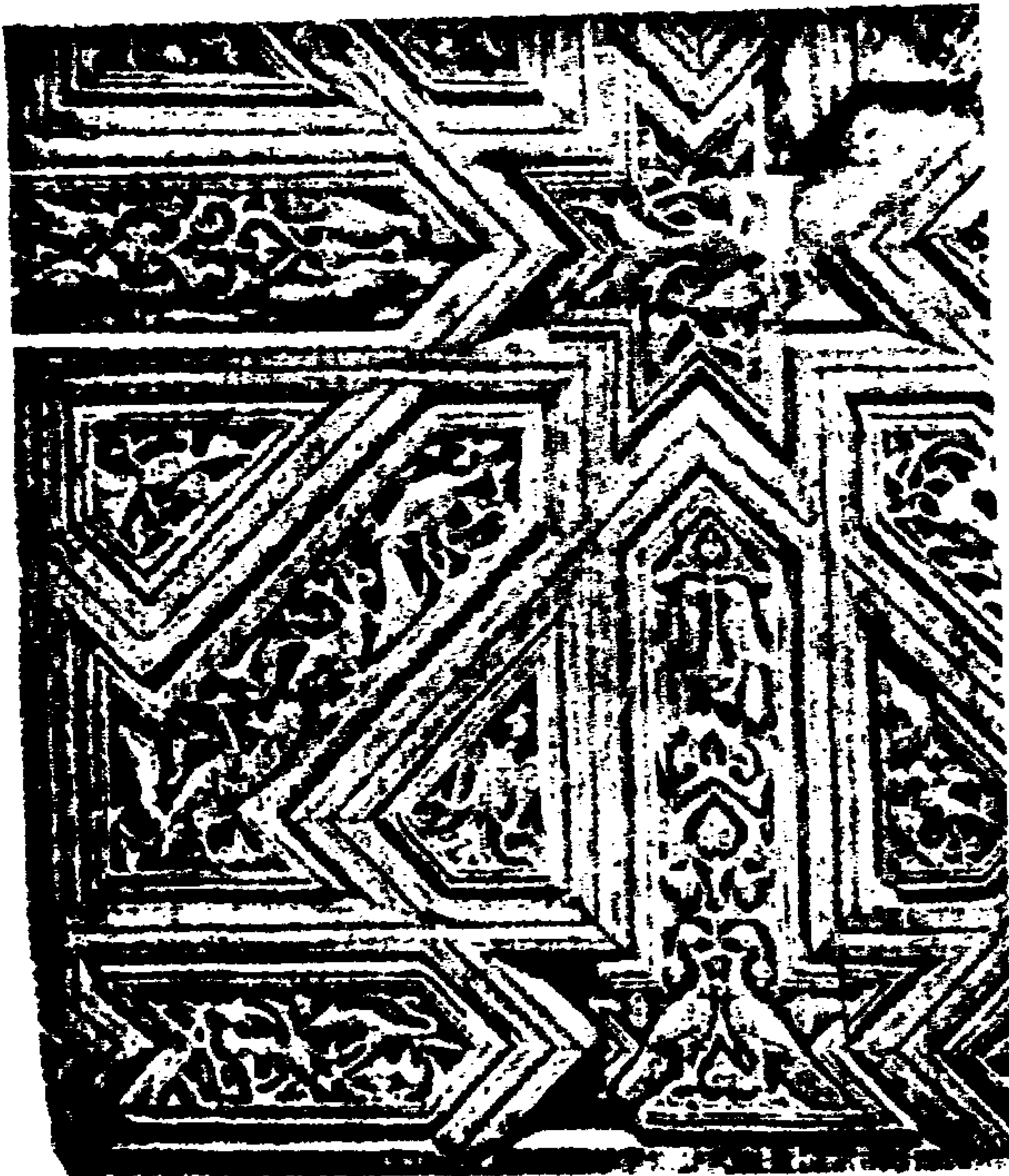
وفى اسبانيا نجد بباب احد الاديرة بمدينة Las Huelgus Purgs مــــن القرن الثانى عشر الميلادى به حشوات مزخرفة تعتبر من اجمل الامثلة المسيحية ذات الطابع الاسلامى .

كما نجد ذراع صليب من العاج كان مخصصا للحفلات الدينية ذو حجم كبير محفـــوظ بمتحف اللوفر كما سبق ذكره (شكل ٦) وهو شبيه بالتحف العاجية الفاطمية والـــــتى ملئت بزخارف منحوته من عناصر حيوانية ونباتيــة .

الحشوات الخشبية



(شكل ٨١)
حشوة من منبر الصالح
طلائع بقوص بمصـــر



(شكل ٨٢)
حشوة خشبية بمتحـــف
بالرمـو

٥ ـ الارابيسك   Arabesque

اشتهر الفن الاسلامي بتلك الزخرفة التي تسمى ارابسك (شكل ٨٣) ، تلك الكلمة التي اطلقها الاوربيون على تلك الزخرفة في اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية . ونخص بالذكر منها ما كان يتكون من عناصر نباتية من اوراق وسيقان وزهور وكلها رسمت أو حفرت بشكل تجريدي ، تنساب وتنطلق في حرية تامة ... تتشابك وتلتف وتدور حول نفسها لانعرف لها أول من آخر(١)! ... مكونة اشكالا زخرفية غاية في الابداع ، ولا يخلو أي اثر معماري او تحفه فنية اسلامية من هذه الزخرفة . كما استعملت تلك العناصر النباتية لزخرفة الحروف الكوفية ، أو لتكون أرضية لهذه الكتابات التي تسمى الكوفي المزهر . ولاشك أن هذا العنصر الزخرفي ما هو الا ابتكار اسلامي متطور من تلك الزخرفة التي وجدت في الفن الفارسي الساساني (٢)

دخلت هذه الزخرفة في فنون اوربا (٣) سواء في العصور الوسطى أو في عصر النهضة . نجدها في بعض تيجان الاعمدة وحليات تلك العصور . ومن أمثلتها ما زخرف بها بـرواز أو شريط حول شرقيه كنيسة Monreale بصقلية عام (١١٧٦م) . كما كانت تحلى كتف كرسي بالبرونز بكاتدرائية Trani (شكل ٨٤) بايطاليا وفي كاتدرائية Lumburg بالمانيا (٤) من العصر الرومانسكي .



(شكل ٨٣)

ارابسك اسلامي



(شكل ٨٤)

ارابسك مسيحي

---

(١) انظر كتاب : العمارة العربية في مصر الاسلامية للدكتور فريد شافعي القاهرة ١٩٧٠

(٢) " " : الفنون الايرانية للدكتور زكي محمد حسن ـ القاهرة ١٩٤٠ .

(٣) " " : Briggs: Mohammedan Arch. Oxford 1924.

٦ ـ الكتابات : Scripts

استخدم الفن الاسلامي الكتابات العربية كعنصر زخرفي علاوة على ما تحمل من معاني . ويعتبر هذا من مبتكراته وقد اشتهر به حيث وجد في معظم المباني والتحف الاسلامية سواء كانت بالخط الكوفي بجميع انواعه او بالخط الثلث وذلك منذ اقدم العصور . (شكل ٨٥) .

هذه الكتابات كانت تعمل اما سطحية أو محفورة وبارزة على الخشب والحجر والجص والرخام والزجاج ومختلف المعادن ، كما كانت ترسم على المنسوجات وجلود الكتب . وتتكون هذه الكلمات من آيات قرآنية أو عبارات التبجيل أو الدعاء . وكثيرا ما كتبت هذه النصوص على خلفية من الزخارف النباتية .

انتقلت هذه الكتابات الى الغرب (١) وقلدت دون معرفة معانيها العربية في العديد من زخارف التحف المسيحية ومنسوجات رجال الدين الى غير ذلك . وقد اشتهر الفن القوطي باستعمال الكلمات كعنصر زخرفي باحرف لاتينية شديدة الشبه (شكل ٨٦) بالحروف الكوفية كالتي وجدت بجامع احمد بن طولون بالقاهرة (٨٧٨م) والتي تعتبر من أقدم الكتابات المحفورة حفرا بارزا (شكل ٨٧) . وما من شك فان الفن القوطي اخذ هذا الاسلوب من الفن الاسلامي .

ومن اجمل هذه الكتابات الكوفية العربية ما وجدت محفورة بحفر بارز في الباب الخشبي بكاتدرائية Puy بفرنسا وهي من عمل الفنان Gaufreidas من عصر النهضة (شكل ٨٨) ومن نفس العصر نجد باب آخر بكنيسة La Vozetei Chilhoc بفرنسا به كتابات كوفية . وعلاوة على وجود هذه الكتابات العربية تحلي ابواب الكنائس قد وجدناها ايضا في العديد من الاشرطة تحلي الجدران .

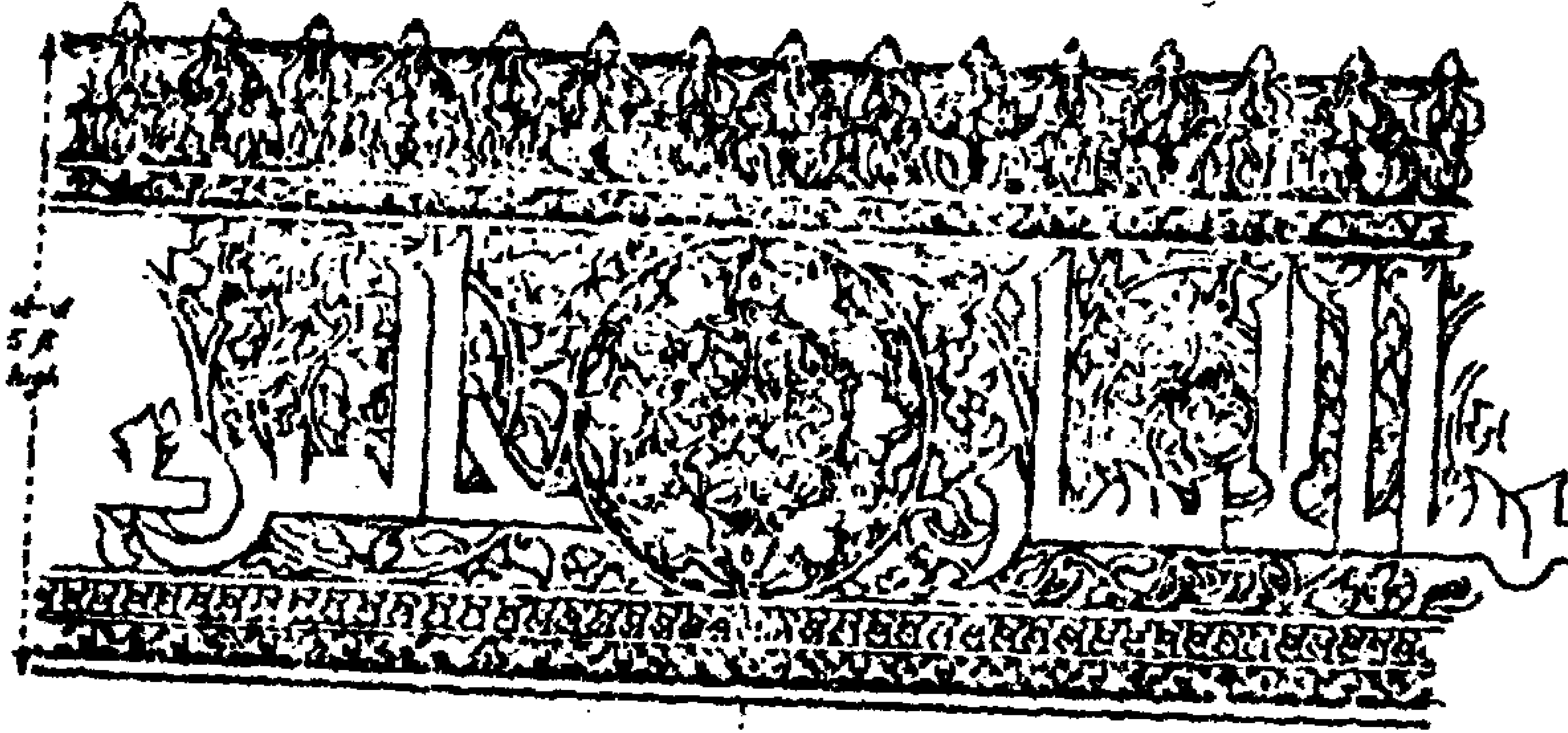
---

(١) يعترف الكثير من علماء الفنون بالغرب بتأثير الفن الاسلامي على الفنون المسيحية في مجال الزخارف والكتابات . انظر كتاب A.H. Christie: Development of Ornaments from Arabic Script XI-XII London 1922.

الكتابـــات



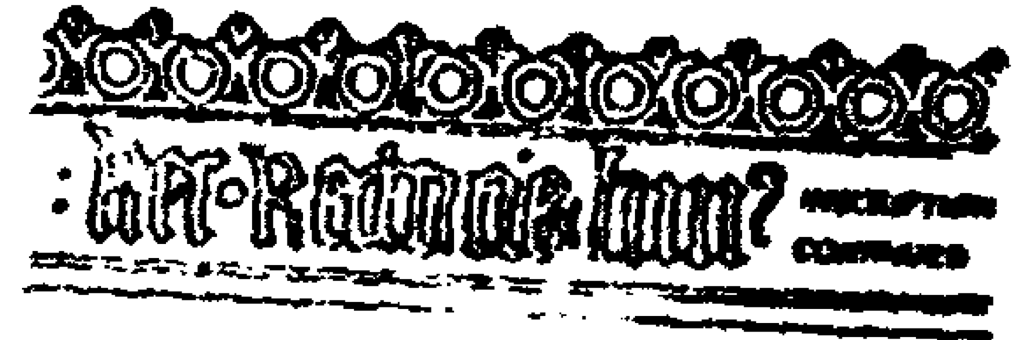
(شكل ٨٧)
كتابات من جامع
احمد بن طولون



(شكل ٨٥)

كتابـات اسلاميـــــة





(شكل ٨٦)

كتابـات لاتينيـــــة

الكتابات



(شكل ٨٨)

باب كنيسة بسوى بفرنسا

وبالاضافة الى ماتقدم ، فاننا نجد العديد من العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية الاخرى اقتبسها الغرب وقلدها أو طورها واستعملها فى فنونه ليس فقط خلال العصور الوسطى وعصر النهضة ، بل وفى العصر الحديث أيضا .

نجد الابواب الحديدية والمسماه Porticulis وهى التى تتكون من شبكة من القضبان الحديدية تنتهى من اسفل باسنان حادة كالرماح وتنزلق رأسيا داخل قنوات او مجارى على جانبى المداخل . وعندما تغلق هذه الابواب لايمكن فتحها الا برفعها من اعلا بواسطة الجهاز . وقد استعملت هذه الابواب فى العمارة الاسلامية فنجدها فى ابواب قصر الاخيضر العباسى (٧٧٨م) ، وربما اخذها الغرب من الاسلام عبر القنوات السابقة الذكر ، حيث نجد اقدم امثلتها فى قلعة Harlech بانجلترا وتؤرخ ما بين عامى (١٢٨٥ ـ ١٢٩٠م) .

هذه القلعة وغيرها من قلاع العصور الوسطى باوربا هى قلاع مركزية Concentric Castles وهى لاشك انها من اصل اسلامى كما ذكرت سابقا فى هذه القلاع والحصون يقع قصر الحاكم او الامير فى مكان مركزى داخل الاسوار الحصينة ويحيط به ثكنات الجيش ومستودعات الذخيرة والمواد الغذائية وخزانات المياه وغيرها من مستلزمات الحياة ، كما نجد بعض السراديب السرية الطويلة التى تطل داخل هذه القلاع بالخارج بعيدا عن مناطق الخطر عبر الخندق المملوء بالماء والذى يحيط بتلك الاسوار .

نجد ايضا من العناصر المعمارية الاسلامية المقرنصات (١) وهى عنصر انشائى زخرفى انتشر فى معظم المبانى الاسلامية ، وقد استعمل فى عمارة الغرب كما فى كنيسة Palatina بمدينة بالرمو عام (١١٣٢م) تحت بعض السقوف الخشبية ، وتلاحظ انها تشبه لحد كبير تلك التى بسقوف الهمبرا باسبانيا .

كما اننا لاننسى ان فكرة الاعمدة المتصلة بالدعائم الرئيسية ، والتى استعملت فى فنون العصور الوسطى ، ما هى الا فكرة مأخوذة من الشرق ، استعملها الاسلام منذ القرن الثامن والتاسع الميلادى حيث وجدت فى مساجد سامرا وابن طولون وغيرها .

---

(١) اطلق على المقرنصات باللغات الاجنبية اسم Stalactite بمعنى الرواسب الكلسيه الناتجة من ترشيح المياه المحملة بالاملاح الجيرية والمتدلية من سقوف الكهوف والمغارات بشكل الجليد المتجمد .

ثم انتقلت الى الغرب وكانت من العناصر الانشائية الرئيسية للفن الرومانسكى والفن القوطى .

اشتهرت العمارة الاسلامية بعمل الافنية فى معظم مبانيها وهى بمثابة حدائق داخلية تفتح عليها القاعات والغرف المختلفة لتأمين الخصوصية ولأغراض مناخية . وقد زينوا هذه الافنية بالاعمدة والعقود والنافورات وغير ذلك . هذه الافنية ذات الطابع الاسلامى انتقلت الى الغرب خلال العصور الوسطى فنجدها فى الاديرة . ومن أجمل امثلتها دير كاتدرائية Monreale عام (١١٧٦ـ١١٨٢م) (شكل ٨٩) .

هذه الافنية وغيرها من العناصر الاسلامية الاخرى كالملاقف والفسيفساء ، نجدها قد استعملت فى العصر الحديث بالمكسيك والبرازيل وغيرها من بلدان العالم الغربى .

اما الزخارف الاسلامية السطحية منها او المحفورة ـ غائرة كانت او بارزة ـ التى انتشرت فى جميع انحاء العالم الاسلامى انتقلت الى الغرب واصبح بعضها من أهم معالم الطراز القوطى . ولا غرو فى ذلك ، فان الفن الاسلامى فن زخرفى ، أبدع فى اعمال الزخرفة كل الابداع ولانجد أى فن من الفنون الاخرى عبر العصور التاريخية استطاع ان ينافسه فى هذا المضمار .. ولذلك كان فى قدرة الفن الاسلامى ان يصدر بعض زخارفه الى الغرب .

كان الفنان المسلم يواجه الطبيعة ويتناول عناصرها ويفككها الى عناصر اولية ثم يعيد تركيبها من جديد وهو فى ذلك يشبه بعض الاتجاهات الحديثة مثل التكعيبية والتجريدية وهى التى تقوم بتحليل العناصر الطبيعية الى سطوح وحجوم هندسية بسيطة تعتمد على الخطوط والالوان ، مقلدة بذلك الفن الاسلامى وهو الفن التجريدى . ونذكر على سبيل المثال الفنان ماتيس فقد تأثر تأثرا كبيرا بالفن الاسلامى ، وكان هذا التأثير واضحا فى معظم اعماله الفنية .

الافنية



(شكل ٨٩)

فناء دير كنيسة مونريال

الخاتمـــــة

من هذه الدراسة المتواضعة يمكن ان نستخلص ما يلي :-

١ - هناك العديد من العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية ما هي الا ابتكار اسلامي ، استعارته الفنون الغربية خلال العصور الوسطى في مختلف مبانيها وخاصة في المباني الدينية . كما تكرر استعمال بعضها في عصر النهضة والعصر الحديث .

٢ - من بعد هذه الدراسة كيف يدعي بعض علماء الغرب بأن عناصر الفن الاسلامي بأكملها جاءت من الفنون المسيحية . وقد أثبتت هذه الدراسة عدم صحة هـــذا القول ... حقيقة أن هناك بعض التأثيرات المسيحية في العمارة الاسلامية ولكنهـا من القلة بمكان ، وان وجدت فهي انما جاءت في العصور الاولى عند بداية وتكويـن الفن الاسلامي ، أو عندما تولى بعض الوزراء القبطيين وهم من أصل أجنبي .

وهناك حقيقة اخرى فالفنون الاصيله نذكر أهمها الفن المصرى القديم .. أمـا الفنون الاخرى التي جاءت بعد ذلك فقد تطورت من التي سبقتها بعد ان تأقلمت مع البيئة التي نشأت فيها متأثره بتقاليد وديانات شعوبها . وهذا أمر حتمي لهـذه الفنـون ... وعلى سبيل المثال فان تخطيط الكنيسة في الفن المسيحي المبكـر مأخوذ من البازيليكا الرومانية ولذلك يطلق عليها اسم الكنيسة البازيليكية ... ولكـن كيف يدعي بعض المؤرخين ان تخطيط المسجد مأخوذ من الكنيسة البازيليكيـة ؟ علما بأن تخطيط المسجد أملته العقيدة الدينية قبل تأثره بأي فن من الفنون .

٣ - ان أمثلة المباني الغربية التي جاءت في هذه الدراسة والتي شملـت عناصر اسلامية ما هي الا نماذج جاءت على سبيل المثال لا الحصر ، فهنـاك أمثلـة عديدة غيرها تحمل الملامح الاسلامية .

٤ - رأينا ان اسبانيا وغيرها من البلدان التي وقعت تحت الحكم الاسلامـي لفترة ما لعبت دورا هاما في انتقال الحضارة الاسلامية الى أوربا خلال العصـور الوسطى . وهذا ناتج من حكمة الخلفاء والامراء المسلمين وسياستهم الرشيدة ... وبما أتصفوا به من تسامح وحسن المعاملة لغير المسلمين ... وبما كانوا عليـه مـن حضارة ومدنية تفوق بكثير ما كانت عليه أوربا في ذلك الوقت .

ومن أجل هذا كانت هذه البلدان وخاصة اسبانيا مصدر اشعاع حضاري لمعظم بلدان أوربا •

٥ ــ يمكن ارجاع مصادر العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية التي ظهرت في اسبانيا • أما بكونها مستحدثة أي ابتكار اسباني اسلامي • واما ان تكون قد جاءت من بلاد الشام مع الامويين • أو من شمال افريقيا : فاطمية كانت أو بربرية أو محلية (رومانية أو بيزنطية) •

٦ ــ كان للتسامح الديني والانساني دوره في التفاعل الحضاري وتوثيق العلاقات بين الانسان واخيه الانسان مهما اختلفت عقيدته وجنسيته • ولذلك كان هذا أحد العوامل التي ساعدت على انتقال الحضارة الاسلامية الى الغرب • وسواء كان هذا التسامح لرغبة حقيقية في نفوسهم أو لاسباب شخصية • فان المصلحة الحقيقية بين الطرفين الشرق والغرب (أي المسلم والمسيحي) استدعت أن يكون هناك تسامح وتعاون بينهما •

كما أن اشاعة المحبة والاخوة بين مختلف الشعوب سيؤدي الى تبادل الحضارات وتطورها الى الافضل ••• ولا يتم ذلك الا في عالم يسوده السلام والمحبة •

٧ ــ وأخيرا فانه يتضح من هذه الدراسة أن الجوانب الانسانية ظهرت أعظم ظهور في نواحي الفنون ••• ذلك لان الفن ما هو الا كلمة ناطقة في صمت ••• تصل الى القلوب قبل ان تطرق الاسماع ••• انها رمز التفاعل والتعاون والتسامح ••• انها رمز الانسانية المتكاملة في اسمى معانيها ••• وكان الفن الاسلامي من أصدق صفحات التعبير عن هذه المعاني •

ولهذا استطاع الفن الاسلامي خلال العصور الوسطى أن يلقي بظلاله •••• ويترك بصماته وملامحه على فنون وعمارة الغرب •

فهرس الصــور والاشــكال

العقـد المدبـب

العقد المدبب ذو حدوة الحصان

العقد النصف د ائرى ذو حدوة الحصان

العقد ذو الفصوص

العقود المتقاطعة

٤٨ _ كنيسة د ورهـــام

٤٩ _ شرقيـــة كاتد رائيـــة مونريال

٥٠ _ كنيسة سانت امبروجيـــو

٥١ _ كـاتد رائية سيفالى

اضـــلاع القباب والاقبيـــة

٥٢ _ اريمنيـــه

٥٣ _ جامع قرطبـــة ومسجد باب المرد م

٥٤ _ كنيسة د ورهـــام

الابــراج والمآذ ن

٥٥ _ مئذنـــة جامع القيروان

٥٦ _ مئذنـــة الجيرالد ا

٥٧ _ مئذنة تلمســـان

٥٨ _ برج كومين وبرج سان تروفين ومئذ نة سنجر

٥٩ _ برج ساتيرو ومئذ نة حلب

٦٠ _ مآذ ن مسجد يـــرة

٦١ _ ابراج كنيسة ووبيـــز وكنيسة سانت ابوتـــر

المد اخـــل الملتويـــــة

٦٢ _ قصبـــة مـــارد ه

٦٣ _ سور القاهرة لصلاح الد ين

٦٤ _ قلعـــة كركـــازون

الشـــرافات

٦٥ _ قصـــر صارجـــون

٦٦ _ الجوســـق الخاقانى

٦٧ _ جامـــع قرطبـــة

٦٨ _ قصر اوكسيرش

السقاطات

٧٠ ـ بادية الشام
٧١ ـ قصر الحير الشرقي
٧٢ ـ اسوار مدينة افينيون

الدواكي الصماء

٧٣ ـ طاق كسرى
٧٤ ـ كنيسة ماريوتيه
٧٥ ـ كنيسة موبياخ

حشوات النوافذ (الشمسيات)

٧٦ ـ الجامع الاموي وجامع قرطبة
٧٧ ـ جامع احمد بن طولون وقصر الحمراء
٧٨ ـ نافذة من متحف بالرمو

الابلق

٧٩ ـ كنيسة سانت مادلين
٨٠ ـ كنيسة سانت امبروجيو

الحشوات الخشبية

٨١ ـ الصالح طلائع
٨٢ ـ حشو من متحف بالرمو

الارابسك

٨٣ ـ ارابسك اسلامي
٨٤ ـ ارابسك مسيحي

الكتابات

٨٥ ـ كتابات اسلامية
٨٦ ـ كتابة لاتينية
٨٧ ـ كتابة من جامع احمد بن طولون
٨٨ ـ باب كنيسة بوي

الافنية

المراجـــع العربيـــة

١ — جرجيس فتح اللـه : تـراث الاسـلام — بيروت ١٩٧٢ .

٢ — جورج مارسيه : الفـن الاسلامى — دمشق ١٩٦٨ .

٣ — د . زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر — القاهرة ١٩٤٢ .

٤ — سيد امير على : تاريخ مصـر — القاهرة ١٩٣٨ .

٥ — سيد امير علـى : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى — القاهرة ١٩٣٨ .

٦ — د . صالح لمعى : التراث المعمارى الاسلامى فى مصر — بيروت ١٩٧٠ .

٧ — د . فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية — القاهرة ١٩٧٠ .

٨ — د . كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية فى مصر — القاهرة ١٩٦٩ .

٩ — مانويل جوميث : ترجمة لطفى عبد البديع : الفن الاسلامى فى اسبانيا — القاهـرة ١٩٦٨ .

المراجـع الاجنبيـة

1- Archives de Monuments Historique Vol. 5. Paris 1913.

2- Arnold, T.H.: The Legacy of Islam, Oxford 1928.

3- Bell and Palace: Mosque at Ukhaidir, Oxford 1914.

4- Briggs : Mohammedan architecture Oxford 1921

5- K. Creswell: Early Muslim Architecture, Oxford 1932.

6- K. Creswell: Bulletin de Institute d'archeologie Oriental IX - Cairo 1924.

7- Crozet, R.: L'art Roman - Paris 1962.

8- Christie, A.H.: Development of Ornament from Arabic Script - London 1922.

9- Devonshiere E.L.: Quelques Influences Islamique sur Les Arts d'Europe - Cairo 1935.

10- Fletcher, B.: A History of Architecture London 1961.

11- Gayet, A.: L'Art Arabe - Paris 1893.

12- Gardner A.H.: Outline of English Architecture- London 1949.

13- Jordan, R.F.: A Concise History of Western -Architecture London 1960.

14- Richard, I.: Abbeys of Europe - London 1960.

15- Kidson, P.: A History of English Architecture - London 1965.

16- Martin, H. : La Grammaire des Styles Paris 1933.

17- Statham, H.: A History of Architecture London 1950.

18- Strzygouski: Origin of Christian Church. Oxford 1923.

19- Saladin, H.: Manuel de l'Art Musulman - Paris 1907.

20- Simpson's History of Architecture - London 1964.

21- West, T.W.: A History of Architecture in Italy - London 1968.

22- Van Berchem ,:,Max : "Architecture"; The Encyclopedia of Islam. Vol. I London 1913.

تصويب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨	١٢	اربعة	أربع
١٣	٢	التى	الذى
١٥	١٤	يقفزا	وقفوا
١٨	١٣	الكبرين	الكبيرين
٢٥	١٣	الاورقه	الاروقه
٣٩	٩	اتجاها	اتجاهها
٤٢	١١	فأنشأت	فأنشئت
٧٩	صورة	جامع الحنفى	جامع حلب
٨٢	٣	تأثيرا	تأثرا
٩٥	٦	أمثلتها	امثلته
١٠٣	٧	من اعلا	من اعلى

صفحه	سطر	الخطأ	الصواب
١٠	٨	هندسة	هندسية
١٤	٣	كانت	فقد كانت
١٥	١٢	ماتى	مائتى
٢٠	٨	مسيحو	مسيحيى
٢٩	٢	ذو	ذات
٤٠	٩	مياه	مياهها
٧٧	٢٠	انجاذلى	الجاولى
٨٢	١١	ببرج	بأن برج
٨٨		بالهامش يضاف الى رقم (١) من كتاب فلتشر	
١٠٣	١٥	تطل	تصل
١٠٤	٢٠	مايسى	مانيس

رقم إيداع دار الكتب القومية
٢١٠٤ - ١٩٩٠
القاهرة

مطبعة الابيارى